تفسير سورة يس

قال الله تعالى:

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦
لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا
فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ
خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ٩ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ
تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ
بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ
وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢) [يس:
١-١٢].

س: اذكر معنى ما يلي:

(يسٓ -ٱلۡحَكِيمِ -صِرَٰطٖ - مُّسۡتَقِيمٖ -حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ -أَغۡلَٰلٗا -ٱلۡأَذۡقَانِ -مُّقۡمَحُونَ -مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ -سَدّٗا -وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ -فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ -لَا يُبۡصِرُونَ -ٱلذِّكۡرَ -بِٱلۡغَيۡبِۖ -وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ -وَءَاثَٰرَهُمۡۚ -إِمَامٖ مُّبِينٖ)؟

ج:

الكلمة	معناها
(يسٓ)	أحرف مقطعة بُدئت بها بعض السور لا يعلم معناها إلا الله
(ٱلۡحَكِيمِ)	المُحكم، الذي لا يأتيه الباطل ولا يعتريه التحريف - المتقن
(صِرَٰطٖ)	طريق
(مُّسۡتَقِيمٖ)	لا اعوجاج فيه
(حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ)	وجب عليهم وتحقق فيهم ما كتب الله عليهم
(أَغۡلَٰلٗا)	أطواقا
(ٱلۡأَذۡقَانِ)	جمع ذقن (وهي الذقن المعروفة للإنسان)
(مُّقۡمَحُونَ)	رافعوا أبصارهم مع وجوههم
(مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ)	أمامهم، (وقيل في الدنيا)
(سَدّٗا)	حاجزًا
(وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ)	خلفهم (وقيل عن أمر الآخرة)
(فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ)	جعلنا على أبصارهم غشاوة تحجب الرؤيا

﴿لَا يُبۡصِرُونَ﴾	لا يرون الحق
﴿ٱلذِّكۡرَ﴾	القرآن
﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾	حينما يغيب عن أعين الناس، (وقيل: وهو لا يرى الله كما في الحديث: أن تعبد الله كأنك تراه)
﴿وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾	كبير - حسن وجميل
﴿وَءَاثَٰرَهُمۡ﴾	قيل: مواضع أقدامهم وآثار خطاهم التي مشوها في الدنيا. وقيل: ما خلفوه وراءهم من سُنة حسنة كانت أو سيئة، فاقتدى بهم الناس فيها.
﴿إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾	اللوح المحفوظ، وقيل: كتاب الأعمال الذي كتبت فيه أعمال بني آدم.

❀ ❀ ❀

ذِكر بعض الوارد في فضل سورة يس وبيان ضعفه

س: هل صح لديكم شيء في فضل سورة يس؟ وما مدى صحة هذه الأخبار التي أوردها الحافظ ابن كثير في تفسير هذه السورة المباركة؟

ج: لم يصح لدي خبرٌ في فضل سورة يس أما ما أورده ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه السورة المباركة فلا يثبت منه شيء كذلك.

فحديث أنس:

قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء قلبًا، وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كَتَب الله له بقرءتها قراءة القرآن عشر مرات»(١).

(١) الترمذي (٢٨٨٧) وغيره.

أخرجه الترمذي، وضعفه بقوله:

ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حُمَيد بن عبد الرحمن، وهارون أبو محمد شيخ مجهول، وفي الباب عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولا يصح لضعف إسناده، وعن أبي هريرة منظور فيه.

وما أخرجه أحمد[(١)] وغيره من حديث معقل بن يسار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكًا، واستخرجت** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، **من تحت العرش فوصلت بها** - أو: **فوصلت بسورة البقرة** -، **ويس قلب القرآن، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة، إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم**».

في سنده رجل مُبهم، وكُني عنه في بعض الطرق بأبي عثمان، وليس بالنهدي، وهو مجهول، وإن كان بعض العلماء قد بنى عليه عملًا، فقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ولهذا قال بعض العلماء: من خصائص هذه السورة: أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله. وكأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة، وليسهل عليه خروج الروح، والله أعلم.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان قال: كان المشيخة يقولون: إذا قرئت -يعني يس- عند الميت خُفِّف عنه بها.

قلت (مصطفى): كذا قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ، والمستند الذي استندوا إليه ضعيف كما ترى.

---

(١) أحمد (٥/٢٦)، وأبو داود (٣١٢١) وغيرهما.

أما ما عزاه ابن كثير إلى أبي بكر البزار حيث قال:

حدثنا عبد الرحمن بن الفضل، حدثنا زيد - هو ابن الحباب - حدثنا حُميد- هو المكي، مولى آل علقمة - عن عطاء - هو ابن أبي رباح - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل شيء قلبًا، وقلب القرآن يس**».

ثم قال: لا نعلم رواه إلا زيد، عن حميد.

ففي سنده حميد المكي وهو مجهول.

هذا، وثمَّ أخبارٌ أخر في هذا الباب كلها تالفة وضعيفة، بل وأكثرها موضوع(١).

❀ ❀ ❀

معنى (يس)

س: اذكر بمزيدٍ من التوسع معنى (يس) مع بيان ما ترونه راجحًا منها؟

ج: أقول، وبالله التوفيق، إن المعنى الذي أختاره لقوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١﴾ أنها أحرف مقطعة، العلم بها موكولٌ إلى الله ﷻ، ولأهل العلم أقوال في تفسيرها ذكره الطبري وأورد لكل قول إسناده.

وأذكر ما أورده الطبري ملخصًا:

---

(١) ولمزيد من البحث في هذا الصدد. راجع إن شئت الجزء الحديثي الذي أعدَّه أخي الشيخ محمد بن عمرو بن عبد اللطيف رحمه الله رحمة واسعة (حديث قلب القرآن يس)، وجملة مما روي في فضلها ضمن كتابه أحاديث ومرويات في الميزان.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿يسٓ ١﴾، فقال بعضهم: هو قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله.

وقال آخرون: معناه يا رجل - أو يا إنسان.

وقال آخرون: هو مفتاح كلامٍ افتتح الله به كلامه.

وقال آخرون: بل هو اسم من أسماء القرآن.

والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤﴾؟

ج: هذا قسمٌ أقسم الله عَزَّوَجَلَّ فيه بالقرآن المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أقسم ربنا عَزَّوَجَلَّ على صدق رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أخبر به من كونه رسول من عند الله عَزَّوَجَلَّ وأقسم الله على أنه (أي: رسول الله) على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ولا انحراف، طريق موصل إلى جنات النعيم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾ يقول: والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه، وبينات حججه ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣﴾ يقول تعالى ذكره مقسمًا بوحيه وتنزيله لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنك يا محمد لمن المرسلين بوحي الله إلى عباده.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ

﴿٣﴾ قسم كما تسمعون ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

وقوله: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾ يقول: على طريق لا اعوجاج فيه من الهدى وهو الإسلام.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾: أي على الإسلام.

وفي قوله: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾ وجهان:

أحدهما: أن يكون معناه: إنك لمن المرسلين على استقامة من الحق، فيكون حينئذ ﴿عَلَىٰ﴾ من قوله: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾ من صلة الإرسال.

والآخر أن يكون خبرًا المبتدأ، كأنه قيل: إنك لمن المرسلين، إنك على صراط مستقيم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ أي: المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾ أي: على منهج ودين قويم، وشرع مستقيم.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، مبنيٌّ على ضبط كلمة (تنزيل)، هل هي بفتح اللام: ﴿تَنزِيلَ﴾ أو بضمها: (**تنزيلُ**)؟ فهما قراءتان مشهورتان.

فقول من قال: (**تنزيلُ**) فمعناه أن هذا القرآن تنزيلٌ من العزيز الرحيم.

وأما (تَنزِيلَ) فحمل بعض القائلين (تَنزِيلَ) على معنى الإرسال. قالوا: (إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾) إرسال (ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾) أي: بإرسال العزيز الرحيم لك.

وقال بعض العلماء: إن المعنى نزَّل الله ذلك تنزيلًا، أما العزيز فمن معناه: الذي لا يغلب.

أما الرحيم: فرحمته بعباده واسعة، ومن رحمته بهم يتركهم ولا يعاقبهم إن تابوا من كفرهم وأنابوا إليه.

وهذه بعض الأقوال:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ ﴾.

اختلف القراء في قراءة قوله: (تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (**تنزيلُ العزيز**) برفع (**تنزيلُ**)، والرفع في ذلك يتجه من وجهين:

أحدهما: بأن يجعل خبرًا، فيكون معنى الكلام: إنه تنزيل العزيز الرحيم. والآخر: بالابتداء، فيكون معنى الكلام حينئذ: إنك لمن المرسلين، هذا تنزيل العزيز الرحيم. وقرأته عامة قراء الكوفة وبعض أهل الشام ﴿ تَنزِيلَ ﴾ نصبًا على المصدر من قوله: (إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ لأن الإرسال إنما هو عن التنزيل، فكأنه قيل: لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقًّا.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب. ومعنى

الكلام: إنك لمن المرسلين يا محمد إرسال الرب العزيز في انتقامه من أهل الكفر به، الرحيم بمن تاب إليه، وأناب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ ﴾ أي: هذا الصراط والمنهج والدين الذي جئت به مُنزل من رب العزة، الرحيم بعباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝٥٣﴾.

[الشورى:٥٢، ٥٣]

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قرأ ابن عامر وحفص والأعمش ويحيى وحمزة والكسائي وخلف: تنزيل بنصب اللام على المصدر أن نزَّل الله ذلك تنزيلًا وأضاف المصدر فصار معرفة كقوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤] أي: فضربًا للرقاب الباقون (**تنزيلُ**) بالرفع على خبر ابتداء محذوف أي: هو تنزيل أو الذي أنزل إليك تنزيل العزيز الرحيم هذا وقرىء: (تنزيلِ) بالجر على البدل من (القرآن) والتنزيل يرجع إلى القرآن وقيل: إلى النبي ﷺ أي: إنك لمن المرسلين وإنك ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فالتنزيل على هذا بمعنى الإرسال قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُوا۟﴾ [الطلاق: ١٠، ١١] ويقال: أرسل الله المطر وأنزله بمعنى، ومحمد ﷺ رحمة الله أنزلها من السماء، ومن نصب قال: إنك لمن المرسلين إرسالًا من العزيز الرحيم و﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ المنتقم ممن خالفه ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ بأهل طاعته.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أشهرهما ـ وأراه أصحهما ـ: أن معناه لتنذر قومًا لم يُنذر آباؤهم، أي: لم يأت آباءهم نذيرٌ، فلذا فهم غافلون عن الذكر والتوحيد، فقوله: ﴿مَّآ﴾ نافية، أي: أن آباءهم لم ينذروا ودلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ **[السجدة: ٣]**.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ...﴾ **[الأنعام: ١٥٦-١٥٧]**، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾ **[سبأ: ٤٤]**، وهذا الوجه هو اختيار الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾ **يعني** بهم: العرب؛ فإنه ما أتاهم من نذير من قبله. وذكرهم وحدهم لا ينفي مَنْ عداهم، كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم. وقد تقدم ذكر الآيات والأحاديث المتواترة في عموم بعثته، صلوات الله وسلامه عليه، عند قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ **[الأعراف: ١٥٨]**.

*** والقول الآخر:** أن قوله: ﴿مَّآ أُنذِرَ﴾، ﴿مَّآ﴾ هنا بمعنى الذي، فيكون المعنى لتنذر قومًا بالذي أُنذر به آباؤهم لكونهم قد غفلوا عن الذي أُنذر به آباؤهم، أو

غافلون عما سيحل بهم إذا ماتوا على الكفر، وغافلون عن العقوبات التي عاقب الله بها أعداءه المكذبين لرسله.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ (مَّآ) لا موضع لها من الإعراب عند أكثر أهل التفسير منهم قتادة لأنها نفي والمعنى: لتنذر قومًا ما أتى آباءهم قبلك نذير وقيل: هي بمعنى: الذي، فالمعنى: لتنذرهم مثل ما أنذر آباؤهم، قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة أيضًا، وقيل: إن (مَّآ) والفعل مصدر أي: لتنذر قومًا إنذار آبائهم ثم يجوز أن تكون العرب قد بلغتهم بالتواتر أخبار الأنبياء؛ فالمعنى لم ينذروا برسول من أنفسهم ويجوز أن يكون بلغهم الخبر ولكن غفلوا وأعرضوا ونسوا. ويجوز أن يكون هذا خطابًا لقوم لم يبلغهم خبر نبي وقد قال الله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾ [سبأ: ٤٤]، وقال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ [السجدة: ٣] أي: لم يأتهم نبي، وعلى قول من قال بلغهم خبر الأنبياء فالمعنى فهم معرضون الآن متغافلون عن ذلك، ويقال للمعرض عن الشيء: إنه غافل عنه وقيل: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾﴾ عن عقاب الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾، فقال بعضهم: معناه: لتنذر قومًا ما أنذر الله من قبلهم من آبائهم.

وأورد من طريق شعبة عن سماك عن عكرمة في هذه الآية: ﴿لِتُنذِرَ

﴿قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ قال: قد أنذروا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم.

وأورد بإسناد حسنٍ عن قتادة: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ قال بعضهم: لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم من إنذار الناس قبلهم. وقال بعضهم: لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم أي: هذه الأمة لم يأتهم نذير، حتى جاءهم محمد ﷺ.

واختلف أهل العربية في معنى (مَّآ) التي في قوله: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ إذا وجه معنى الكلام إلى أن آباءهم قد كانوا أنذروا، ولم يرد بها الجحد؛ فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: إذا أريد به غير الجحد لتنذرهم الذي أنذر آباؤهم ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾ وقال: فدخول الفاء في هذا المعنى لا يجوز، والله أعلم. قال: وهو على الجحد أحسن، فيكون معنى الكلام: إنك لمن المرسلين إلى قوم لم ينذر آباؤهم، لأنهم كانوا في الفترة.

وقال بعض نحويي الكوفة: إذا لم يرد بما الجحد، فإن معنى الكلام: لتنذرهم بما أنذر آباؤهم، فتلقى الباء، فتكون (مَّآ) في موضع نصب ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾ يقول: فهم غافلون عما الله فاعل: بأعدائه المشركين به، من إحلال نقمته، وسطوته بهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: لقد تحقق فيهم ما كتبه الله عليهم من كونهم لا يؤمنون، فقد كتبت عليهم الشقاوة ووجب عليهم العذاب فمن ثَمَّ

فهم لا يؤمنون.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقولـه: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾ يقـول تعـالى ذكـره: لقد وجب العقاب على أكثرهم، لأن الله قد حتم عليهم في أم الكتـاب أنهم لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون رسوله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ أي: وجـب العذاب علـى أكثرهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾ بإنذارك وهذا فيمن سبق في علم الله أنه يموت على كفره.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان»:

الظاهر أن القول في قوله: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ **[فصلت: ٢٥]** الآية. وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ **[القصص: ٦٣]** الآية. وفي قوله تعالى: ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٧٠﴾ **[يس: ٧٠]**. وقوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ۝٣١﴾ **[الصافات: ٣١]** والكلمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝٩٧﴾ **[يونس: ٩٦، ٩٧]** وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٧١﴾ **[الزمر: ٧١]** أن المراد بالقول والكلمة أو الكلمات على قراءة، (**حقت عليهم كلمات ربك**) بصيغة الجمع، هو قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩﴾ **[هود: ١١٩]**

وكما دلت على ذلك آيات من كتاب الله تعالى: كقوله تعالى في آخر سورة هود: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨-١١٩] وقوله تعالى في السجدة: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣].

وقوله تعالى: في أخريات ص: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٤، ٨٥].

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ يدلّ على أن أكثر الناس من أهل جهنم، كما دلّت على ذلك آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود: ١٧]، ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الصافات: ٧١]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [الشعراء: ٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: إنا جعلنا أطواقًا من حديد أو نحاس أو غير ذلك في رقاب هؤلاء الكفار، قد ضمت هذه الأطواق أيديهم إلى رقابهم فجمعت الأيدي مع الرقبة وأحاطت بها الأطواق فلما فعل ذلك بهم، والأيدي تحت أذقانهم مضمومة إلى رقابهم وهي تحت أذقانهم فاضطرهم

هذا إلى أن يرفعوا أبصارهم إلى السماء، فمن ثمَّ فهم لا يرون ما أمامهم، وكذا فأيديهم مغلولة عن الخير، لا تُبسط بالخير، وهذا بيان للكفار وحالهم وبُعدهم عن الإيمان وبُعدهم عن الخير، فلا يفعلون خيرًا ولا يبصرونه، وهذه الآية في معناها كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩]، أي: لا تكن ممسكًا بخيلًا، وسيأتي لها مزيدٌ إن شاء الله.

* **وهناك وجهٌ آخر** - وستأتي الإشارة إليه في كلام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ - حاصله أن ذلك يوم القيامة وعُبِّر عنه هنا بلفظ الماضي، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جُعل في عنقه غل، فجَمَع يديه مع عنقه تحت ذقنه، فارتفع رأسُه، فصار مقمحًا؛ ولهذا قال: ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ والمقمح: هو الرافع رأسه، كما قالت أم زَرْع في كلامها: «وأشرب فأتقمَّح» أي: أشرب فأروى، وأرفع رأسي تهنيًا وتَرَوِّيًا. واكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين، وإن كانتا مرادتين، كما قال الشاعر:

فَمَا أدري إذا يَمَّمْتُ أرْضًا ... أريدُ الخَيْرَ أيّهما يَلِيني

أَلْخَيْرُ الذي أنَا أبْتَغيه ... أم الشَّرّ الذي لا يَأْتَليني

فاكتفى بذكر الخير عن ذكر الشر لَمّا دل السياق والكلام عليه، وكذا هذا، لما كان الغُلّ إنما يعرف فيما جَمَع اليدين مع العنق، اكتفى بذكر العنق عن اليدين.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إنا جعلنا أيمان هؤلاء الكفار مغلولة إلى أعناقهم بالأغلال، فلا تبسط بشيء من الخيرات. وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر (**إنا جعلنا في أيمانهم أغلالا فهي إلى الأذقان**) وقوله: ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ يعني: فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم، فكني عن الأيمان، ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام، وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلا وأيدي المغلولين مجموعة بها إليها، فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق من ذكر الأيمان، كما قال الشاعر:

وما أدري إذا يممت وجهًا ... أريد الخير أيهما يليني
ألخير الذي أنا أبتغيه ... أم الشر الذي لا يأتليني

فكنى عن الشر، وإنما ذكر الخير وحده لعلم سامع ذلك بمعني قائله، إذ كان الشر مع الخير يذكر. والأذقان: جمع ذقن، والذقن: مجمع اللحيين.

وقوله: ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ والمقمح: هو المقنع، وهو أن يحدر الذقن حتى يصير في الصدر، ثم يرفع رأسه في قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة، وفي قول بعض الكوفيين: هو الغاض بصره بعد رفع رأسه.

وأورد الطبري بإسناد ضعيف عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ قال: هو كقول الله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ **[الإسراء: ٢٩]** يعني بذلك: أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

قال النحاس: وهذه القراءة تفسير ولا يقرأ بما خالف المصحف، وفي الكلام حذف على قراءة الجماعة، التقدير: إنا جعلنا في أعناقهم وفي أيديهم أغلالًا فهي إلى الأذقان فهي كناية عن الأيدي لا عن الأعناق والعرب تحذف مثل هذا ونظيره: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] وتقديره وسرابيل تقيكم البرد فحذف؛ لأن ما وقى من الحر وقى من البرد؛ لأن الغل إذا كان في العنق فلا بد أن يكون في اليد ولا سيما وقد قال الله عز وجل: ﴿فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ﴾ فقد علم أنه يراد به الأيدي ﴿فَهُم مُّقۡمَحُونَ ٨﴾ أي: رافعوا رؤوسهم لا يستطيعون الإطراق لأن من غلت يده إلى ذقنه ارتفع رأسه.

وقال القرطبي أيضًا:

وقال الفراء أيضًا: هذا ضرب مثل أي حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] وقاله الضحاك: وقيل: إن هؤلاء صاروا في الاستكبار عن الحق كمن جعل في يده غل فجمعت إلى عنقه فبقي رافعًا رأسه لا يخفضه وغاضًا بصره لا يفتحه والمتكبر يوصف بانتصاب العنق، وقال الأزهري: إن أيديهم لما غلت عند أعناقهم رفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم صعدًا كالإبل ترفع رؤوسها وهذا المنع بخلق الكفر في قلوب الكفار وعند قوم بسلبهم التوفيق عقوبة لهم على كفرهم، وقيل: الآية إشارة إلى ما يفعل بأقوام غدا في النار من وضع الأغلال في أعناقهم والسلاسل كما قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ [غافر: ٧١] وأخبر عنه بلفظ الماضي.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واعلم: أن قول من قال من أهل العلم: إن معنى قوله تعالى في هذه الآية الكريمة (إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا) أن المراد بذلك الأغلال، التي يعذبون بها في الآخرة كقوله تعالى: (إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾) [غافر: ٧١، ٧٢] خلاف التحقيق، بل المراد بجعل الأغلال في أعناقهم وما ذكر معه في الآية هو صرفهم عن الإيمان والهدى في دار الدنيا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾).

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: إنا جعلنا أمام هؤلاء الكفار حاجزًا يحجزهم عن الإيمان والإسلام والقرآن، وكذا من خلفهم جعلنا حاجزًا فلا يصل إليهم قرآن ولا هدى ولا نور كما قال تعالى: (وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾) [الإسراء: ٤٥].

أما قوله: (فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾) فمعناه - والله أعلم - جعلنا على بصرهم غشاوةً عن الحق فلا يرونه ولا يبصرونه، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعنى بقوله: (وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) أنه زين لهم سوء أعمالهم فهم يعمهون، ولا يبصرون رشدًا، ولا يتنبهون حقًّا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: جعل هذا سدًّا بينهم وبين الإسلام والإيمان، فهم لا يخلصون إليه، وقرأ (وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ

تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾) وقـرأ (إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يونس: ٩٦]... الآية كلها، وقال: من منعه الله لا يستطيع.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه: (فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ يقول: فأغشينا أبصـار هؤلاء أي: جعلنا عليها غشاوة؛ فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ أي: أغشينا أبصـارهم عن الحق، (فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ أي: لا ينتفعون بخير ولا يهتدون إليه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقـال الضـحاك: (وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا) أي: الـدنيا (وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) أي: الآخـرة، أي: عمـوا عن البعـث وعمـوا عن قبـول الشـرائع فـي الـدنيا قـال الله تعـالى: (﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) [فصلت: ٢٥] أي: زينـوا لهـم الـدنيا ودعـوهم إلـى التكـذيب بـالآخرة، وقيـل: علـى هـذا (مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا) أي: غـرورًا بالـدنيا (وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) أي: تكذيبًا بالآخرة وقيل: (مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) الآخرة (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) الدنيا.

❁ ❁ ❁

الغوي من أغواه الله

س: قولـه تعـالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ فيه دلالة على أن الله ﷻ يصرف عن الإيمان القوم الذين سبقت لهم الشقاوة، ولذلك أسباب، فربي يصرفهم لانصرافهم الأول، ويزيغ قلوبهم كما زاغوا لأول مرة، دلِّل على ما ذُكر.

ج: قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية[١] من كونه جلَّ وعلا يصرف الأشقياء الذين سبقت لهم الشقاوة في علمه عن الحق ويحول بينهم وبينه، جاء موضحًا في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧] وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [النحل: ١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۘ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود:

---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا....﴾.

٢٠]. وقوله تعالى: (ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا) [الكهف: ١٠١] والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقد قدمنا أن هذا الطبع والختم على القلوب وكذلك الأغلال في الأعناق، والسدّ من بين أيديهم ومن خلفهم، أن جميع تلك الموانع المانعة من الإيمان، ووصول الخير إلى القلوب أن الله إنما جعلها عليهم بسبب مسارعتهم، لتكذيب الرسل، والتمادي على الكفر، فعاقبهم الله على ذلك، بطمس البصائر والختم على القلوب والطبع عليها، والغشاوة على الأبصار، لأن من شؤم السيئات أن الله جلّ وعلا يعاقب صاحبها عليها بتماديه على الشرّ، والحيلولة بينه وبين الخير وجزاه الله بذلك على كفره جزاءً وفاقًا.

والآيات الدالة على ذلك كثيرة كقوله تعالى: (بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ) [النساء: ١٥٥] فالباء سببية، وفي الآية: تصريح منه تعالى أن سبب ذلك الطبع على قلوبهم هو كفرهم، وكقوله تعالى: (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ) [المنافقون: ٣] ومعلوم أن الفاء من حروف التعليل أي: فطبع على قلوبهم بسبب كفرهم ذلك، وقوله تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ) [الصف: ٥]. وقوله تعالى: (وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١٠﴾) [الأنعام: ١١٠] وقوله تعالى: (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ) [البقرة: ١٠] إلى غير ذلك من الآيات كما تقدم إيضاحه.

وقد دلت هذه الآيات على أن شؤم السيئات يجرّ صاحبه إلى التمادي في السيئات، ويفهم من مفهوم مخالفة ذلك، أن فعل الخير يؤدي إلى

التمادي في فعل الخير، وهو كذلك كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[التغابن: ١١] إلى غير ذلك من الآيات.

عدم انتفاع أهل الكفر بالمواعظ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ويستوي عند هؤلاء الكفار الإنذار من عدمه، فإذا أنذرتهم لم يؤمنوا وإذا لم تنذرهم لن يؤمنوا كذلك، فهم لا ينتفعون بذكر فقد قضى عليهم بأنهم من أهل النار، ومن ثَمَّ لا تجدي معهم الموعظة ولا تنفع معهم التذكرة، إنما ينتفع بالإنذار أهل الإيمان الذين اتبعوا القرآن وصدقوا به وخشوا ربهم سبحانه وتعالى في حال غيابهم عن الناس، قد أيقنوا أن الله يراهم وقد أيقنوا أن الله سيحاسبهم وسيلتقون به فهؤلاء بشرهم يا رسول الله بمغفرة لذنوبهم وعظيم الأجور التي أعدت لهم وكريمها.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وسواء يا محمد على هؤلاء الذين حق عليهم القول، أي الأمرين كان منك إليهم: الإنذار، أو ترك الإنذار، فإنهم لا يؤمنون؛

لأن الله قد حكم عليهم بذلك. وقوله: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ ﴾ يقول تعالى ذكره: إنما ينفع إنذارك يا محمد من آمن بالقرآن، واتبع ما فيه من أحكام الله ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ يقول: وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين، لا المنافق الذي يستخف بدين الله إذا خلا ويظهر الإيمان في الملأ ولا المشرك الذي قد طبع الله على قلبه. وقوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ يقول: فبشر يا محمد هذا الذي اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب بمغفرة من الله لذنوبه ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ يقول: وثواب منه له في الآخرة كريم، وذلك أن يعطيه على عمله ذلك الجنة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ ﴾ واتباع الذكر اتباع القرآن.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

وقوله: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ ﴾ أي: قد ختم الله عليهم بالضلالة، فما يفيد فيهم الإنذار ولا يتأثرون به.

وقد تقدم نظيرها في أول سورة البقرة، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٩٧﴾

[يونس: ٩٦-٩٧]

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ ﴾ أي: إنما ينتفع بإنذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكر، وهو القرآن العظيم، ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ أي: حيث لا يراه أحد إلا الله، يعلم أن الله مطلع عليه، وعالم بما يفعله، ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ أي:

لذنوبه، ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ أي: كبير واسع حسن جميل، كما قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

❀ ❀ ❀

س: هل صح لهذه الآية الكريمة سبب نزول: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾﴾؟

ج: الحديث قد ورد له سبب نزول. أخرجه البزار واستغربه ابن كثير، وقد أورده شيخنا الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» مصححًا له لشواهده، ولكني أراه ضعيفًا، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ناقلًا عن ابن كثير: قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عباد بن زياد الساجي حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إن بني سلمة شكوا إلى رسول الله ص بُعد منازلهم من المسجد فنزلت: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ فأقاموا في مكانهم. وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سهيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ص بنحوه، وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكاملها مكية. اهـ.

الحديث رجاله رجال الصحيح إلا عباد بن زياد وفيه كلام كما في تهذيب التهذيب لكنه قد توبع كما ترى وقد أخرجه الترمذي ج٤ ص١٧١ وحسنه. والحاكم ج٢ ص٤٢٨ وصححه وأقره الذهبي من حديث أبي سعيد الخدري لكن فيه عندهما طريف بن شهاب وهو ضعيف جدًّا كما في الميزان وهو عند

الحاكم سعيد بن طريف فلعله غلط فيه بعض الرواة. هذا والحديث له شاهد عند ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ وسنده صحيح.

أما قول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:** إن فيه غرابة لأن السورة بكمالها مكية فلم يظهر لي اتجاهه، فإذا ثبت أن هذه الآية نزلت بمكة فلا مانع من نزولها مرتين وإن لم يثبت نزولها بمكة فقد تكون السورة مكية إلا آية كما هو معروف. والله أعلم. انتهى ما قاله شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❋ ❋ ❋

المراد بالآثار التي تُكتب

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن الله ﷻ يخبرنا بأنه سيحيي الموتى يوم القيامة ويخرجهم من قبورهم أحياءً، أما في الدنيا فإن أعمالهم التي عملوها تكتب عليهم وكذا أقوالهم ونواياهم، فهذا ما قدموه في دنياهم، أما آثارهم فللعلماء فيها قولان: أحدهما: آثار خطاهم التي مشوها على الأرض مكتوبة لهم في سجل أعمالهم. والثاني: ما خلفوه بعدهم من آثار وسنن، فإن تركوا خيرًا يُتَّبع وسُننًا تتبع فهم مأجورون، وإن خلفوا سيئ السنن، وتأسى بهم في الشر أقوام فهذه آثار سيئة مكتوبة.

أما قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ فمعناه أن كل شيء قد أُحصي وكتب عند الله في اللوح المحفوظ (أم الكتاب)، وقيل في كتاب العبد الذي يقرؤه يوم القيامة، إذ الله قال: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

وهذه بعض أقوال أهل العلم فيما ذكرت.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى﴾ أي: يوم القيامة، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب مَنْ يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق، كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

﴿١٧﴾ [الحديد: ١٧].

وقوله: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ﴾ أي: من الأعمال.

وفي قوله: ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ قولان:

أحدهما: نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم التي أثروها من بعدهم، فنجزيهم على ذلك أيضًا، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، كقوله ﷺ: «**مَنْ سن في الإسلام سنة حسنة، كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومَنْ سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزرُ مَنْ عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا**»(١).

وأورد الحافظ ابن كثير أيضًا ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: من علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده**».

وأورد ابن كثير بعض الآثار في هذا المعنى، وقال:

والقول الثاني: أن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية.

وأورد حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وفيه: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: «**إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟**». قالوا: نعم يا رسول الله؛ قد أردنا ذلك، فقال: «**يا بني سلمة، دياركم تكتب آثاركم،**

---

(١) مسلم (١٠١٧) بنحوه.

دياركم تكتب آثاركم»(١).

وأورد ابن كثير أحاديث وآثار أخر في هذا الصدد.

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول، بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأحرى، فإنه إذا كانت هذه الآثار تُكتب، فلأن تُكتب تلك التي فيها قدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾، أي: جميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ، والإمام المبين هنا هو أم الكتاب. قاله مجاهد، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وكذا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، أي: بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

أما الطبري رحمه الله تعالى فاقتصر على القول الثاني فقال:

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ من خلقنا ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ في الدنيا من خير وشر، وصالح الأعمال وسيئها.

وقوله: ﴿وَآثَارَهُمْ﴾ يعني: وآثار خطاهم بأرجلهم، وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم أرادوا أن يقربوا من مسجد رسول الله ﷺ، ليقرب عليهم.

وأورد الطبري جملة من الآثار في ذلك، منها أثر جابر(١) قال: أراد

---

(١) أحمد (٣/٣٣٢)، ومسلم (٦٦٥).

بنو سلمة قرب المسجد قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: «**يا بني سلمة دياركم إنها تكتب آثاركم**».

وفي رواية(٢):

أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد، قال: والبقاع خالية، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «**يا بني سلمة دياركم إنها تُكتب آثاركم**»، قال: فأقاموا وقالوا: ما يسرّنا أنا كنا تحوّلنا.

وقد روي هذا الخبر من وجوه متعددة.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ قال: قال الحسن: وآثارهم قال: خطاهم. وقال قتادة: لو كان مغفلًا شيئًا من شأنك يا ابن آدم أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار.

وقوله: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه، فأثبتناه في أم الكتاب، وهو الإمام المبين. وقيل: ﴿مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ لأنه يُبين عن حقيقة جميع ما أثبت فيه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن مجاهد: ﴿فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ قال: في أم الكتاب.

وبإسناد حسن عن قتادة قال: كل شيء مُحصى عند الله في كتاب.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: أم الكتاب التي عند الله فيها الأشياء كلها هي الإمام المبين.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

(١، ٢) وهذه وتلك صحيحتان.

قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ) أخبرنا تعالى بإحيائه الموتى ردًّا على الكفرة، وقال الضحاك والحسن: أي نحييهم بالإيمان بعد الجهل، والأول أظهر، أي: نحييهم بالبعث للجزاء ثم توعدهم بذكره كتب الآثار وهي:

إحصاء كل شيء وكل ما يصنعه الإنسان قال قتادة: معناه من عمل، وقاله مجاهد وابن زيد ونظيره قوله: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥) [الانفطار: ٥]، وقوله: (يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣) [القيامة: ١٣] وقال: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] فآثار المرء التي تبقى وتذكر بعد الإنسان من خير أو شر يجازى عليها من أثر حسن كعلم علّموه أو كتاب صنفوه أو حبيس احتبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك، أو سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم أو شيء أحدثه فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه، وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها، وقيل: هي آثار المشائين إلى المساجد وعلى هذا المعنى تأول الآية عمر وابن عباس وسعيد بن جبير وعن ابن عباس أيضًا أن معنى: (وَءَاثَٰرَهُمْۚ) خطاهم إلى المساجد قال النحاس: وهذا أولى ما قيل فيه لأنه قال: إن الآية نزلت في ذلك لأن الأنصار كانت منازلهم بعيدة عن المسجد؟ [وفي الحديث مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: «**يكتب له برجل حسنة وتحط عنه برجل سيئة ذاهبًا وراجعًا إذا خرج إلى المسجد**».

❁ ❁ ❁

قصة أصحاب القرية

قال الله تعالى:

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ
فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا
وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾
وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ
وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ
مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ
﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي
وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي
شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي
رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [يس: ١٣-٢٩]

س: اذكر معنى ما يلي:

(فَعَزَّزْنَا - تَطَيَّرْنَا بِكُمْ - لَنَرْجُمَنَّكُمْ - وَلَيَمَسَّنَّكُم - أَلِيمٌ - طَائِرُكُم مَّعَكُمْ - أَإِن ذُكِّرْتُم - مُّسْرِفُونَ - أَقْصَا الْمَدِينَةِ - فَطَرَنِي - ضَلَالٍ مُّبِينٍ - الْمُكْرَمِينَ - خَامِدُونَ)

ج:

الكلمة	معناها
(فَعَزَّزْنَا)	قوَّينا - شددنا أزرهما
(تَطَيَّرْنَا بِكُمْ)	تشاءمنا بكم وبوجودكم معنا كلما رأيناكم لم نر خيرًا ولكن أتانا الشر
(لَنَرْجُمَنَّكُمْ)	لنقذفنكم (بالحجارة أو بالشتم والسباب)
(وَلَيَمَسَّنَّكُم)	ليصيبنكم - لينالنكم
(أَلِيمٌ)	مؤلمٌ موجع
(طَائِرُكُم مَّعَكُمْ)	أعمالكم معكم - المقدر عليكم يصاحبكم
(أَإِن ذُكِّرْتُم)	ألكوننا ذكرناكم
(مُّسْرِفُونَ)	متجاوزون للحد في الكفر والطغيان والظلم
(أَقْصَا الْمَدِينَةِ)	أبعد مكان فيها - طرف المدينة البعيد
(فَطَرَنِي)	خلقني (لأول مرة)
(ضَلَالٍ مُّبِينٍ)	بُعدٌ عن الحق مظهر لمن تأمله أنني ضللت، وقيل: مبين بمعنى: بائن، أي: واضح وظاهر
(الْمُكْرَمِينَ)	الذين أكرمهم الله بإدخالهم جنته
(خَامِدُونَ)	ميتون - هلكى - صرعى

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾، **مع بيان هذه القرية وأسماء الرسل.**

ج: أما هذه القرية فلم ترد تسميتها في كتاب الله ﷻ ولا في سنة رسوله محمد ﷺ، وكذا أسماء الرسل لم يأت في نصٍّ من كتاب أو سنة.

لكن جماهير العلماء – بل نقل بعض أهل العلم الإجماع – على أنها أنطاكية.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣﴾ خطاب للنبي ﷺ أمر أن يضرب لقومه مثلًا بأصحاب القرية - هذه القرية هي أنطاكية- في قول جميع المفسرين فيما ذكر الماوردي.

قلت (مصطفى): أما الرسل فكما أسلفت لم تأت أسماؤهم في نص من كتاب أو سنة، ولكن ذكر البعض أنهم رسلٌ من الحواريين أرسلهم عيسى ﷺ لمدينة من المدن لدعوة أهلها إلى الله ﷻ، وقال آخرون من أهل العلم: بل كانوا رسلًا أرسلهم الله إليهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومثّل يا محمد لمشركي قومك مثلًا أصحاب القرية، ذُكر أنها أنطاكية ﴿إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣﴾ اختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل، وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية؛ فقال بعضهم: كانوا رسل عيسى ابن مريم، وعيسى الذي أرسلهم إليهم.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾ قال: ذكر لنا أن

عيسى ابن مريم بعث رجلين من الحواريين إلى أنطاكية -مدينة بالروم- فكذبوهما فأعزهما بثالث ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾، وقال آخرون: بل كانوا رسلًا أرسلهم الله إليهم.

قلت (مصطفى): أما قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾ فحاصل معناه أن الرسل كانوا في أول الأمرين اثنين فعززهم الله بثالث، أي: قواهما برسول ثالث أرسله ربُّه ﷻ مؤيدًا لهما ومُصدقًا لهما، فقالت الرسل (الثلاثة) لأهل القرية: إنا إليكم مرسلون من عند الله ﷻ ندعوكم لتوحيده وعدم الإشراك به.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾ يقول تعالى ذكره: حين أرسلنا إليهم اثنين يدعوانهم إلى الله فكذبوهما فشددناهما بثالث، وقويناهما به.

وقوله: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾ يقول: فقال المرسلون الثلاثة لأصحاب القرية: إنا إليكم أيها القوم مرسلون، بأن تخلصوا العبادة لله وحده، لا شريك له، وتتبرءوا مما تعبدون من الآلهة والأصنام.

وبالتشديد في قوله: ﴿فَعَزَّزۡنَا﴾ قرأت القراء سوى عاصم، فإنه قرأه بالتخفيف، والقراءة عندنا بالتشديد، لإجماع الحجة من القراء عليه، وأن معناه إذا شدد: فقوينا، وإذا خفف: فغلبنا، وليس لغلبنا في هذا الموضع كثير معنى.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ﴾-يا محمد-لقومك الذين كذبوك ﴿مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ

إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

وقوله: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ أي: بادروهما بالتكذيب، (فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ) أي: قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أمر النبي ﷺ بإنذار هؤلاء المشركين أن يحل بهم ما حل بكفار أهل القرية المبعوث إليهم ثلاثة رسل قيل: رسل من الله على الابتداء وقيل: إن عيسى بعثهم إلى أنطاكية للدعاء إلى الله وهو قوله تعالى: (إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ) وأضاف الرب ذلك إلى نفسه لأن عيسى أرسلهما بأمر الرب وكان ذلك حين رُفع عيسى إلى السماء (فَكَذَّبُوهُمَا) قيل: ضربوهما وسجنوهما (فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ) أي: فقوينا وشددنا الرسالة (بِثَالِثٖ).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾.

ج: هذا - والله أعلم - بيانٌ لجواب أصحاب القرية الذي أجابوا به المرسلين الثلاثة، قالوا لهم: ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا، لستم بملائكة، ولو كنتم من عند الله لكنتم ملائكة، وهذا جواب أهل الكفر دائمًا على رسلهم، يقولون: أبشرٌ مثلنا، أبشر يهدوننا، وها هنا قالوا نفس القول الذي يتقوله الكفار دائمًا: (مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ وما أنتم إلا تكذبون

فأجابتهم الرسل بقولهم: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ نبلغكم ما أرسلنا به إليكم بلاغًا مبينًا مُظهرًا لكوننا رسلًا من عند الله، ومظهرًا للحق.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أرسلوا إليهم حين أخبروهم أنهم أرسلوا إليهم بما أرسلوا به: ما أنتم أيها القوم إلا أناس مثلنا، ولو كنتم رسلًا كما تقولون، لكنتم ملائكة ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ يقول: قالوا: وما أنزل الرحمن إليكم من رسالة ولا كتاب ولا أمركم فينا بشيء ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ۝١٥﴾ في قيلكم إنكم إلينا مرسلون.

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ۝١٦﴾ يقول: قال الرسل: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون فيما دعوناكم إليه، وإنا لصادقون.

﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝١٧﴾ يقول: وما علينا إلا أن نبلغكم رسالة الله التي أرسلنا بها إليكم بلاغًا يبين لكم أنا أبلغناكموها، فإن قبلتموها فحظ أنفسكم تصيبون، وإن لم تقبلوها فقد أدينا ما علينا، والله ولي الحكم فيه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ أي: فكيف أوحيَ إليكم وأنتم بشر ونحن بشر، فلم لا أوحيَ إلينا مثلكم؟ ولو كنتم رسلًا لكنتم ملائكة. وهذه شبه كثير من الأمم المكذبة، كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا﴾ **[التغابن: ٦]**، فاستعجبوا من ذلك وأنكروه. وقوله:

(قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝١٠) [إبراهيم: ١٠]. وقوله حكاية عنهم في قوله: (وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ۝٣٤) [المؤمنون: ٣٤]، (وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ۝٩٤) [الإسراء: ٩٤]. ولهذا قال هؤلاء: (مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ۝١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ۝١٦) أي: أجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين: الله يعلم أنا رسله إليكم، ولو كنا كَذَبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار، كقوله تعالى: (قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٥٢﴾.

[العنكبوت: ٥٢]

(وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝١٧﴾ يقولون: إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم، فإذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة، وإن لم تجيبوا فستعلمون غِبَّ ذلك.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝١٧﴾ أي: البلاغ المبين الذي يحصل به توضيح الأمور المطلوب بيانها، وما عدا هذا من آيات الاقتراح، ومن سرعة العذاب، فليس إلينا، وإنما وظيفتنا -التي هي البلاغ المبين- قمنا بها، وبيناها لكم، فإن اهتديتم، فهو حظكم وتوفيقكم، وإن ضللتم، فليس لنا من الأمر شيء.

❁❁❁

س: وضـــح معنـــى قولـــه تعـــالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾؟

ج: معناه ـ والله أعلم ـ: أن أهل الكفر قالوا للمرسلين لما دعوهم إلى الله ﷻ، إنا تشاءمنا بوجودكم ورؤيتكم فكلما رأيناكم حلَّ بنا الشر وحلَّ بنا البلاء والهم والنكد، ولئن لم تقلعوا عن هذا وتنتهوا عما أنتم فيه وعن دعوتكم التي تبذلونها لنرجمنكم قتلًا بالحجارة، وقذفًا بالسباب والشتم وليصيبنكم منا عذاب أليم.

فأجابتهم الرسل بقولهم: إن ما يصيبكم من خيرٍ أو شرٍّ مقدرٌ لكم مكتوب عليكم وملازم لكم وستلقونه حتمًا وما ذلك الذي يصيبكم من شؤمنا، بل قدره الله عليكم لكفركم ولعصيانكم.

أفلكوننا ذكرناكم بالله وتوحيده وعدم الإشراك به ترجموننا وتقذفوننا، إنكم لم تتطيروا بنا فأنتم تعلمون صلاحنا، ولكنكم قوم متجاوزون للحد في الطغيان والمعاصي والكبائر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال أصحاب القرية للرسل: ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾ يعنون: إنا تشاءمنا بكم، فإن أصابنا بلاء، فمن أجلكم.

وأورد عن قتادة بإسنادٍ حسن: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾ قالوا: إن أصابنا شر، فإنما هو من أجلكم.

وقوله: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ يقول: لئن لم تنتهوا عما ذكرتم من أنكم أرسلتم إلينا بالبراءة من آلهتنا، والنهي عن عبادتنا لنرجمنكم، قيل: عني بذلك لنرجمنكم بالحجارة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ) بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨﴾ يقول: ولينالنكم منا عذاب مُوجع.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: قالت الرسل لأصحاب القرية (طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ) يقولون: أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم، ذلك كله في أعناقكم، وما ذلك من شؤمنا إن أصابكم سوء فبما كتب عليكم، وسبق لكم من الله.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ) أي: أعمالكم معكم.

وبنفس الإسناد عنه (أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ) أي: إن ذكرناكم الله تطيرتم بنا؟ (بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩).

وقوله: (بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩) يقول: قالوا لهم: ما بكم التطير بنا، ولكنكم قوم أهل معاصٍ لله وآثام، قد غلبت عليكم الذنوب والآثام.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

فعند ذلك قال لهم أهل القرية: (إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ) أي: لم نرَ على وجوهكم خيرًا في عيشنا.

وقال قتادة: يقولون إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم.

وقال مجاهد: يقولون: لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عذب أهلها.

(لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ): قال قتادة: بالحجارة. وقال مجاهد: بالشتم.

(وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨) أي: عقوبة شديدة. فقالت لهم رسلهم: (طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ) أي: مردود عليكم، كقوله تعالى في قوم فرعون: (فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ) [الأعراف: ١٣١]، وقال قوم صالح: (ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ) [النمل: ٤٧].

وقال قتادة، ووهب بن منبه: أي أعمالكم معكم. وقال تعالى: (وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨) [النساء: ٧٨].

وقوله: (أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩) أي: من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له، قابلتمونا بهذا الكلام، وتوعدتمونا وتهددتمونا؟ بل أنتم قوم مسرفون.

وقال قتادة: أي إن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا، بل أنتم قوم مسرفون.

❁ ❁ ❁

قصة مؤمن مُكرم

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧ ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ۝٢٩﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن أصحاب القرية(١) لما جاءهم المرسلون وكذبوهم، وتوعدوهم بالرجم والعذاب الأليم سمع حينئذٍ بهم رجلٌ بيته في أطراف المدينة، بل في أقصى المدينة فلما أُخبر بأمر المرسلين الثلاثة، وما كان من أمر قومه معهم لم تطب نفسه أن يبقى ساكتًا ماكثًا في بيته، بل رأى لِزامًا عليه أن يناصر المرسلين وأن يشد أزرهم ويقوي عضدهم، فجاء مسرعًا من أطراف المدينة وأقصاها لنصرة الحق، وهذا من فضل الله عليه أن جنَّده لنصرة الحق، ،كذلك فهذا من فضل الله على الدعاة إليه؛ إذ يقيض لهم من يأتي لمناصرتهم دون أن يطلبوا منه ذلك فمن الذي حمل هذا الرجل على أن يأتي من أطراف المدينة ويتكلم بكلمات الحق التي يُنصار بها المرسلين ولا يبالي في نصرة الحق، بل ينطق به حتى يقتل، إن الذي سخَّره لذلك هو الله سبحانه، فأيقنوا معشر الدُّعاة إلى الله أن الله يؤيدكم بنصره ويقيض لكم، وأنتم لا تشعرون من يدافع عنكم.

* فالحاصل أن الرجل جاء من أقصى المدينة مشتدًا مسرعًا ساعيًا يحذر قومه وينذرهم ويوصيهم، يا قوم اتبعوا المرسلين، سيروا على طريقهم واهتدوا بما معهم من الهدى فهم لا يطلبون منكم مالًا على إيمانكم وتصديقكم، بل هم على طريق هداية ورشاد، يريدونكم أن تسلكوا الطريق الذي سلكوه متقربين به إلى الله، يريدون لكم الخير، يريدون لكم السلامة،

(١) والقرية تطلق على مجموعة البيوت المستقرة، ومن ثمَّ ففي الاصطلاح القرية مدينة والمدينة قرية.

فهم على هداية.

هكذا شهد لهم هذا الرجل، وقد قيل إن اسمه حبيب، وعلى هذا أكثر أهل العلم، ولم يأت اسمه في خبرٍ ثابتٍ عن رسول الله ﷺ، وقيل: كان نجارًا، وقيل غير ذلك.

والحاصل أنه رجل مؤمن يصدع بالحق لا يبالي فذكَّر قومه بالحق وآزر المرسلين وشهد لهم بالصدق، ثم صدَّق قولَهُ عمله، فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾ وما المانع لي من عبادة الله خالقي وإليه مرجعي ومرجعكم جميعًا، يحاسب الجميع ويجازيهم. أيعقل أن أعبد آلهة غيره أو أن أعبد معه ربًّا سواه، كلا، فلن يكون، فإن ربي ﷻ إن أرادني بسوءٍ بضرٍّ ـ في بدني أو قلةٍ في مالي أو أي نوع من أنواع الضر ـ وكذا إذا أرادني في الآخرة بمكروه فإن هذه الآلهة المعبودة من دونه لن تشفع لي عند الله، وشفاعتها إن شفعت فليست بمقبولة، فضلًا عن كونها جمادات لا تشفع، ولا تستطيع أن تُنقذني مما حلَّ بي ولا أن تشفيني من مرض، ولا ترد إليَّ عافيتي بعد ابتلائي، إني إذا عبدتهم فقد حكمت على نفسي أنني اخترت طريقًا غير صائب وغير موفق وغير مقربٍ من الله ﷻ.

إني إن عبدتهم فقد حكمت على نفسي بالضلال، من رآني علم أنني ضال بعبادتي لهذه الأوثان والأصنام، ثم جهر بكلمة الحق قائلًا: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥﴾ قال ذلك للجميع، قاله لقومه ولم يُبال بهم، وقال ذلك للمرسلين مستشهدًا إياهم على مقولته لها مؤازرًا لهم، متقربًا بكلمته إلى الله.

فماذا كان لما قال مقولة الحق؟!! إنهم قتلوه!!

فهل ضرَّه القتل بشيء؟!! كـلا بـل أُدخـل الجنَّـة وأكرمـه الله ﷻ بصـنوف النعيم، وأنزله كريم المنازل فكان ناصـحًا لقومـه وللخلـق حيًّـا وميتًـا، فقـال: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ إن ربي قد غفـر لي ذنوبي وأكرمني فيا ليت قومي يعلمون هذا حتى يؤمنوا فينـالوا مثـل مـا نلـت، سبحان الله! فهذا الرجل يتمنى لقومه أن يؤمنوا، وإن كانوا قـد قتلـوه، لكنـه لا يتمنى لهم النار بل يتمنى مع كونهم قتلوه فسيح الجنات بـإيمانهم بـالله. أمـا عـن قومه الذين قتلوه فلم يقدر الله لهـم إيمانًـا ولم يشـأ سـبحانه بـل أخـذتهم جميعًـا صيحةٌ واحدة فإذا هم ميتون، كان أمرهم أحقر من أن تنزل عليهم ملائكـة مـن السماء بل أخذتهم صيحة واحدة فأهلكتهم وأماتتهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ يقـول: وجـاء مـن أقصـى مدينـة هؤلاء القوم الذين أرسلت إليهم هذه الرسل رجل يسعى إليهم؛ وذلك أن أهل المدينة هذه عزموا، واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثـة فيما ذكر، فبلغ ذلك هذا الرجل، وكان منزله أقصى المدينـة، وكـان مؤمنًـا، وكان اسمه فيما ذُكر «حبيب بن مري».

وأورد بإسـنادٍ حسـن عـن قتـادة، قولـه: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ قال: ذكر لنا أن اسمه «حبيب»، وكان فـي غـار يعبد ربـه، فلمـا سمع بهم، أقبل إليهم. وقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾ يقول تعالى ذكره: قـال الرجل الذي جاء من أقصـى المدينـة لقومـه: يـا قوم اتبعوا المرسلين الـذين

أرسلهم الله إليكم، واقبلوا منهم ما أتوكم به.

وذكر أنه لما أتى الرسل سألهم: هل يطلبون على ما جاؤوا به أجرًا؟ فقالت الرسل: لا؛ فقال لقومه حينئذٍ: اتبعوا من لا يسألكم على نصيحتهم لكم أجرًا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: لما انتهى إليهم -يعني إلى الرسل- قال: هل تسألون على هذا من أجر؟ قالوا: لا فقال عند ذلك: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٢١﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢﴾ يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هذا الرجل المؤمن: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: وأي شيء لي لا أعبد الرب الذي خلقني﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢﴾ يقول: وإليه تصيرون أنتم أيها القوم وتردون جميعًا، وهذا حين أبدى لقومه إيمانه بالله وتوحيده.

وقوله: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ يقول: أأعبد من دون الله آلهة، يعني: معبودًا سواه ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ﴾ يقول: إذ مسني الرحمن بضرٍّ وشدة ﴿لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ يقول: لا تغني عني شيئًا بكونها إلي شفعاء، ولا تقدر على رفع ذلك الضر عني ﴿وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣﴾ يقول: ولا يخلصوني من ذلك الضر إذا مسني.

وقوله: ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾ يقول إني إن اتخذت من دون الله آلهة هذه صفتها ﴿إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾ لمن تأمله، جوره عن سبيل الحق.

وقوله: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ۝٢٥﴾ فاختلف في معنى ذلك، فقال

بعضهم: قال هذا القول هذا المؤمن لقومه يعلمهم إيمانه بالله.

وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسل، وقال لهم: اسمعوا قولي لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، وأني قد آمنت بكم واتبعتكم؛ فذكر أنه لما قال هذا القول، ونصح لقومه النصيحة التي ذكرها الله في كتابه وثبوا به فقتلوه.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة قتلهم إياه، فقال بعضهم: رجموه بالحجارة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾) هذا رجل دعا قومه إلى الله، وأبدى لهم النصيحة فقتلوه على ذلك. وذكر لنا أنهم كانوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، حتى أقعصوه وهو كذلك.

وقال آخرون: بل وثبوا عليه، فوطئوه بأقدامهم حتى مات.

وقال في تأويل قوله تعالى: (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾).

يقول تعالى ذكره: قال الله له إذ قتلوه كذلك فلقيه: (ادْخُلِ الْجَنَّةَ) فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله به لإيمانه وصبره فيه (قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي) يقول: يا ليتهم يعلمون أن السبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي، وجعلني من الذين أكرمهم الله بإدخاله إياه جنته، كان إيماني بالله وصبري فيه، حتى قتلت، فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ) فلما دخلها (قَالَ

﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ قال: فلا تلقى المؤمن إلا ناصحًا، ولا تلقاه غاشًّا، فلما عاين من كرامة الله (قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله، وما هجم عليه.

وقال في تأويل قوله تعالى: (﴿۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩﴾).

يقول تعالى ذكره: وما أنزلنا على قوم هذا المؤمن الذي قتله قومه لدعائه إياهم إلى الله ونصيحته لهم (مِنۢ بَعۡدِهِۦ) يعني: من بعد مهلكه (مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ).

واختلف أهل التأويل في معنى الجند الذي أخبر الله أنه لم ينزل إلى قوم هذا المؤمن بعد قتلهموه، فقال بعضهم: عني بذلك أنه لم ينزل الله بعد ذلك إليهم رسالة، ولا بعث إليهم نبيًّا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (﴿۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨﴾) قال: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله (إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩).

وقال آخرون: بل عني بذلك أن الله تعالى ذكره لم يبعث لهم جنودًا يقاتلهم بها، ولكنه أهلكهم بصيحة واحدة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا القول الثاني أولى القولين بتأويل الآية، وذلك أن الرسالة لا يقال لها جند إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك الرسل، فيكون وجهًا، وإن كان

أيضًا من المفهوم بظاهر الآية بعيدًا، وذلك أن الرسل من بني آدم لا ينزلون من السماء والخبر في ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مهلك هذا المؤمن على قومه جندًا وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم.

وقوله: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ۝٢٩﴾ يقول: ما كانت هلكتهم إلا صيحة واحدة أنزلها الله من السماء عليهم.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ نصبًا على التأويل الذي ذكرت، وأن في كانت مضمرًا وذكر عن أبي جعفر المدني أنه قرأه ﴿**إلا صيحة واحدةٌ**﴾ رفعًا على أنها مرفوعة بكان، ولا مضمر في كان.

والصواب من القراءة في ذلك عندي النصب لإجماع الحجة على ذلك، وعلى أن في كانت مضمرًا.

وقوله: ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ۝٢٩﴾ يقول: فإذا هم هالكون.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢﴾ أي: وما المانع لي من عبادة من هو المستحق للعبادة، لأنه الذي فطرني، وخلقني، ورزقني، وإليه مآل جميع الخلق، فيجازيهم بأعمالهم، فالذي بيده الخلق والرزق، والحكم بين العباد، في الدنيا والآخرة، هو الذي يستحق أن يعبد، ويثنى عليه ويمجد، دون من لا يملك نفعًا ولا ضرًّا، ولا عطاءً ولا منعًا، ولا حياةً ولا موتًا ولا نشورًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾: يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم، ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾ أي: على إبلاغ الرسالة، ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١﴾ فيما يدعونكم إليه، من عبادة الله وحده لا شريك له.

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: وما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له، ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾ أي: يوم المعاد، فيجازيكم على أعمالكم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾؟ استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣﴾ أي: هذه الآلهة التي تعبدونها من دونه، لا يملكون من الأمر شيئًا. فإن الله لو أرادني بسوء، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٧] وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا ينقذونني مما أنا فيه، ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤﴾ أي: إن اتخذتها آلهة من دون الله.

وقوله: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥﴾: قال ابن إسحاق[(١)] -فيما بلغه عن ابن عباس وكعب ووهب-يقول لقومه: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ الذي كفرتم به، ﴿فَٱسۡمَعُونِ ٢٥﴾ أي: فاسمعوا قولي.

ويحتمل أن يكون خطابه للرسل بقوله: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ أي: الذي أرسلكم، ﴿فَٱسۡمَعُونِ ٢٥﴾ أي: فاشهدوا لي بذلك عنده. وقد حكاه ابن جرير فقال: وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسل، وقال لهم: اسمعوا قولي، لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، إني آمنت بربكم واتبعتكم.

---

(١) هذا ضعيف عن ابن عباس.

وهذا الذي حكاه عن هؤلاء أظهر في المعنى، والله أعلم.

وأورد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوالًا وآثارًا منها أثر مرسلٌ عزاه لابن أبي حاتم من طريق عبد الملك -يعني: ابن عمير-قال: قال عروة بن مسعود الثقفي للنبي ﷺ: ابعثني إلى قومي أدعوهم إلى الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**إني أخاف أن يقتلوك**». فقال: لو وجدوني نائمًا ما أيقظوني. فقال له رسول الله ﷺ: «**انطلق**». فانطلق فمرَّ على اللات والعزى، فقال: لأصبحنَّك غدًا بما يسوؤك. فغضبت ثقيف، فقال: يا معشر ثقيف، إن اللات لا لات، وإن العُزى لا عُزى، أسلِموا تسلَموا. يا معشر الأحلاف، إن العزى لا عزى، وإن اللات لا لات، أسلموا تسلموا. قال ذلك ثلاث مرات، فرماه رجل فأصاب أكحله فقتله، فبلغ رسولَ الله ﷺ فقال: «**هذا مثله كمثل صاحب يس** ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧﴾».

وآثارًا أخر أوردها ابن كثير فيها مقال أعرضت عنها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨﴾: يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه، غضبًا منه تعالى عليهم؛ لأنهم كذبوا رسله، وقتلوا وليه. ويذكر تعالى: أنه ما أنزل عليهم، وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم، بل الأمر كان أيسر من ذلك. قاله ابن مسعود، فيما رواه ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عنه أنه قال في قوله: ﴿۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: ما كاثرناهم بالجموع. الأمر كان أيسر علينا من ذلك، ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ قال: فأهلك الله ذلك الملك، وأهلك أهل أنطاكية، فبادوا عن وجه الأرض، فلم يبق منهم باقية.

وقيل: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: وما كنا ننزل الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم، بل نبعث عليهم عقابًا يدمرهم.

وقيل: المعنى في قوله: ﴿۞ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من رسالة أخرى إليهم. قاله مجاهد وقتادة. قال قتادة: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله، ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

قال ابن جرير: والأول أصح؛ لأن الرسالة لا تسمى جندًا.

قال المفسرون: بعث الله إليهم جبريل عليه السلام فأخذ بعضادتي باب بلدهم، ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون عن آخرهم، لم يبق فيهم روح تتردد في جسد.

وقال القرطبي رحمه الله:

وفي هذه الآية تنبيه عظيم ودلالة على وجوب كظم الغيظ والحِلم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه، والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه، إلا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل، وهم كفرة عبدة أصنام، فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل النقمة على قومه فأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله: ﴿۞ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: ما

أنزلنا عليهم من رسالة ولا نبيٍّ بعد قتله قاله قتادة ومجاهد والحسن. قال الحسن: الجند الملائكة النازلون بالوحي على الأنبياء وقيل: الجند العساكر، أي: لم أحتج في هلاكهم إلى إرسال جنود ولا جيوش ولا عساكر بل أهلكهم بصيحة واحدة، قال معناه ابن مسعود وغيره فقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨﴾ تصغير لأمرهم أي: أهلكناهم بصيحة واحدة من بعد ذلك الرجل أو من بعد رفعه إلى السماء.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

(يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا
قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢
وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا
فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا
عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ
ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم
مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ
قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا
ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ
ٱلۡمَشۡحُونِ ٤١ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ٤٢ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ
يُنقَذُونَ ٤٣ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٤٤) [يس: ٣٠-٤٤]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ - يَسۡتَهۡزِءُونَ - لَا يَرۡجِعُونَ - لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ - ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ - ٱلۡأَزۡوَٰجَ - وَءَايَةٞ لَّهُمُ - نَسۡلَخُ مِنۡهُ - مُّظۡلِمُونَ - لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ - كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ - يُسَبِّحُونَ - ذُرِّيَّتَهُمۡ - ٱلۡفُلۡكِ - ٱلۡمَشۡحُونِ - فَلَا صَرِيخَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ)	يا ندمًا من العباد على ما فعلوه - يا ويلًا للعباد - يا دعوة العباد على أنفسهم بالحسرة (وهي الانقطاع عن الخير).
(يَسۡتَهۡزِءُونَ)	يسخرون
(لَا يَرۡجِعُونَ)	لا يرجعون أحياء بعد الموت
(لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ)	عندنا مجموعون (يوم القيامة)
(ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ)	الأرض التي لا نبات فيها ولا زرع ولا ثمر
(ٱلۡأَزۡوَٰجَ)	الأصناف، والذكران والإناث
(وَءَايَةٞ لَّهُمُ)	ودليلٌ لهم (على قدرتنا ووحدانيتنا)
(نَسۡلَخُ مِنۡهُ)	نُنزع عنه - نُخرج منه
(مُّظۡلِمُونَ)	داخلون في الظلام
(لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ)	لموضع قرارها - لمكان تستقر فيه (وهو تحت العرش)

﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾	كعذق النخل اليابس المنحني
﴿يَسۡبَحُونَ﴾	يجرون
﴿ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾	قيل آباءهم، وقيل: ذرية آدم عليه السلام، (وثمَّ أقوال أخر)
﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾	السفينة العظيمة
﴿ٱلۡمَشۡحُونِ﴾	الممتلئ
﴿فَلَا صَرِيخَ﴾	مُنقذ - مغيث - من يسمع صريخهم فيجيبهم

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: يا حسرة ستحل بالعباد الكافرين يوم القيامة، ويا عظيم الندم الذي سيحل بهم يوم القيامة، لكونهم كذبوا الرسل في الدنيا، فكلما جاءهم رسولٌ في الدنيا سخروا منه واستهزءوا به.

ويا عظيم التلهف الذي سيصدر منهم، فإنهم يتمنون أن لو كانوا أطاعوا الرسل، ويتلهفون للخروج من النار.

وكأن النداء في قوله: (يَٰحَسۡرَةً) أي: يا حسرةً تعالي وحلِّي بالعباد يوم القيامة فهذا أوانك وأوان حضورك، يا عظيم الندم تعال فهذا مقامك وهذا أوانك، ويمكن أن يؤخذ المعنى اللُّغوي للتحسر من الانحسار ومن معانيه الانقطاع، وعدم الوصول إلى المراد، فيكون المعنى يا عظيم انقطاع هؤلاء عن الخير يوم القيامة بسبب تكذيبهم للرسل، والله أعلم.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يا حسرة من العباد على أنفسها وتندمًا وتلهفًا في استهزائهم برسل الله ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾ من الله ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ وذكر أن ذلك في بعض القراءات ﴿**ياحسرة العباد على أنفسها**﴾.

وأورد عن قتادة بإسناد حسن: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ أي: يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضيعت من أمر الله، وفرطت في جنب الله. قال: وفي بعض القراءات: ﴿**ياحسرة العباد على أنفسها**﴾.

* **وبإسناد ضعيف عن ابن عباس:** يا ويلًا للعباد.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى هذا: يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، كيف كذبوا رسل الله، وخالفوا أمر الله، فإنهم كانوا في الدار الدنيا المكذبون منهم.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ **أي:** يكذبونه ويستهزئون به، ويجحدون ما أرسل به من الحق.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ألم ير هؤلاء الكفار المكذبون للرسل المعاندون للحق كم أهلكنا قبلهم من القرون الكافرة فتلك مساكنهم ظاهرة وبادية قد خربت ودمرت وسقطت سقوفها على جدرانها المائلة المتهدمة،

وها هي أخبارهم قد وصلتهم.

ثم إن هؤلاء الذين أفناهم الله وأبادهم، لا يستطيعون رجوعًا إلى الحياة الدنيا لإصلاح ما أفسدوا، ولعمل صالحٍ بعد فساد العمل، ولإيمان بعد كفرٍ، لا يستطيعون ذلك بحالٍ، فهلّا اعتبر هؤلاء المكذبون؟! هلّا اعتبروا بالموت الذي يحول بينهم وبين الاستدراك والاستعتاب؟؟ ثم إن الجميع، من مات وهلك، ومن هو حي وسيموت، كلٌّ هؤلاء سيحضرون يوم القيامة ويجمعون ويقضي الله ﷻ فيهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ألم ير هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد: كم أهلكنا قبلهم بتكذيبهم رسلنا، وكفرهم بآياتنا من القرون الخالية ﴿أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ۝٣١﴾ يقول: ألم يروا أنهم إليهم لا يرجعون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ۝٣١﴾ قال: عاد وثمود، وقرون بين ذلك كثير.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

و(كَمۡ) من قوله: (﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ في موضع نصب إن شئت بوقوع **(يروا)** عليها. وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: ﴿**ألم يروا من أهلكنا**﴾ وإن شئت بوقوع أهلكنا عليها؛ وأما (أَنَّهُمۡ)، فإن الألف منها فتحت بوقوع **(يروا)** عليها. وذُكر عن بعضهم أنه كسر الألف منها على وجه الاستئناف بها، وترك إعمال يروا فيها.

وقوله: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢﴾ يقول تعالى ذكره: وإن كل هذه القرون التي أهلكناها والذين لم نهلكهم وغيرهم عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في قوله تعالى: ثم قال تعالى:** (أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١) أي: ألم يتعظوا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل، كيف لم تكن لهم إلى هذه الدنيا كرة ولا رجعة، ولم يكن الأمر كما زعم كثير من جهلتهم وفَجَرتهم من قولهم: (إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا) **[المؤمنون: ٣٧]**، وهم القائلون بالدور من الدهرية، وهم الذين يعتقدون جهلًا منهم أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها، فردَّ الله تعالى عليهم باطلهم، فقال: (أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١).

وقوله: (وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢﴾ أي: وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله ﷻ فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها، ومعنى هذه كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ﴾ **[هود: ١١١]**.

وقد اختلف القراء في أداء هذا الحرف؛ فمنهم مَنْ قرأ: ﴿**وَإن كل لَمَا**﴾ بالتخفيف، فعنده أن ﴿**إن**﴾ للإثبات، ومنهم مَنْ شدد (لَمَّا)، وجعل ﴿**إن**﴾ نافية، و(لَمَّا) بمعنى (إِلَّا) تقديره: وما كل إلا جميع لدينا محضرون، ومعنى القراءتين واحد، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

بعض الاستدلالات على البعث

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: ودلالة للخلق على وحدانيتنا وقدرتنا على إحياء الخلق بعد موتهم، هذه الأرض الميتة التي لا نبات فيها ولا زرع ولا ثمر، فأحييناها بالغيث الذي أنزلناه من السماء فأنبتنا فيها النباتات وأخرجنا منها الثمار، وكذا السنابل وغيرها التي منها الحبوب فمنها يأكلون، وكذا جعلنا بما أنزلناه من السماء من ماء حدائق وبساتين عظيمة من نخيل وأعناب وكذلك فجرنا في الأرض وفي البساتين والحدائق تلك العيون التي تضخ الماء.

كل ذلك خلقناه لهم وجعلناه لهم ليأكلوا من ثمار النخيل والأعناب وغيرها من الثمار التي أثمرها الله لهم، وتلك التي زرعوها بأيديهم وغرسوها بأيديهم فأنبتها الله لهم.

أفلا يقدمون لذلك شكرًا لله، شكرًا متمثلًا في توحيده وإفراده بالعبادة، شكرًا متمثلًا في الإحسان إلى الخلق وشكر الخالق وحمده.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ودلالة لهؤلاء المشركين على قدرة الله على ما يشاء، وعلى إحيائه مَنْ مات مِنْ خلقه وإعادته بعد فنائه، كهيئته قبل مماته إحياؤه الأرض الميتة، التي لا نبت فيها ولا زرع بالغيث الذي ينزله من

السماء حتى يخرج زرعها، ثم إخراجه منها الحب الذي هو قوت لهم وغذاء، فمنه يأكلون.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا في هذه الأرض التي أحييناها بعد موتها بساتين من نخيل وأعناب ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾ يقول: وأنبعنا فيها من عيون الماء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أنشأنا هذه الجنات في هذه الأرض ليأكل عبادي من ثمره، وما عملت أيديهم يقول: ليأكلوا من ثمر الجنات التي أنشأنا لهم، وما عملت أيديهم مما غرسوا هم وزرعوا. و﴿ما﴾ التي في قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ في موضع خفض عطفًا على الثمر، بمعنى: ومن الذي عملت؛ وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر: ﴿ومما عملته﴾ بالهاء على هذا المعنى، فالهاء في قراءتنا مضمرة؛ لأن العرب تضمرها أحيانًا، وتظهرها في صلات: من، وما، والذي. ولو قيل: ﴿ما﴾ بمعنى المصدر كان مذهبًا، فيكون معنى الكلام: ومن عمل أيديهم، ولو قيل: إنها بمعنى الجحد ولا موضع لها كان أيضًا مذهبًا، فيكون معنى الكلام: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم. وقوله: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يقول: أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق من هذه الأرض الميتة التي أحييناها لهم من رزقهم ذلك وأنعم عليهم به؟

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

يقول تعالى: (وَءَايَةٌ لَّهُمُ) أي: دلالة لهم على وجود الصانع(١) وقدرته التامة وإحيائه الموتى (ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ) أي: إذا كانت ميتة هامدة لا شيء فيها من النبات، فإذا أنزل الله عليها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج؛ ولهذا قال: (أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾) أي: جعلناه رزقًا لهم ولأنعامهم، (وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾) أي: جعلنا فيها أنهارًا سارحة في أمكنة، يحتاجون إليها ليأكلوا من ثمره. لما امتن على خلقه بإيجاد الزروع لهم عَطَف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها.

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله: (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) أي: وما ذلك كله إلا من رحمة الله بهم، لا بسعيهم ولا كدهم، ولا بحولهم وقوتهم. قاله ابن عباس وقتادة؛ ولهذا قال: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾؟ أي: فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى؟ واختار ابن جرير -بل جزم به، ولم يحك غيره إلا احتمالًا-أن ﴿ما﴾ في قوله: (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) بمعنى: ﴿الذي﴾، تقديره: ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم، أي: غرسوه ونصبوه، قال: وهي كذلك في قراءة ابن مسعود: **(ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أفلا يشكرون﴾**.

قلت (مصطفى): وفي قوله تعالى: (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) قولان:

أحدهما: مبني على أن ﴿ما﴾ اسم موصول بمعنى الذي، وهو المعنى الذي قدمناه.

---

(١) يكثر البعض من استعمال اسم الصانع، ولم أره في آية ولا في حديث صحيح.

والثاني: أن (ما) نافية، أي: ليأكلوا من ثمره وما صنعته أيديهم، أي: ولم تصنعه أيديهم، وما كانوا يستطيعون أن يفعلوه إلا بإذن الله ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ **[الواقعة: ٦٣، ٦٤]**.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

لا موضع لها فلا تحتاج إلى صلة ولا راجع أي: ولم تعمله أيديهم من الزرع الذي أنبته الله لهم وهذا قول ابن عباس والضحاك ومقاتل وقال غيرهم: المعنى ومن الذي عملته أيديهم أي: من الثمار ومن أصناف الحلاوات والأطعمة ومما اتخذوا من الحبوب بعلاج كالخبز والدهن المستخرج من السمسم والزيتون وقيل: يرجع ذلك إلى ما يغرسه الناس روي معناه عن ابن عباس أيضًا ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ نعمه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: تنزّه ربنا وخالقنا وإلهنا عما يصفه به الواصفون المشركون، وتنزه ربنا عن الشريك والمثيل والندِّ والصاحبة والولد، تنزه عن أن يكون له شريك في الملك، تنزه عن كل نقص وعيب تنزه ربنا وخالقنا وإلهنا الذي خلق الأصناف كلها الذي خلق كل صنف، وكل ذكر وأنثى مما تنبته الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمونه أيضًا، فقد خلق ما يعلمه عبيده، وما لا يعلمون كذلك.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: تنزيهًا وتبرئة للذي خلق الألوان المختلفة كلها من نبات الأرض، ومن أنفسهم، يقول: وخلق من أولادهم ذكورًا وإناثا، ومما لا يعلمون أيضًا من الأشياء التي لم يطلعهم عليها، خلق كذلك أزواجًا مما يضيف إليه هؤلاء المشركون، ويصفونه به من الشركاء وغير ذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: من زروع وثمار ونبات. ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فجعلهم ذكرًا وأنثى، ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: من مخلوقات شتى لا يعرفونها، كما قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: ٤٩].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ نزه نفسه سبحانه عن قول الكفار؛ إذ عبدوا غيره مع ما رأوه من نعمه وآثار قدرته وفيه تقدير الأمر أي: سبحوه ونزهوه عما لا يليق به، وقيل: فيه معنى التعجب أي: عجبًا لهؤلاء في كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه الآيات ومن تعجب من شيء قال: سبحان الله! والأزواج والأنواع والأصناف فكل زوج صنف؛ لأنه مختلف في الألوان والطعوم والأشكال والصغر والكبر، فاختلافها هو ازدواجها وقال قتادة: يعني الذكر والأنثى ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ يعني: من النبات لأنه أصناف ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني: وخلق منهم أولادًا أزواجًا ذكورًا وإناثا ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: من أصناف خلقه في البر والبحر والسماء

والأرض، ثم يجوز أن يكون ما يخلقه لا يعلمه البشر وتعلمه الملائكة ويجوز ألا يعلمه مخلوق ووجه الاستدلال في هذه الآية أنه إذا انفرد بالخلق فلا ينبغي أن يشرك به.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وعلامة لهم ودليلٌ لهم على قدرتنا ووحدانيتنا هذا الليل الذي يرونه وجعلناه لهم سكنًا، ننزع عنه النهار ونخرج منه النهار فيبقى ليلًا مُظلمًا سكنًا هادئًا، فإذا هم داخلون في الظلام.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ودليل لهم أيضًا على قدرة الله على فعل كل ما شاء (ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ) يقول: ننزع عنه النهار. ومعنى ﴿مِنۡهُ﴾ في هذا الموضع: عنه، كأنه قيل: نسلخ عنه النهار، فنأتي بالظلمة ونذهب بالنهار. ومنه قوله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] أي: خرج منها وتركها، فكذلك انسلاخ الليل من النهار. وقوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾ يقول: فإذا هم قد صاروا في ظلمة بمجيء الليل.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾ قال: يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، وهذا

الذي قاله قتادة في ذلك عندي، من معنى سلخ النهار من الليل، بعيد، وذلك أن إيلاج الليل في النهار، إنما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا في ساعات الآخر، وليس السلخ من ذلك في شيء؛ لأن النهار يسلخ من الليل كله، وكذلك الليل من النهار كله، وليس يولج كل الليل في كل النهار، ولا كل النهار في كل الليل.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ومن الدلالة لهم على قدرته تعالى العظيمة خلق الليل والنهار، هذا بظلامه وهذا بضيائه، وجعلهما يتعاقبان، يجيء هذا فيذهب هذا، ويذهب هذا فيجيء هذا، كما قال: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ ولهذا قال ﷻ هاهنا: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: نصرمه منه فيذهب، فيقبل الليل؛ ولهذا قال: ﴿فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ۝٣٧﴾ كما جاء في الحديث: **«إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم»**.

هذا هو الظاهر من الآية.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: وعلامة دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب إلاهيته، والسلخ: الكشط والنزع يقال: سلخه الله من دينه، ثم تستعمل بمعنى الإخراج وقد جعل ذهاب الضوء ومجيء الظلمة كالسلخ من الشيء وظهور المسلوخ فهي استعارة و﴿مُّظۡلِمُونَ ۝٣٧﴾ داخلون في الظلام يقال: أظلمنا أي: دخلنا في ظلام الليل وأظهرنا دخلنا في وقت

الظهر وكذلك أصبحنا وأضحينا وأمسينا وقيل: ﴿مِنۡهُ﴾ بمعنى: عنه، والمعنى: نسلخ عنه ضياء النهار ﴿فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾ أي: في ظلمة لأن ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء فإذا خرج منه أظلم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ﴾ على نفوذ مشيئة الله، وكمال قدرته، وإحيائه الموتى بعد موتهم. ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: نزيل منه الضياء العظيم الذي طبق الأرض، فنبدله بالظلمة، ونحلها محله ﴿فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ما ورد عن النبي ﷺ عند البخاري[1] وغيره من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال: «**يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله:** ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾».

وفي رواية أخرى عند البخاري أيضًا: عن أبي ذر؛ قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾، قال: «**مستقرها تحت العرش**».

وفي رواية[2] أيضًا:

---

(١) البخاري (٤٨٠٣).

(٢) انظر البخاري (٣١٩٩)، واللفظ لأحمد (٥/١٥٢).

عن أبي ذر قال: كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد حين وجبت الشمس، فقال: «**يا أبا ذر؛ تدري أين تذهب الشمس؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها** ﷻ، **فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت. فترجع إلى مطلعها، وذلك مستقرها، ثم قرأ:** ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾».

فالحاصل - والله أعلم - أن الشمس تجري كل يوم حتى تستقر تحت العرش وتستأذن ربها للطلوع فيؤذن لها - على ما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ.

وهذا كله بتقدير الله ﷻ العزيز الذي لا يُمانع من شيء أراده، العزيز كذلك في انتقامه من أعدائه، العليم بكل شيء.

قال الطبري رحمه الله**:**

وقوله: (وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا) يقول تعالى ذكره: والشمس تجري لموضع قرارها، بمعنى: إلى موضع قرارها؛ وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ (١).

وأورد خبر أبي ذر الذي ذكرناه عن رسول الله ﷺ ثم قال رحمه الله.

وقوله: (ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨) يقول: هذا الذي وصفنا من جري الشمس لمستقرّ لها، تقدير العزيز في انتقامه من أعدائه، العليم بمصالح خلقه، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يخفى عليه خافية.

وأورد ابن كثير قول آخر فقال:

---

(١) قلت: ولا قول لأحدٍ مع قول رسول الله ﷺ.

والقول الثاني: أن المراد بمستقرها هو: منتهى سيرها، وهو يوم القيامة، يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور، وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني.

قال قتادة: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أي: لوقتها ولأجل لا تعدوه.

وقال ابن كثير أيضًا:

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ أي: الذي لا يخالف ولا يُمانَع، ﴿الْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ بجميع الحركات والسكنات، وقد قدر ذلك وقنَّنَه على منوال لا اختلاف فيه ولا تعاكس، كما قال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٩٦﴾ [الأنعام: ٩٦]. وهكذا ختم آية ﴿حم﴾ السجدة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝١٢﴾ [فصلت: ١٢].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ **في «تيسير الكريم الرحمن»:**

وكذلك نزيل هذه الظلمة، التي عمتهم وشملتهم، فتطلع الشمس، فتضيء الأقطار، وينتشر الخلق لمعاشهم ومصالحهم، ولهذا قال: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أي: دائمًا تجري لمستقر لها، قدره الله لها، لا تتعداه، ولا تقصر عنه، وليس لها تصرف في نفسها، ولا استعصاء على قدرة الله تعالى. ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ الذي بعزته دبر هذه المخلوقات العظيمة، بأكمل تدبير، وأحسن نظام. ﴿الْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ الذي بعلمه، جعلها مصالح لعباده، ومنافع في دينهم ودنياهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وجعلنا للقمر منازل ينزلها كل ليلة فيتناقص بعد تمامه واستوائه تدريجيًّا حتى يكون في آخر الشهر كعذق النخلة المتيبس المنحني.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ أي: جعلناه يسير سيرًا آخر يستدل به على مضي الشهور، كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ ﴾ الآية [يونس: ٥]، وقال: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٢]، فجعل الشمس لها ضوء يخصها، والقمر له نور يخصه، وفاوت بين سير هذه وهذا، فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد، ولكن تنتقل في مطالعها ومغاربها صيفًا وشتاء، يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل، ثم يطول الليل ويقصر النهار، وجعل سلطانها بالنهار، فهي كوكب نهاري. وأما القمر، فقدره منازل، يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلًا قليل النور، ثم يزداد نورًا في الليلة الثانية، ويرتفع منزلة، ثم كلما ارتفع ازداد ضياء، وإن كان مقتبسًا من الشمس، حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر، حتى يصير كالعرجون القديم.

قال ابن عباس: وهو أصل العِذْق.

وقال مجاهد: العرجون القديم: أي العذق اليابس.

يعني ابن عباس: أصل العنقود من الرطب إذا عتق ويبس وانحنى، وكذا قال غيرهما. ثم بعد هذا يبديه الله جديدًا في أول الشهر الآخر.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلفت القراء في قراءة قوله: (وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ) فقرأه بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين: ﴿**والقمر**﴾ رفعًا عطفًا بها على الشمس؛ إذ كانت الشمس معطوفة على الليل، فأتبعوا القمر أيضًا الشمس في الإعراب؛ لأنه أيضًا من الآيات، كما الليل والنهار آيتان، فعلى هذه القراءة تأويل الكلام: وآية لهم القمر قدرناه منازل. وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين، وعامة قراء الكوفة نصبًا (وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ) بمعنى: وقدرنا القمر منازل، كما فعلنا ذلك بالشمس، فردوه على الهاء من الشمس في المعنى؛ لأن الواو التي فيها للفعل المتأخر.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، فتأويل الكلام: وآية لهم، تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه، حتى عاد كالعرجون القديم؛ والعرجون: من العذق من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريخ؛ وإنما شبهه جلَّ ثناوه بالعرجون القديم، والقديم هو اليابس؛ لأن ذلك من العذق، لا يكاد يوجد إلا متقوسًا منحنيًا إذا قدم ويبس، ولا يكاد أن يصاب مستويًّا معتدلًا كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكذلك القمر إذا كان في آخر الشهر قبل استسراره، صار في انحنائه وتقوسه نظير ذلك

العرجون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ ينزل بها، كل ليلة ينزل منها واحدة، (حَتَّىٰ) صغُرَ جدًّا، فيعود (كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩﴾ أي: عرجون النخلة، الذي من قدمه نشَّ وصغر حجمه وانحنى، ثم بعد ذلك، ما زال يزيد شيئًا فشيئًا، حتى يتم [نوره] ويتسق ضياؤه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: لا الشمس تستطيع أن تدخل في الليل وتذهب بضياء القمر، وكذا لا يستطيع الليل أن يجري بسرعة ويسبق النهار بل كلٌّ يلحق بالآخر ليس بينهما مدة، فإذا ذهب هذا جاء هذا كما قال: (يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا) **[الأعراف: ٥٤]**، فمعنى: ولا الليل سابق النهار أي: ليس يسبقه بمدة زمنية ويتخلف النهار عن إدراكه ويكون بينهما فاصل زمني، فكل هذا لا يحدث، بل كلٌّ يجري في مجراه ويتتبع الآخر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ يقول تعالى ذكره: لا الشمس يصلح لها إدراك القمر، فيذهب ضوؤها بضوئه، فتكون الأوقات كلها نهارًا لا ليل فيها ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا الليل بفائت

النهار حتى تذهب ظلمته بضيائه، فتكون الأوقات كلها ليلًا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ ولكل حدٍّ وعلم لا يعدوه، ولا يقصر دونه؛ إذا جاء سلطان هذا، ذهب سلطان هذا، وإذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ يقول: وكل ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يجرون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾: قال مجاهد: لكل منهما حدٌّ لا يعدوه ولا يقصر دونه، إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا.

وقوله: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾: يقول: لا ينبغي إذا كان الليلُ أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار، فسلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل.

وقال مجاهد: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ يطلبان حثيثين، ينسلخ أحدهما من الآخر.

والمعنى في هذا: أنه لا فترة بين الليل والنهار، بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ؛ لأنهما مسخران دائبين يتطالبان طلبًا حثيثًا.

وقوله: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ يعني: الليل والنهار، والشمس والقمر، كلهم يسبحون، أي: يدورون في فلك السماء.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات المباركات: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: ودلالة لهم، وعلامة لهم على قدرتنا ووحدانيتنا وفضلنا عليهم وإنعامنا، أننا حملنا ذرية أبيهم آدم عليه السلام مع نوح عليه السلام في السفينة العظيمة التي حملت من كل زوجين اثنين، وقيل: إن المراد بالذرية الآباء والأجداد، أي: آباء المخاطبين وأجدادهم، وسيأتي لها مزيد إن شاء الله.

أما قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فالمراد وخلقنا لهم من مثل هذه الباخرة العظيمة التي حُمل فيها نوح عليه السلام ومن معه بواخر وسفنًا مثلها وإن اختلفت أحجامها كي يركبوا فيها.

فقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي: من مثل هذه البواخر والسفن بواخرَ وسفنًا.

وقال البعض: إن المراد بقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي: الإبل ونحوها التي يحملون عليها.

والقول الأول أولى؛ لأن الله قال بعدها: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ فدلَّ ذلك على أنها السفن.

أما قوله: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ أي: فلا أحد يسمع قولهم وصراخهم فينقذهم، أي: فلا مُنقذ لهم ولا مُغيث لهم، ولكن برحمتنا حملناهم في الفلك كما حملنا آباءهم، ومتعناهم إلى حين انتهاء آجالهم، والله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ودليل لهم أيضًا، وعلامة على قدرتنا على كل ما نشاء، حملنا ذريتهم، يعني: من نجا من ولد آدم في سفينة نوح، وإياها عني جلَّ ثناؤه بالفلك المشحون؛ والفلك: هي السفينة، والمشحون: المملوء الموقر.

وأورد الطبري عدة أسانيد تفيد أن المشحون هو الموقر الممتلئ، وأن المراد بالفلك سفينة نوح عليه السلام، وأورد الطبري قول ابن زيد بإسناد صحيح عنه.

قال ابن زيد في قوله: ﴿ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ قال: الفلك المشحون: المركب الذي كان فيه نوح، والذرية التي كانت في ذلك المركب؛ قال: والمشحون: الذي قد شحن، الذي قد جعل فيه ليركبه أهله، جعلوا فيه ما يريدون، فربما امتلأ وربما لم يمتلئ.

وقال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وخلقنا لهؤلاء المشركين المكذبيك يا محمد، تفضلًا منَّا عليهم، من مثل ذلك الفلك الذي كنا حملنا من ذرية آدم من حملنا فيه الذي يركبونه من المراكب.

ثم اختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله: ﴿مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فقال بعضهم: هي السفن.

وأورد أقوالًا في تفسير قوله تعالى: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ حاصلها قولان:

أحدهما: السفن التي ينتفع بها.

والثاني: الإبل.

قال الطبري رحمه الله:

وأشبه القولين بتأويل ذلك قول من قال: عني بذلك السفن، وذلك لدلالة قوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ على أن ذلك كذلك، وذلك أن الغرق معلوم أن لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البر.

وقوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن نشأ نغرق هؤلاء المشركين إذا ركبوا الفلك في البحر ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ يقول: فلا مغيث لهم إذا نحن غرقناهم يغيثهم، فينجيهم من الغرق.

وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يقول: ولا هو ينقذهم من الغرق شيء إن نحن أغرقناهم في البحر، إلا أن ننقذهم نحن رحمة منا لهم، فننجيهم منه.

وقوله: ﴿وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ يقول: ولنمتعهم إلى أجل هم بالغوه، فكأنه قال: ولا هم ينقذون، إلا أن نرحمهم فنمتعهم إلى أجل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

يقول تعالى: ودلالة لهم أيضًا على قدرته تعالى: تسخيره البحر ليحمل السفن، فمن ذلك - بل أوله - سفينة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التي أنجاه الله تعالى فيها بمن معه من المؤمنين، الذين لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم غيرهم؛ ولهذا قال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: آباءهم، ﴿فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ أي: في السفينة المملوءة من الأمتعة والحيوانات، التي أمره الله أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين.

جنح ابن كثير إلى أن المراد بقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ السفن، فقال بعد إيراد قول من قال إنها السفن:

ويُقوِّي هذا المذهب في المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ

﴿١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ١٢﴾ [الحاقة:١١-١٢].

وقوله: (وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ) يعني: الذين في السفن، (فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ) أي: فلا مغيث لهم مما هم فيه، (وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ٤٣) أي: مما أصابهم. (إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا) وهذا استثناء منقطع، تقديره: ولكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر، ونُسَلِّمكم إلى أجل مسمى؛ ولهذا قال: ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ٤٤﴾ أي: إلى وقت معلوم عند الله.

❁ ❁ ❁

س: كيف قيل: (وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ ...﴾ والمحمول هم الآباء الذين كانوا مع نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

ج: من أهل العلم من قال: إن المراد بالذرية ذرية آدم ومنهم من قال: أراد بالذرية الآباء، وهناك أقوالٌ أخر.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ٤١) من أشكل ما في السورة لأنهم هم المحمولون فقيل: المعنى وآية لأهل مكة أنا حملنا ذرية القرون الماضية (فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ٤١) فالضميران مختلفان ذكره المهدوي وحكاه النحاس عن علي بن سليمان أنه سمعه يقوله وقيل: الضميران جميعًا لأهل مكة على أن يكون ذرياتهم أولادهم وضعفاءهم، فالفلك على القول الأول: سفينة نوح، وعلى الثاني: يكون اسمًا للجنس خبر جل وعز بلطفه وامتنانه أنه خلق السفن يحمل فيها من يصعب عليه المشي والركوب من الذرية والضعفاء فيكون الضميران على هذا متفقين، وقيل: الذرية الآباء

والأجداد حملهم الله تعالى في سفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فالآباء ذرية والأبناء ذرية بدليل هذه الآية قاله أبو عثمان وسمي الآباء ذرية لأن منهم ذرأ الأبناء وقول رابع: إن الذرية النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهًا بالفلك المشحون قاله علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذكره الماوردي.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

أي: ودليل لهم وبرهان على أن الله وحده المعبود؛ لأنه المنعم بالنعم، الصارف للنقم، الذي من جملة نعمه (أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) قال كثير من المفسرين: المراد بذلك: آباؤهم.

(وَخَلَقْنَا لَهُم) أي: للموجودين من بعدهم (مِّن مِّثْلِهِۦ) أي: من مثل ذلك الفلك، أي: جنسه (مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾) ﴾ به، فذكر نعمته على الآباء بحملهم في السفن؛ لأن النعمة عليهم، نعمة على الذرية. وهذا الموضع من أشكل المواضع عليَّ في التفسير، فإن ما ذكره كثير من المفسرين، من أن المراد بالذرية الآباء، مما لا يعهد في القرآن إطلاق الذرية على الآباء، بل فيها من الإبهام، وإخراج الكلام عن موضوعه، ما يأباه كلام رب العالمين، وإرادته البيان والتوضيح لعباده.

وثَمَّ احتمال أحسن من هذا، وهو أن المراد بالذرية الجنس، وأنهم هم بأنفسهم؛ لأنهم هم من ذرية بني آدم، ولكن ينقض هذا المعنى قوله: (وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾) إن أريد: وخلقنا من مثل ذلك الفلك، أي: لهؤلاء المخاطبين، ما يركبون من أنواع الفلك، فيكون ذلك تكريرًا للمعنى، تأباه فصاحة القرآن. فإن أريد بقوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ الإبل، التي

هي سفن البر، استقام المعنى واتضح، إلا أنه يبقى أيضًا، أن يكون الكلام فيه تشويش، فإنه لو أريد هذا المعنى، لقال: وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَاهم فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ، فأما أن يقول في الأول: وحملنا ذريتهم، وفي الثاني: حملناهم، فإنه لا يظهر المعنى إلا أن يقال: الضمير عائد إلى الذرية، والله أعلم بحقيقة الحال.

فلما وصلت في الكتابة إلى هذا الموضع، ظهر لي معنى ليس ببعيد من مراد الله تعالى، وذلك أن من عرف جلالة كتاب الله وبيانه التام من كل وجه، للأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وأنه يذكر من كل معنى أعلاه وأكمل ما يكون من أحواله، وكانت الفلك من آياته تعالى ونعمه على عباده، من حين أنعم عليهم بتعلمها إلى يوم القيامة، ولم تزل موجودة في كل زمان، إلى زمان المواجهين بالقرآن.

فلما خاطبهم الله تعالى بالقرآن، وذكر حالة الفلك، وعلم تعالى أنه سيكون أعظم آيات الفلك في غير وقتهم، وفي غير زمانهم، حين يعلمهم صنعة الفلك البحرية الشراعية منها والبخارية، والجوية السابحة في الجو، كالطيور ونحوها، والمراكب البرية مما كانت الآية العظمى فيه لم توجد إلا في الذرية، نبَّه في الكتاب على أعلى نوع من أنواع آياتها فقال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ٤١﴾ أي: المملوء ركبانا وأمتعة. فحملهم الله تعالى، ونجاهم بالأسباب التي علمهم الله بها، من الغرق.

ولهذا نبههم على نعمته عليهم؛ حيث أنجاهم مع قدرته على ذلك، فقال: ﴿وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ﴾ أي: لا أحد يصرخ لهم فيعاونهم على

الشدة، ولا يزيل عنهم المشقة، ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾﴾ مما هم فيه.

❀ ❀ ❀

قال الله تعالى:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٥ وَمَا تَأۡتِيهِم
مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤٦ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ
أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨
مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ٤٩ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ
تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ٥٠ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ
إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ٥١ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٥٢ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ
جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٥٣ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا
كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٥٤ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥ هُمۡ
وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ
٥٧ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩)

[يس: ٤٥-٥٩]

س: اذكر معنى ما يلي:

(ٱتَّقُواْ – مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ – وَمَا خَلْفَكُمْ – ءَايَةٍ – صَيْحَةً وَٰحِدَةً – ٱلْوَعْدُ – يَخِصِّمُونَ – تَوْصِيَةً – ٱلصُّورِ – ٱلْأَجْدَاثِ – يَنسِلُونَ – شُغُلٍ – فَٰكِهُونَ – ظِلَٰلٍ – ٱلْأَرَآئِكِ – مُتَّكِـُٔونَ – مَّا يَدَّعُونَ – سَلَٰمٌ قَوْلًا – وَٱمْتَٰزُواْ).

ج:

الكلمة	معناها
(ٱتَّقُواْ)	احذروا ـ اجعلوا وقاية بينكم وبين العذاب
(مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ)	العقوبات التي حلّت بالأمم من قبلكم
(وَمَا خَلْفَكُمْ)	والعقوبات التي ستحل بمن كذبوا يوم القيامة (وقيل العكس)
(ءَايَةٍ)	دلالة على وحدانيتنا ـ معجزة
(صَيْحَةً وَٰحِدَةً)	النفخة في الصور (النفخة الأولى)
(ٱلْوَعْدُ)	ما وعدتمونا من العذاب ومن قيام الساعة
(يَخِصِّمُونَ)	يتخاصمون بينهم في أمور الدنيا يجادلون في يوم القيامة (أيقع أم لا يقع) يغلب بعضهم بعضًا في الخصومة
(تَوْصِيَةً)	كتاب وصية ـ إخبار بوصية (إخبار بما يريدونه أن يقع بعد الوفاة)
(ٱلصُّورِ)	قرنٌ يُنفخ فيه
(ٱلْأَجْدَاثِ)	القبور

(يَنسِلُونَ)	يخرجون مسرعين - يُسرعون
(شُغُلٍ)	انشغال وعملٌ (انشغال عما فيه أهل النار) وعمل يتلذذون به من طعام لذيذ واستمتاع بالنساء وافتضاض للأبكار
(فَـٰكِهُونَ)	فرحون - معجبون - متلذذون - متفكهون بالكلام وبالطعام وبالتلذذ ونحو ذلك
(ظِلَـٰلٍ)	جمع ظل
(ٱلۡأَرَآئِكِ)	الأسرَّة في الحجال، والأسرة جمع سرير والحجال: جمع حجلة، وهي أشبه بالناموسية من حيث الوصف العام كالغرفة من حرير تحيط بالسرير
(مُتَّكِـُٔونَ)	جالسون جلسة الاتكاء وهي الميل بأحد الشقين على السرير أو على مسند. وقيل: الاتكاء: التربع، وهي جلسة تنمُّ عن راحة البال والهدوء.
(مَّا يَدَّعُونَ)	ما يتمنون - ما يطلبون - ما يسألون
(سَلَـٰمٌ قَوۡلًا)	سلام من الله عليهم يقوله الله قولًا لهم بنفسه ﷻ. وقيل: (وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ): أي: لكم ما سألتم خالصًا لكم
(وَٱمۡتَـٰزُواْ)	تميَّزوا - انفصلوا - انعزلوا - ابتعدوا

❁ ❁ ❁

بيان عناد الكفار وشقاقهم ومخالفتهم للرسل

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وإذا قيل لأهل الشرك بالله والتكذيب لرسله احذروا النقم والعقوبات التي حلَّت بالأمم التي كانت من قبلكم احذروا أن يحل بكم مثل ما حلَّ بهم، واحذروا الذنوب التي تسبب لكم مثل تلك النقم، وتسبب تلك العقوبات لعل الله أن يرحمكم بتقواكم ويصرف عنكم العذاب، وكذا احذروا عذاب الآخرة.

إذا قيل لهم ذلك أعرضوا واستمروا معرضين فكلما جاءتهم آية من الآيات الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا وانتقامنا ممن خالفوا أمرنا وكذبوا رسلنا أعرضوا عنها وانصرفوا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله، المكذبين رسوله محمدًا ﷺ: احذروا ما مضى بين أيديكم من نقم الله ومثلاته بمن حل ذلك به من الأمم قبلكم أن يحل مثله بكم بشرككم وتكذيبكم رسوله. ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ يقول: وما بعد هلاككم مما أنتم لاقوه إن هلكتم على كفركم الذي أنتم عليه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ يقول: ليرحمكم ربكم إن أنتم حذرتم ذلك، واتقيتموه بالتوبة من شرككم والإيمان به، ولزوم طاعته فيما أوجب عليكم من فرائضه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: وقائع

الله فيمن خلا قبلهم من الأمم وما خلفهم من أمر الساعة.

وقوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وما تجيء هؤلاء المشركين من قريش آية -يعني: حجة من حجج الله- وعلامة من علاماته على حقيقة توحيده، وتصديق رسوله، إلا كانوا عنها معرضين، لا يتفكرون فيها، ولا يتدبرونها، فيعلموا بها ما احتج الله عليهم بها.

فإن قال قائل: وأين جواب قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾؟ قيل: جوابه وجواب قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ ...﴾ قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾؛ لأن الإعراض منهم كان عن كل آية لله، فاكتفي بالجواب عن قوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ وعن قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ بالخبر عن إعراضهم عنها لذلك؛ لأن معنى الكلام: وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا، وإذا أتتهم آية أعرضوا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

يقول تعالى مخبرًا عن تمادي المشركين في غيِّهم وضلالهم، وعدم اكتراثهم بذنوبهم التي أسلفوها، وما هم يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ قال مجاهد: من الذنوب. وقال غيره بالعكس، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه. وتقدير كلامه: أنهم لا يجيبون إلى ذلك ويعرضون عنه. واكتفى عن ذلك بقوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: على التوحيد وصدق الرسل ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أي: لا يتأملونها ولا ينتفعون بها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولـه تعـالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ قـال قتـادة: يعنـي: ﴿ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: من الوقائع فيمن كان قبلكم من الأمم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من الآخرة. ابن عباس وابن جبير ومجاهد: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ ما مضى من الذنوب ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ ما يأتي من الذنوب. الحسن: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ ما مضى من أجلكم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ ما بقي منه وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة قاله سفيان وحكى عكس هذا القول الثعلبي عن ابن عباس قال: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ مـن أمـر الآخـرة ومـا عملـوا لهـا ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ مـن أمـر الـدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها. وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ ما ظهر لكم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ ما خفي عنكم والجواب محذوف والتقدير: إذا قيل لهم ذلك أعرضوا، دليله قولـه بعد: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ فـاكتفى بهـذا عن ذلك.

❋ ❋ ❋

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾.

ج: المعنـى - والله أعلـم -: وإذا قيـل لأهـل الكفـر والجحـود والنكـران والتكذيب بوحدانيـة الله: أنفقوا علـى الفقراء والمساكين والمحـاويج، وكذا ابذلوا من المـال الـذي رزقكم مـا كـان جوابهم لأهل الإيمـان إلا السـخرية والاستهزاء، ما كان جوابهم إلا أن قالوا: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه؟!! أي: دعوا الفقير فقيرًا، فلو أراد الله لـه الغنى لأغناه، فقولهم: أنطعم من لـو

يشاء الله أطعمه، كلمةُ حقٍّ أريد بها باطل، وذلك أنهم استدلوا به على البخل وحرمان الفقراء والمساكين، في الوقت الذي أمرهم فيه بالإنفاق والإحسان للفقراء، فخالفوا الأمر الشرعي الديني الذي أمرهم الله به.

أما قول: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٧﴾ **ففيه قولان لأهل العلم:**

أحدهما: أنه قول الكفار لأهل الإيمان لما أمروهم بالإنفاق.

الثاني: أنه قول الله ﷻ لأهل الكفر.

وحاصل معناه: إن أنتم إلا في ذهاب عن الحق وبُعد عن الحق مظهرٌ لمن تأمل حالكم أنكم مبتعدين عن الحق منحرفين عنه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله: أنفقوا من رزق الله الذي رزقكم، فأدوا منه ما فرض الله عليكم فيه لأهل حاجتكم ومسكنتكم، قال الذين أنكروا وحدانية الله، وعبدوا من دونه للذين آمنوا بالله ورسوله: أنطعم أموالنا وطعامنا من لو يشاء الله أطعمه.

وفي قوله: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٧﴾ وجهان:

أحدهما: أن يكون من قيل الكفار للمؤمنين، فيكون تأويل الكلام حينئذٍ: ما أنتم أيها القوم في قيلكم لنا: أنفقوا مما رزقكم الله على مساكينكم، إلا في ذهاب عن الحق، وجور عن الرشد مبين لمن تأمله وتدبره، أنه في ضلال، وهذا أولى وجهيه بتأويله.

والوجه الآخر: أن يكون ذلك من قيل الله للمشركين، فيكون تأويله

حينئذٍ: ما أنتم أيها الكافرون في قيلكم للمؤمنين: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه، إلا في ضلال مبين عن أن قيلكم ذلك لهم ضلال.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: وإذا أمروا بالإنفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمحاويج من المسلمين ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ أي: عن الذين آمنوا من الفقراء، أي: قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالإنفاق محاجين لهم فيما أمروهم به: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ أي: وهؤلاء الذين أمرتمونا بالإنفاق عليهم، لو شاء الله لأغناهم ولأطعمهم من رزقه، فنحن نوافق مشيئة الله فيهم، ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ أي: في أمركم لنا بذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: قالوا هذا تعلقًا بقول المؤمنين لهم: ﴿أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [يس: ٤٧] أي: فإذا كان الله رزقنا فهو قادر على أن يرزقكم فلم تلتمسون الرزق منا؟ وكان هذا الاحتجاج باطلًا؛ لأن الله تعالى إذا ملّك عبدًا مالًا ثم أوجب عليه فيه حقًّا فكأنه انتزع ذلك القدر منه فلا معنى للاعتراض وقد صدقوا في قولهم: لو شاء الله أطعمهم ولكن كذبوا في الاحتجاج ومثله قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] وقوله: ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾[المنافقون: ١] ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ قيل: هو من قول الكفار للمؤمنين أي في سؤال المال وفي اتباعكم محمدًا، قال معناه مقاتل وغيره وقيل: هو من قول أصحاب النبي ﷺ لهم وقيل: من قول الله تعالى للكفار حين ردوا بهذا الجواب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

ج: هذا ـ والله أعلم ـ بيان لاستهزاء الكفار بالمرسلين، وبيان لتكذيبهم بالبعث، فإنهم إذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون، وإذا قيل لهم: (إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾)، وسيأتي يوم القيامة، يظهر فيه خطؤكم ويظهر فيه صدق ما جاءتكم به الرسل عليهم الصلاة والسلام، وصدق ما جاء في الكتب المنزلة من عند الله، قالوا مستنكرين مستبعدين مستهزئين: متى يتحقق هذا الوعد؟! متى تقوم الساعة؟! أرونا هذا اليوم، أرونا هذا العذاب.

فيقول تعالى: (مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾) وحاصل معناه – والعلم عند الله – ما ينتظر هؤلاء حتى يؤمنوا إلا الصيحة الواحدة، وهي نفخة الصور الأولى نفخة الفزع، فحينئذٍ يؤمنوا، ولن ينفعهم إيمانهم آنذاك، إن هذه الصيحة تأخذهم وهم في خصومات فيما بينهم في أمور الدنيا، تأخذوهم أيضًا وهم يتجادلون في الساعة وينكرونها، تأخذهم وبعضهم يخصم بعضًا بالحجة، تأخذهم فجأة وبغتةً فلا يستطيع أحدهم أن يوصي بالذي يُوصى فيه، ولا يستطيع عندها أحدٌ أن يرجع إلى أهله فقد قضي الأمر، وحيل بين أقوامٍ وبين ما يشتهون.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون المكذبون وعيد الله، والبعث بعد الممات، يستعجلون ربهم بالعذاب (مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ) أي: الوعد بقيام الساعة (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾) أيها القوم، وهذا قولهم لأهل الإيمان بالله ورسوله.

القول في تأويل قوله تعالى: (مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾).

يقول تعالى ذكره: ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم، إلا صيحة واحدة تأخذهم، وذلك نفخة الفزع عند قيام الساعة.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن أبي المغيرة القواس، عن عبد الله بن عمرو، قال: لينفخن في الصور، والناس في طرقهم وأسواقهم ومجالسهم، حتى إن الثوب ليكون بين الرجلين يتساومان، فما يرسله أحدهما من يده حتى ينفخ في الصور، وحتى إن الرجل ليغدو من بيته فلا يرجع حتى ينفخ في الصور، وهي التي قال الله: (مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً...﴾ الآية.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول: «**تهيج الساعة بالناس والرجل يسقي ماشيته، والرجل يصلح حوضه، والرجل يقيم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه، وتهيج بهم وهم كذلك، فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون**».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلفت القراء في قراءة قوله: (وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة: ﴿**وهم يخصمون**﴾ بسكون الخاء وتشديد الصاد، فجمع بين الساكنين، بمعنى: يختصمون، ثم أدغم التاء في الصاد فجعلها صادًا مشددة، وترك الخاء على سكونها في الأصل. وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين: ﴿**وهم يخصمون**﴾ بفتح الخاء وتشديد الصاد بمعنى: يختصمون، غير أنهم نقلوا حركة التاء وهي الفتحة التي في يفتعلون إلى الخاء منها، فحركوها بتحريكها، وأدغموا التاء في الصاد وشددوها. وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة: ﴿يَخِصِّمُونَ ۝٤٩) بكسر الخاء وتشديد الصاد، فكسروا الخاء بكسر الصاد وأدغموا التاء في الصاد وشددوها. وقرأ ذلك آخرون منهم: ﴿**يخصمون**﴾ بسكون الخاء وتخفيف الصاد، بمعنى: (يفعلون) من الخصومة، وكأن معنى قارئ ذلك كذلك: كأنهم يتكلمون، أو يكون معناه عنده: كان وهم عند أنفسهم يخصمون من وعدهم مجيء الساعة، وقيام القيامة، ويغلبونه بالجدل في ذلك.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن هذه قراءات مشهورات معروفات في قراء الأمصار، متقاربات المعاني، فبأيتهن قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: (فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ) يقول تعالى ذكره: فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ في الصور أن يوصوا في أموالهم أحدًا (وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٥٠﴾ يقول: ولا يستطيع من كان منهم خارجًا عن أهله أن يرجع إليهم؛ لأنهم لا يمهلون بذلك. ولكن يعجلون بالهلاك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾؟ ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨]، قال الله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أي: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة، وهذه- والله أعلم - نفخة الفزع، ينفخ في الصور نفخة الفزع، والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم، فبينما هم كذلك؛ إذ أمر الله تعالى إسرافيل فنفخ في الصور نفخة يُطَوِّلها ويَمُدُّها، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى ليتًا، ورفع ليتًا - وهي صفحة العنق - يتسمع الصوت من قبل السماء. ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار، تحيط بهم من جوانبهم؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: على ما يملكونه، الأمر أهم من ذلك، ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

وقد وردت هاهنا آثار وأحاديث ذكرناها في موضع آخر ثم يكون بعد هذا نفخة الصعق، التي تموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم، ثم بعد ذلك نفخة البعث.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: لا يستطيع بعضهم أن يوصي بعضًا لما في يده من حق وقيل: لا يستطيع أن يوصي بعضهم بعضًا بالتوبة والإقلاع بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ إذا ماتوا وقيل: إن معنى ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ لا يرجعون إليهم قولًا، وقال قتادة: ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أي: إلى منازلهم لأنهم قد أعجلوا عن ذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٌ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

ج: هذا بعض البيان لما يحدث يوم القيامة ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور، وهو قرن يُنفخ فيه، وقد قيل إن هذه النفخة هي الثانية (على رأي من قال إنهما نفختان فقط)، وقد قيل: إنها نفخة ثالثة (على رأي من قال إنها ثلاث نفخات).

وعلى كلٍّ فهي نفخة البعث من القبور، ينفخها إسرافيل عليه السلام، فإذا بالخلق قد اجتمعت عظامهم المتفرقة وأشلاؤهم المتمزقة، وإذا بالحياة تدب فيهم بعد الممات، وبعد طول رقود، فإذا هم من القبور يخرجون إلى ربهم مسرعين كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج: ٤٣].

وهنا قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ أي: من القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾ يخرجون مسرعين، فعندها يقولون: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا، وقد قال بعض أهل العلم: إنهم ينامون نومة بين النفختين.

وقال آخرون: إنما أرادوا بقولهم من مرقدنا من نومتنا التي نمناها بعد إذ قُبضنا في الحياة الدنيا ومتنا فيها.

أما قوله: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ فلأهل العلم في قائله أقوال:

أحدها: أنه قول أهل الإيمان يجيبون به الكفار، فإذا قال الكفار: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا، أجابهم أهل الإيمان بقولهم: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٥٢﴾.

والثاني: أنه قول الملائكة، هي التي أجابت أهل الكفر.

والثالث: أنه قول الكفار أنفسهم بعضهم لبعض، وجوابًا منهم لأنفسهم.

أما عن معنى قوله: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٥٢﴾ فحاصل معناه هذا الذي وعدكم الرحمن به، فقد وعدكم أنكم ستبعثون، فلما سألتم متى هذا الوعد؛ فها هو الوعد قد تحقق وصدق المرسلون فيما أخبروا به عن الله ﷻ.

أما قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ﴾ فحاصل معناه: أن أمر بعثكم ما شقَّ علينا ولا أرهقنا فما كان بعثكم من قبوركم إلا بنفخةٍ واحدة نفخها الملك الموكل بالنفخ في الصور فإذا جميع بني آدم، وجميع الخلق عند الله ﷻ محضرون يوم القيامة، ففي هذا اليوم لا تُبخس نفس شيئًا من حقها، ولا تجزي إلا بما عملت.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

ويعني بهذه النفخة: نفخة البعث.

وقوله: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ يعني من أجداثهم، وهي قبورهم، واحدها جدث.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ أي: من القبور.

وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ٥١﴾ يقول: إلى ربهم يخرجون سراعًا، والنسلان: الإسراع في المشي.

قال الطبري:

وقولــه: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون لما نفخ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة فردت أرواحهم إلى أجسامهم، وذلك بعد نومة ناموها ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ وقد قيل: إن ذلك نومة بين النفختين.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

*** ذكر من قال ذلك:**

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن خيثمة، عن الحسن، عن أبي بن كعب، في قوله: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ قال: ناموا نومة قبل البعث.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ هذا قول أهل الضلالة، والرقدة ما بين النفختين.

وأورد الطبري رحمه الله تعالى اختلاف العلماء في تعيين القائل: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٢﴾ هل هم الكفار أم المؤمنون، واختار أنه قول أهل الإيمان، فقال:

أشبه بظاهر التنزيل، وهو أن يكون من كلام المؤمنين؛ لأن الكفار في قيلهم ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مرقدهم جُهَّالًا ولذلك من جهلهم استثبتوا، ومحال أن يكونوا استثبتوا ذلك إلا من غيرهم، ممن خالفت صفته صفتهم في ذلك.

وانتصر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ لقول الطبري - كما سيأتي بيانه - إن شاء الله.

قال الطبري:

وقولـــه: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٥٣﴾ يقـــول تعالى ذكره: إن كانت إعادتهم أحياء بعد مماتهم إلا صيحة واحدة، وهي النفخـة الثالثـة فـي الصـور ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٥٣﴾ يقـول: فـإذا هـم مجتمعون لدينا قد أحضروا، فأشهدوا موقف العرض والحساب، لم يتخلف عنه منهم أحد. وقد بينا اختلاف المختلفين في قراءتهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً﴾ بالنصب والرفع فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

فـي تأويـل قولـه تعـالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٤﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ كذلك ربنا لا يظلم نفسًا شيئًا، فلا يوفيها جزاء عملها الصالح، ولا يحمل عليها وزر غيرها، ولكنه يوفي كل نفس أجر ما عملت من صالح، ولا يعاقبها إلا بما اجترمت واكتسبت من شيء ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٤﴾ يقول: ولا تكافئون إلا مكافأة أعمالكم التي كنتم تعملونها في الدنيا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ**:**

هذه هي النفخة الثالثة، وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الأجداث والقبـور؛ ولـهذا قـال: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ والنَّسَلان هـو: المشي السريع، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣﴾.

[المعارج: ٤٣]

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾؟ يعنـون: قبـورهم التـي كـانوا يعتقـدون فـي

الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها، فلما عاينوا ما كذبوه في محشرهم (قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ)، وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد.

وقال أُبَيّ بن كعب، ومجاهد، والحسن، وقتادة: ينامون نومة قبل البعث.

قال قتادة: وذلك بين النفختين.

فلذلك يقولون: (مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ)، فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون -قاله غير واحد من السلف-: (هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾).

وقال الحسن: إنما يجيبهم بذلك الملائكة.

ولا منافاة؛ إذ الجمع ممكن - والله أعلم.

وقال عبد الرحمن بن زيد: الجميع من قول الكفار: (يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾).

نقله ابن جرير، واختار الأول، وهو أصح، وذلك كقوله تعالى في الصافات: (وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾) **[الصافات:٢٠، ٢١]**، وقال تعالى: (وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾) **[الروم:٥٥، ٥٦]**.

وقوله: (إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾)، كقوله: (فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾) **[النازعات:١٣، ١٤]**. وقال تعالى: (وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ) **[النحل: ٧٧]**، وقال: (يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾) **[الإسراء: ٥٢]**.

أي: إنما نأمرهم أمرًا واحدًا، فإذا الجميع محضرون، ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا﴾ أي: من عملها، ﴿وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٥٤﴾.

شبهة ودفعها

س: كيف يُجاب على نفاةِ عذاب القبر إذا استدلوا على قيلهم بقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾؟

ج: يجاب عليهم، أولًا: بالكم الهائل من الآيات والأحاديث التي أثبتت عذاب القبر، وقد قدمت كثيرًا منها عند تفسير قوله تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ...﴾ [غافر: ٤٦].

وقوله تعالى في شأن قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ [نوح: ٢٥].

وعند قوله تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢﴾ [التكاثر: ١-٢].

ثانيًا: حمل بعض أهل العلم قول الكفار ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ على نومةٍ ناموها بين النفختين وقد تقدم القول في هذا.

ثالثًا: وهو ما نقله القرطبي؛ إذ قال: وقال أهل المعاني: إن الكفار إذا عاينوا جهنم وما فيها من أنواع العذاب صار ما عُذبوا به في قبورهم إلى جنب عذابها كالنوم.

أقول، ذلك كالذي دخلت في رجله شوكة فآلمته فبات ليلة مُتألمًا، ثم نُشرت رجله بالمنشار، فإنه لن يذكر بعد نشر رجله ما ألمّ به من أثر الشوكة، فقد أنساه نشر رجله بالمنشار ما كان من أمر الشوكة بلا شك؛ والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥ هُمۡ

﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾.

ج: هذا بيان لبعض النعيم الذي يعيشه أهل الجنة، إنهم في انشغال عما فيه أهل النار، في انشغال بالتلذذ بالحور الحسان، في انشغال باقتصاص العذارى (الأبكار) في انشغال بما هم فيه من صنوف النعيم، معجبون ومتلذذون ومتفكهون وفرحون.

وهم وأزواجهم في ظلال (وهي جمع ظل) قد جلسوا جلسة الاتكاء وهي الميل بأحد الشقين على الوسادة التي على السرير، وقيل: إن الاتكاء التربع، لهم في هذه الجنات وتلك الظلال فاكهة من كل صنوف الفاكهة ولهم ما يتمنون ويسألون، ثم إن الله ﷻ يُسلِّم عليهم بنفسه - سبحانه وتعالى- قولًا يقوله بنفسه سلام صادر من ربٍّ رحيم، ربٌّ لم يؤاخذهم بما أسلفوا من دنياهم من المعاصي بل عفا عنهم وتجاوز وتكرَّم، وقد ورد وجهٌ آخر لأهل العلم في تفسير قوله: ﴿سَلَـٰمٌ﴾ أنه متعلق بما قبله فالمعنى ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أي: ما يسألون وما يطلبون خالصٌ لهم قولًا قاله الله ﷻ.

وقيل: ولهم ما يدعون ذا سلام أو سلامة أو سلمًا معنى هذا لا يحسن الوقف على ﴿مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ ذكره القرطبي.

* وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الشغل الذي وصف الله جلَّ ثناؤه أصحاب الجنة أنهم فيه يوم

القيامة، فقال بعضهم: ذلك افتضاض العذارى.

وقال آخرون: بل عُني بذلك أنهم في نعمة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم في شغل عما فيه أهل النار.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جلَّ ثناؤه: (إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ) وهم أهلها (فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾) بنعم تأتيهم في شغل، وذلك الشغل الذي هم فيه نعمة، وافتضاض أبكار، ولهو ولذة، وشغل عما يلقى أهل النار.

وأورد معانٍ لكلمة فاكهون وقراءتين لها (**فاكهون**) و(**فكهون**)، ومن معانيها أوردها (فَكِهُونَ ﴿٥٥﴾) فرحون - عجبون - كثير الفواكه - صاحب فاكهة ومن معانى فكهون الفكِه الذي يتفكَّه، ونقل عن بعض أهل العلم بكلام العرب: تقول للرجل الذي يتفكَّه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس، إن فلانًا لفكهٌ بأعراض الناس.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويعني بقوله: ﴿هُمۡ﴾ أصحاب الجنة ﴿وَأَزۡوَٰجُهُمۡ﴾ من أهل الجنة في الجنة وقال:

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعضهم: (**في ظلل**) بمعنى: جمع ظلة، كما تجمع الحلة حللًا. وقرأه آخرون: (فِي ظِلَٰلٍ)؛ وإذا قرئ ذلك كذلك كان له وجهان:

أحدهما: أن يكون مرادًا به جمع الظلل الذي هو بمعنى الكِنَّ، فيكون معنى الكلمة حينئذٍ: هم وأزواجهم في كِنٍّ لا يضحون لشمس كما يضحى

لها أهل الدنيا؛ لأنه لا شمس فيها.

والآخر: أن يكون مرادًا به جمع ظلة، فيكون وجه جمعها كذلك نظير جمعهم الخلة في الكثرة: الخلال، والقلة: قلال.

وقوله: (عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾) والأرائك: هي الحجال فيها السُّرر والفرش: واحدتها أريكة.

وقوله: (لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ) يقول لهؤلاء الذين ذكرهم تبارك وتعالى من أهل الجنة في الجنة فاكهة: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ يقول: ولهم فيها ما يتمنون. وذكر عن العرب أنها تقول: دع علي ما شئت أي: تمن علي ما شئت.

وقوله: (سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾) في رفع سلام وجهان في قول بعض نحويي الكوفة؛ أحدهما: أن يكون خبرًا لما يدعون، فيكون معنى الكلام: ولهم ما يدعون مسلم لهم خالص. وإذا وجه معنى الكلام إلى ذلك كان القول حينئذٍ منصوبًا توكيدًا خارجًا من السلام، كأنه قيل: ولهم فيها ما يدعون مسلم خالص حقًّا، كأنه قيل: قاله قولًا.

والوجه الثاني: أن يكون قوله: (سَلَٰمٌ) مرفوعًا على المدح، بمعنى: هو سلام لهم قولًا من الله. وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله: ﴿**سلامًا قولًا**﴾ على أن الخبر متناه عند قوله: (وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾) ثم نصب سلامًا على التوكيد، بمعنى: مسلمًا قولًا. وكان بعض نحويي البصرة يقول: انتصب قولًا على البدل من اللفظ بالفعل، كأنه قال: أقول ذلك قولًا. قال: ومن نصبها نصبها على خبر المعرفة على قوله: (وَلَهُم) فيها ﴿مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

وذكر الطبري قوله وما اختاره بما أرى فيه تعارضًا وتضاربًا

فأعرضت عن ذِكره ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ يعني: رحيم بهم إذ لم يعاقبهم بما سلف لهم من جرم في الدنيا.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهم أيضًا ﴿سَلَٰمٌ﴾ حاصل لهم ﴿قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكده بقوله: ﴿قَوْلًا﴾ وإذا سلم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرؤوف الرحيم لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدًا، فلولا أن الله تعالى قدَّر أن يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك.

فنرجو ربنا أن لا يحرمنا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وانفصلوا يا أهل الإجرام، يا أهل الشرك عن أهل الإيمان وانعزلوا عنهم كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝﴾.

[الروم: ١٤]

وكما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ۝٤٣﴾ [الروم: ٤٣].

وكما قال: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني بقوله: (وَٱمۡتَٰزُواْ): تميزوا؛ وهي افتعلوا، من ماز يميز، فعل يفعل منه: امتاز يمتاز امتيازًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عمّا يؤول إليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا، بمعنى: يتميزون عن المؤمنين في موقفهم،

كقوله تعالى: (وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ) **[يونس:٢٨]**.

وقال تعالى: (وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤) **[الروم: ١٤]**، (يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ٤٣) **[الروم: ٤٣]** أي: يصيرون صدْعين فرقتين، (۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣) **[الصافات: ٢٢، ٢٣]**.

❀ ❀ ❀

قال الله تعالى:

﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ
مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ
جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ
٦٣ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٦٤ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ
وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥ وَلَوۡ نَشَآءُ
لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ٦٦ وَلَوۡ
نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا
يَرۡجِعُونَ ٦٧ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۖ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ٦٨ وَمَا
عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩ لِّيُنذِرَ مَن
كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٠﴾ [يس: ٦٠-٧٠]

س: وضح معنى ما يلي:

(أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ -لَّا تَعۡبُدُواْ -أَضَلَّ -جِبِلًّا - ٱصۡلَوۡهَا -نَخۡتِمُ -لَطَمَسۡنَا -فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ -فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ - لَمَسَخۡنَٰهُمۡ -عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ -مُضِيًّا - وَلَا يَرۡجِعُونَ -نُنَكِّسۡهُ -ذِكۡرٌ).

ج:

الكلمة	معناها
(أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ)	أوصيكم - آمركم - آخذ عليكم عهدًا
(لَّا تَعۡبُدُواْ)	لا تطيعوا
(أَضَلَّ)	صرف عن الحق
(جِبِلًّا)	خلقًا - أممًا
(ٱصۡلَوۡهَا)	ادخلوها مصلين بحرِّها
(نَخۡتِمُ)	نطبع
(لَطَمَسۡنَا)	لأعميناهم - لذهبنا بأبصارهم
﴿فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾	ابتدروا الطريق – اتجهوا إلى الطريق ليسيروا فيه
﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾	من أي وجه يرون
(لَمَسَخۡنَٰهُمۡ)	غيَّرنا حالتهم إلى صور أخر كأحجار ونحوها
﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ﴾	في مكانهم - على هيئتهم - في بيوتهم
(مُضِيًّا)	تقدمًا للأمام
(وَلَا يَرۡجِعُونَ)	لا يستطيعون تأخرًا ورجوعًا

﴿نُنَكِّسْهُ﴾	نرده إلى مثل حال طفولته ضعيف البدن والعقل
﴿ذِكْرٌ﴾	تذكير

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (﴿۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾).

ج: معناه - والعلم عند الله - ألم أوصيكم وآمركم وآخذ عليكم العهد يا بني آدم ألا تطيعوا الشيطان وألا تتبعوا خطواته، وألم أبيِّن لكم يا بني آدم عداوة الشيطان لكم، وأوضح لكم أنه قد أظهر عداوته وأفصح عنها يوم أن أخرج أبويكم من الجنة، وألم أعهد إليكم يا بني آدم وألم آمركم أن تفردوني بالعبادة ولا تشركوا بي شيئًا فإن هذا هو الصراط المستقيم، هو عبادتي وحدي لا شريك لي وترك عبادة الشيطان وطاعته.

لقد أضل الشيطان منكم خلقًا كثيرًا وأغواهم وصرفهم عن طريق الحق إلى طريق الباطل، وعن طريق الإيمان إلى طريق الكفر والطغيان، أفلم تكونوا تتفكرون في هذا، فهذه جهنم يا أهل الكفر التي حذرناكم منها ووعدناكم بها إن أنتم أصررتم على البقاء على الكفر وعلى التمسك بالشرك واتباع خطوات الشيطان، هذه جهنم التي وعدناكم بها وكذبتم بها، ادخلوا مصلّين بحرها وسمومها ادخلوها فاحترقوا بها، ادخلوها ولتحيط بكم من جميع جوانبها، ادخلوها واحترقوا بها بسبب كفركم وعنادكم

وشرككم واتباعكم الشيطان وترك عبادة الله ﷻ.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقولـــــه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه منه، وهو: ثم يقال: ألم أعهد إليكم يا بني آدم، يقول: ألم أوصكم وآمركم في الدنيا أن لا تعبدوا الشيطان فتطيعوه في معصية الله (إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾) يقول: وأقول لكم: إن الشيطان لكم عدو مبين، قد أبان لكم عداوته بامتناعه من السجود لأبيكم آدم حسدًا منه له، على ما كان الله أعطاه من الكرامة، وغروره إياه حتى أخرجه وزوجته من الجنة.

وقولـه: (وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ يقول: وألم أعهد إليكم أن اعبدوني دون كل ما سواي من الآلهة والأنداد، وإياي فأطيعوا، فإن إخلاص عبادتي، وإفراد طاعتي، ومعصية الشيطان، هو الدين الصحيح، والطريق المستقيم.

وقال في تأويل قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾).

يعني تعالى ذكره بقوله: (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا): ولقد صدَّ الشيطان منكم خلقًا كثيرًا عن طاعتي، وإفرادي بالألوهة حتى عبدوه، واتخذوا من دوني آلهة يعبدونها.

وقوله: (أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾) يقول: أفلم تكونوا تعقلون أيها المشركون

إذ أطعتم الشيطان في عبادة غير الله أنه لا ينبغي لكم أن تطيعوا عدوكم وعدو الله، وتعبدوا غير الله. وقوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٦٣﴾ يقول: هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله، وتكذيبكم رسله، فكنتم بها تكذبون. وقيل: إن جهنم أول باب من أبواب النار. وقوله: ﴿ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٦٤﴾ يقول: احترقوا بها اليوم وردوها؛ يعني باليوم: يوم القيامة ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٦٤﴾: يقول: بما كنتم تجحدونها في الدنيا، وتكذبون بها.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠﴾: هذا تقريع من الله للكفرة من بني آدم، الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين، وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾ أي: قد أمرتكم في الدار الدنيا بعصيان الشيطان، وأمرتكم بعبادتي، وهذا هو الصراط المستقيم، فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ﴾، يقال: «جِبِلا» بكسر الجيم، وتشديد اللام. ويقال: «جُبُلا» بضم الجيم والباء، وتخفيف اللام. ومنهم من يسكن الباء. والمراد بذلك الخلق الكثير، قاله مجاهد، والسُّدِّيّ، وقتادة، وسفيان بن عيينة.

وقوله: ﴿أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾ أي: أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له، وعُدُولكم إلى اتباع الشيطان؟!

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ) العهد هنا بمعنى الوصية أي: ألم أوصكم وأبلغكم على ألسنة الرسل (أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ) أي: لا تطيعوه في معصيتي، قال الكسائي: لا للنهي (وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ) بكسر النون على الأصل ومن ضم كره كسرة بعدها ضمة (هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١) أي عبادتي دين قويم قوله تعالى: (وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ) أي أغوى (جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ) أي خلقًا كثيرًا قاله مجاهد قتادة: جموعًا كثيرة. الكلبي: أمما كثيرة والمعنى واحد.

وقال القرطبي أيضًا في قوله تعالى: (أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢) عداوته وتعلموا أن الواجب طاعة الله، (هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ) أي تقول لهم خزنة جهنم هذه جهنم التي وعدتم فكذبتم بها.

❁ ❁ ❁

شهادة الجوارح على أصحابها

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥).

ج: حاصل معنى الآية الكريمة أن جوارح الإنسان تشهد عليه يوم القيامة بما عمل، وذلك أن الإنسان الكافر يطلب يوم القيامة ألا يشهد عليه إلا نفسه فيختم على فِيهِ، أي: يطبع على فمه ويُغلق وتنطق سائر الأعضاء كما أفاده الحديث عن رسول الله ﷺ.

وقد قدمت شيئًا من ذلك في آيات سورة النور: (يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ

وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾) [النور: ٢٤].

وآيات سورة فصلت: (حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾...﴾ [فصلت: ٢٠، ٢١].

وفي سورة البلد: (أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾...﴾ [البلد: ٧-٩].

أما الأحاديث عن رسول الله ﷺ فقد قدمناها أيضًا هنالك، ومنها ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه (١) قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك.

فقال: «هل تدرون مما أضحك؟».

قال: قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: «من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال فيقول: بعدًا لكن وسحقًا، فعنكن كنت أناضل».

وعبد الرزاق في مصنفه، وكذا غيره بسندٍ حسن من طريق بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «إنكم تُدعَون مُقدّمة أفواهكم بالفدام، فأول ما يسأل عن أحدكم فخذه وكتفه» (٢).

---

(١) مسلم (٢٩٦٩).

(٢) عبد الرزاق في المصنف، وأحمد (٣/٥) وغيرهما.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: اليوم نطبع على أفواه المشركين، وذلك يوم القيامة ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾ بما عملوا في الدنيا من معاصي الله ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ قيل: إن الذي ينطق من أرجلهم: أفخاذهم من الرجل اليسرى ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ في الدنيا من الآثام.

وأورد الطبري بإسناد صحيح إلى يونس بن عبيد، عن حميد بن هلال، قال: قال أبو بردة: قال أبو موسى: يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة، فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه، فيعترف فيقول: نعم أي رب عملت عملت عملت، قال: فيغفر الله له ذنوبه، ويستره منها، فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئًا، وتبدو حسناته، فود أن الناس كلهم يرونها؛ ويدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه ربه عمله فيجحده، ويقول أي: رب، وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتك أي رب، ما عملته، فإذا فعل ذلك ختم على فيه. قال الأشعري: فإني أحسب أول ما ينطق منه لفخذه اليمنى[(١)]، ثم تلا ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

❊ ❊ ❊

(١) كذا قال أبو موسى، وهناك أخبار مرفوعة إلى رسول الله ﷺ تفيد أنها فخذ الرجل اليسرى (انظر مسند أحمد ٤/١٥١).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: ولو نشاء لعاقبناهم في الدنيا بعقوبةٍ عاجلة فأعميناهم فيها وسلبنا منهم الأبصار فجاءوا يبتدرون الطريق للمشي فيه فلم يستطيعوا المشي وقد سُلبت أبصارهم، فمن أي وجه يبصرون الطريق الذي يريدونه ويريدون سلوكه.

الثاني: ولو نشاء لأضللناهم عن الهدى وأعميناهم عن الحق والصواب، فمن أي وجه يرون الحق ومن أي وجه تأتيهم الهداية وقد أضللناهم.

وهذا الوجه استبعده الطبري بما حاصله أنهم ضالون عن الهدى، فكيف يُقال ولو نشاء لطمسنا على أعينهم... ويراد به العمى عن الهدى وهم عميانٌ؟!

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ**:**

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى، وأضللناهم عن قصد المحجة.

قال: وقال آخرون: معنى ذلك، ولو نشاء لتركناهم عميًا، وأورد بإسناد صحيح عن الحسن، في قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ قال: لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عميا يترددون.

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ يقول: لو شئنا لتركناهم عميًا يترددون. وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وقتادة أشبه بتأويل الكلام؛ لأن الله إنما تهدد به قومًا كفارًا، فلا وجه لأن يقال: وهم كفار، لو نشاء لأضللناهم وقد أضلهم، ولكنه قال: لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم، فطمسنا على أعينهم فصيرناهم عميًا لا يبصرون طريقًا، ولا يهتدون له؛ والطمس على العين: هو أن لا يكون بين جفني العين غر، وذلك هو الشق الذي بين الجفنين كما تطمس الريح الأثر، يقال: أعمى مطموس وطميس.

وقوله: ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ يقول: فابتدروا الطريق.

وقوله: ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ يقول: فأي وجه يبصرون أن يسلكوه من الطرق، وقد طمسنا على أعينهم.

وقال الذين وجهوا تأويل قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ إلى أنه معني به العمى عن الهدى، تأويل قوله: ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾: فأنى يهتدون للحق.

قلت: وأورد القرطبي وجهًا ثالثًا أو تأويلًا آخر للقول الثاني حاصله: ولو نشاء لفقأنا عين ضلالتهم فجعلناهم يبصرون الحق ويهتدون إليه ويستبقوا إلى الصراط المستقيم، ولكننا ما فعلنا ذلك بهم فأنى لهم الهداية.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

وقوله: ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ أي استبقوا الطريق ليجوزوا ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ أي فمن أين يبصرون، وقال عطاء و مقاتل و قتادة وروي عن ابن

عباس[(١)]: ولو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم وأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فاهتدوا وأبصروا رشدهم وتبادروا إلى طريق الآخرة ثم قال: ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ ولم نفعل ذلك بهم أي فكيف يهتدون وعين الهدى مطموسة على الضلال باقية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ولو نشاء لغيَّرنا حالتهم التي هم عليها كبشر ولحولناهم إلى أشياء أخر كحجارة جامدة في مكانها، ولجعلناهم متحجرين في أماكنهم فما استطاعوا تقدمًا ولا تأخرًا.

ولقد رؤيت صُورٌ لبعض البشر متجمدين كالأحجار على هيئاتهم، منهم متحجر وهو جالس، ومنهم وهو قائم، ومنهم وهو مائل، ومنهم من قد رفع يديه إلى فيه وتحجرت في طريق الوصول إلى الفم، وغير ذلك، فالله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولو نشاء لأقعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم في منازلهم ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ يقول: فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم، ولا أن يرجعوا وراءهم.

---

(١) ولم أقف على أسانيد صحيحة عنهم بذلك، والأسانيد التي أوردها الطبري عن بعضهم في هذا الباب ضعيفة، والله أعلم.

وأورد بإسناد صحيح عن الحسن: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ قال: لو نشاء لأقعدناهم.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ أي: لأقعدناهم على أرجلهم ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ فلم يستطيعوا أن يتقدموا ولا يتأخروا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولو نشاء لأهلكناهم في منازلهم.

قال الطبري: والمكانة والمكان بمعنى واحد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: ومن نمد له في العمر، ونحييه حياة طويلة في الدنيا نرده إلى مثل حاله في طفولته فيصير لا يعلم من بعد علم شيئًا؛ كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ﴾ [الروم: ٥٤]، وكما قال تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ﴾ [النحل: ٧٠].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾ فنمد له في العمر ﴿نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ نرده إلى مثل حاله في الصبا من الهرم والكبر، وذلك هو النكس في الخلق، فيصير لا يعلم شيئًا بعد العلم الذي كان يعلمه.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عن قتادة قوله: ﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۖ﴾ يقول: من نمد له في العمر ننكسه في الخلق، ﴿لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ﴾، يعني الهرم.

ويعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ٦٨﴾: أفلا يعقل هؤلاء المشركون قدرة الله على ما يشاء بمعاينتهم ما يعاينون من تصريفه خلقه فيما شاء وأحب من صغر إلى كبر، ومن تنكيس بعد كبر في هرم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن ابن آدم أنه كلما طال عمره ردّ إلى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط، كما قال تعالى: ﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾ **[الروم: ٥٤]**. وقال: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ﴾ **[الحج: ٥]**.

والمراد من هذا -والله أعلم- الإخبارُ عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال، لا دار دوام واستقرار؛ ولهذا قال: ﴿أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ٦٨﴾ أي: يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم إلى الشَّبيبَة، ثم إلى الشيخوخة؛ ليعلموا أنهم خُلقوا لدار أخرى لا زوال لها ولا انتقال منها، ولا محيد عنها وهي الدار الآخرة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال سفيان في قوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۖ﴾ إذا بلغ ثمانين سنة تغير جسمه وضعفت قوته؛ قال الشاعر:

مـن عـاش أخلقـت الأيــام جدتــه وخانــه ثقتــاه الســمع والبصــر

فطول العمر يصير الشباب هرمًا والقوة ضعفًا والزيادة نقصًا وهذا هو الغالب وقد تعوذ ﷺ من أن يرد إلى أرذل العمر ﴿أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ٦٨﴾ أن من فعل هذا بكم قادر على بعثكم، وقرأ نافع و ابن ذكوان: ﴿**تعقلون**﴾ بالتاء، الباقون بالياء.

❁ ❁ ❁

رسول الله ليس بشاعر

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٠﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وما علمنا رسول الله ﷺ الشعر، وما يليق به ذلك ولا تسمح منزلته بذلك، فهو أجل من ذلك ﷺ، وما هو - أي وما رسول الله ﷺ - إلا وقد أرسل لتذكير العباد، وقال البعض: إن المراد بقوله: ﴿إِنۡ هُوَ﴾ أي: القرآن، وما أُنزل عليه قرآن موضح عن الله ﷻ مراده؛ لينذر من كان قَلبُهُ حيًّا ويبقى من كان قلبه ميت على كفره وضلاله فيحق عليه ما كتبه الله عليه من الشقاوة – والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

وقوله: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وما علمنا محمدًا الشعر، وما ينبغي له أن يكون شاعرًا.

وقوله: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ يقول تعالى ذكره: ما هو إلا ذكر، يعني بقوله: ﴿إِنۡ هُوَ﴾ أي: محمد إلا ذكر لكم أيها الناس، ذكركم الله بإرساله إياه إليكم،

ونبهكم به على حظكم. ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩﴾ يقول: وهذا الذي جاءكم به محمد قرآن مبين، يقول: يبين لمن تدبره بعقل ولب أنه تنزيل من الله أنزله إلى محمد، وأنه ليس بشعر ولا سجع كاهن.

وقوله: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ يقول: إن محمد إلا ذكر لكم لينذر منكم أيها الناس من كان حي القلب، يعقل ما يقال له، ويفهم ما يبين له، غير ميت الفؤاد بليد.

قوله: ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٠﴾ يقول: ويحق العذاب على أهل الكفر بالله، المولين عن اتباعه، المعرضين عما أتاهم به من عند الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾: يقول تعالى مخبرًا عن نبيه محمد ﷺ: إنه ما علمه الشعر، ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أي: وما هو في طبعه، فلا يحسنه ولا يحبه، ولا تقتضيه جبِلّته؛ ولهذا وَرَدَ أنه - عليه الصلاة والسلام - كان لا يحفظ بيتًا على وزنٍ منتظم، بل إن أنشده زَحَّفه أو لم يتمه.

وقال أيضًا:

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ ويعني: محمدًا ﷺ ما علمه الله شعرًا، ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أي: وما يصلح له، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩﴾ أي: ما هذا الذي علمناه، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩﴾ أي: بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره. ولهذا قال: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي: لينذر هذا القرآن البيّن كلّ حي على وجه الأرض، كقوله: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ **[الأنعام: ١٩]**، وقال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ **[هود: ١٧]**. وإنما ينتفع بنذارته من هو حَيّ

القلب، مستنير البصيرة، كما قال قتادة: حي القلب، حي البصر. وقال الضحاك: يعني: عاقلًا ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ أي: هو رحمة للمؤمن، وحجة على الكافر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبر تعالى عن حال نبيه ﷺ ورد قول من قال من الكفار إنه شاعر وإن القرآن شعر بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ وكذلك كان رسول الله ﷺ لا يقول الشعر ولا يزنه.

وقال أيضًا:

قوله تعالى: (وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ) أي وما ينبغي له أن يقوله وجعل الله جلَّ وعزَّ ذلك علمًا من أعلام نبيه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لئلا تدخل الشبهة على من أرسل إليه فيظن أنه قوي على القرآن بما في طبعه من القوة على الشعر ولا اعتراض لملحد على هذا بما يتفق الوزن فيه من القرآن وكلام الرسول؛ لأن ما وافق وزنه وزن الشعر ولم يقصد به إلى الشعر ليس بشعر ولو كان شعرًا لكان كل من نطق بموزون من العامة الذين لا يعرفون الوزن شاعرًا على ما تقدم بيانه.

وقال الزجاج: معنى (وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ) أي ما يتسهل له قول الشعر لا الإنشاء (إِنْ هُوَ﴾ أي هذا الذي يتلوه عليكم (إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾.

وقال في تفسير قوله: (لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا):

قوله تعالى: (لتنذر من كان حيا) أي: حي القلب قاله قتادة؛ الضحاك: عاقلًا، وقيل: المعنى لتنذر من كان مؤمنًا في علم الله، هذا على قراءة التاء

خطابًا للنبي عليه السلام وهي قراءة نافع وابن عامر وقرأ الباقون بالياء على معنى لينذر الله عز وجل أو لينذر محمد ﷺ أو لينذر القرآن وروي عن ابن السميقع: ﴿**لينذر**﴾ بفتح الياء والذال (وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾) أي وتجب الحجة بالقرآن على الكفرة.

قال السعدي رحمه الله:

يـنزه تعالى نبيه محمدًا ﷺ، عما رماه بـه المشركون، من أنـه شـاعر، وأن الذي جاء به شعر فقال: (وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ) أن يكون شـاعرًا، أي: هذا من جنس المحال أن يكون شاعرًا؛ لأنـه رشيد مهتدٍ، والشعراء غاوون، يتبعهم الغاوون، ولأن الله تعالى حسم جميع الشبه التي يتعلق بها الضالون على رسوله، فحسم أن يكون يكتب أو يقرأ، وأخبر أنـه ما علمه الشعر وما ينبغي له، (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾) أي: ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الألباب، جميع المطالب الدينية، فهو مشتمل عليها أتم اشتمال، وهو يذكر العقول ما ركز الله في فطرها من الأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح.

(وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ أي: مبين لما يطلب بيانه. ولهذا حذف المعمول، ليدل على أنـه مبين لجميع الحق بأدلتـه التفصيلية والإجمالية، والباطل وأدلة بطلانه، أنزله الله كذلك على رسوله.

❁ ❁ ❁

س: كيف يوفق بين قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ مع ما ورد عن رسول الله ﷺ من كونه قال بعض أبيات الشعر في مواطن متعددة كقوله يوم حنين:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب (١)

وكقوله يوم الخندق وهم يحفرون:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا   ولا تصدقنا ولا صلينا (٢)

وكقوله في مواطن أخر لما جُرح أصبعه:

هل أنت إلا أصبع دميت   وفي سبيل الله ما لقيت (٣)

إلى غير ذلك من المواطن التي أنشد فيها صلوات الله وسلامه عليه شعرًا.

ج: ولأهل العلم على ذلك أجوبة منها:

أولًا: أن هذا من القليل النادر، والقليل النادر لا حُكم له.

ثانيًا: أنه قال ذلك تبعًا لغيره كالذي حدث يوم الخندق، فإنه قال ذلك تبعًا لأصحابه، قال ابن كثير: فإنهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون.

ثالثًا: أن ما صدر منه كقول:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

صدر منه اتفاقًا من غير قصدٍ لوزن شعر بل جرى على اللسان من

---

(١) البخاري (٢٨٦٤).

(٢) البخاري (٤١٠٤)، ومسلم (١٨٠٣).

(٣) البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦).

غير قصد إليه. أشار إليه ابن كثير وغيره.

رابعًا: أن المراد بالنفي نفي نظم الشعر، وليس المراد إنشاءه، وقد توسع القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في الجواب، فقال:

إصابته الوزن أحيانًا لا يوجب أنه يعلم الشعر وكذلك ما يأتي أحيانا من نثر كلامه ما يدخل في وزنه كقوله يوم حنين وغيره:

هل أنت إلا أصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت

وقوله:

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب

فقد يأتي مثل ذلك في آيات القرآن وفي كل كلام وليس ذلك شعرًا ولا في معناه كقوله تعالى: (لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ) [آل عمران: ٩٢] وقوله: (نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ) [الصف: ١٣] وقوله: (وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ) [سبأ: ١٣] إلى غير ذلك من الآيات وقد ذكر ابن العربي منها آيات وتكلم عليها وأخرجها عن الوزن على أن أبا الحسن الأخفش قال في قوله: «**أنا النبي لا كذب**» ليس بشعر، وقال الخليل في كتاب العين: إن ما جاء من السجع على جزأين لا يكون شعرًا، وروي عنه أنه من منهوك الرجز وقد قيل: لا يكون من منهوك الرجز بالوقف على الباء من قوله: «**لا كذب**» ومن قوله: «**عبد المطلب**» ولم يعلم كيف قاله النبي ﷺ، قال ابن العربي والأظهر من حاله أنه قال: «**لا كذب**» الباء مرفوعة وبخفض الباء من عبد المطلب على الإضافة وقال النحاس: قال بعضهم: إنما الرواية بالإعراب وإذا كان بالإعراب لم يكن شعرًا لأنه إذا فتح الباء من البيت الأول أو

ضمها أو نونها وكسر الباء من البيت الثاني خرج عن وزن الشعر وقال بعضهم: ليس هذا الوزن من الشعر وهذا مكابرة الأعيان؛ لأن أشعار العرب على هذا قد رواها الخليل وغيره وأما قوله: «**هل أنت إلا أصبعًا دميت**» فقيل: إنه من بحر السريع وذلك لا يكون إلا إذا كسرت التاء من دميت فإن سكن لا يكون شعرًا بحال؛ لأن هاتين الكلمتين على هذه الصفة تكون فعول ولا مدخل لفعول في بحر السريع ولعل النبي ﷺ قالها ساكنة التاء أو متحركة التاء من غير إشباع والمعول عليه في الانفصال على تسليم أن هذا شعر ويسقط الاعتراض ولا يلزم منه أن يكون النبي ﷺ عالمًا بالشعر ولا شاعر، إن التمثل بالبيت النزر وإصابة القافيتين من الرجز وغيره لا يوجب أن يكون قائلها عالمًا بالشعر ولا يسمى شاعرًا باتفاق العلماء كما أن من خاط خيطًا لا يكون خياطًا.

قال أبو إسحاق الزجاج: معنى ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ وما علمناه أن يشعر أي ما جعلناه شاعرًا وهذا لا يمنع أن ينشد شيئًا من الشعر، قال النحاس: وهذا من أحسن ما قيل في هذا، وقد قيل: إنما خبر الله عز وجل أنه ما علمه الله الشعر ولم يخبر أنه لا ينشد شعرًا وهذا ظاهر الكلام وقيل فيه قول بين زعم صاحبه أنه إجماع من أهل اللغة وذلك أنهم قالوا: كل من قال قولًا موزونًا لا يقصد به إلى شعر فليس بشعر وإنما وافق الشعر وهذا قول بين، قالوا: وإنما الذي نفاه الله عن نبيه عليه السلام فهو العلم بالشعر وأصنافه وأعاريضه وقوافيه والاتصاف بقوله ولم يكن موصوفًا بذلك بالاتفاق؛ ألا ترى أن قريشًا تراوضت فيما يقولون للعرب فيه إذا قدموا

عليهم الموسم، فقال بعضهم: نقول إنه شاعر، فقال أهل الفطنة منهم: والله لتكذبنكم العرب فإنهم يعرفون أصناف الشعر فوالله ما يشبه شيئًا منها وما قوله بشعر، وقال أنيس أخو أبي ذر: لقد وضعت قوله على أقراء الشعر فلم يلتئم أنه شعر أخرجه مسلم، وكان أنيس من أشعر العرب وكذلك عتبة بن أبي ربيعة لما كلمه: والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر على ما يأتي بيانه من خبره في سورة «فصلت» إن شاء الله تعالى، وكذلك قال غيرهما من فصحاء العرب العرباء واللسن البلغاء ثم إن ما يجري على اللسان من موزون الكلام لا يعد شعرًا وإنما يعد منه ما يجري على وزن الشعر مع القصد إليه فقد يقول القائل: حدثنا شيخ لنا وينادي يا صاحب الكسائي ولا يعد هذا شعرًا وقد كان رجل ينادي في مرضه وهو من عرض العامة العقلاء: اذهبوا بي إلى الطبيب وقولوا قد اكتوى.

❀ ❀ ❀

س: هل الشعر كله مذموم، ولماذا قيل: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ...﴾؟

ج: ليس الشعر كله مذموم بل منه ما هو حسن محمود، وقد قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ۗ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، وقد أقرَّ النبي ﷺ بعض أبيات الشعر، وبعض الصحابة الشعراء، بل وأمرهم بذلك، كما قال لحسان رضي الله عنه: «**اهجهم وجبريل معك**»، وفي الحديث: «**إن من الشعر حكمة**» (١).

---

(١) انظر البخاري (٦١٤٥)، (٨٧٢).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والله أعلم. على أن الشعر فيه ما هو مشروع، وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رَوَاحة، وأمثالهم وأضرابهم رضي الله عنهم أجمعين. ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب، كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية، ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه النبي الله ﷺ: «**آمن شعره وكفر قلبه**»، وقد أنشد بعض الصحابة منه للنبي ﷺ مائة بيت، يقول عقب كل بيت: «**هيه**». يعني يستطعمه، فيزيده من ذلك.

أما نفيه عن رسول الله ﷺ فلفائدة عظيمة، وهي عدم التباس الشعر بالقرآن.

وكذا لنفي ما كان أهل الجاهلية يتقولون ويصفون به رسول الله ﷺ من كونه شاعر. والله أعلم.

❊ ❊ ❊

قال الله تعالى:

(أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ (٧١)
وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۖ أَفَلَا
يَشۡكُرُونَ (٧٣) وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ (٧٤) لَا
يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ (٧٥) فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ (٧٦) أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ
خَصِيمٞ مُّبِينٞ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ
رَمِيمٞ (٧٨) قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ (٧٩)
ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيۡسَ
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ
ٱلۡعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٨٢)
فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (٨٣)

[يس: ٧١-٨٣]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿مَٰلِكُونَ - وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ - جُندٌ مُّحْضَرُونَ - نُّطْفَةٍ - خَصِيمٌ مُّبِينٌ - رَمِيمٌ - فَسُبْحَٰنَ - مَلَكُوتُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(مَٰلِكُونَ)	متصرفون ـ قاهرون
(وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ)	سخرناها لهم ـ هيأناها لهم وجعلناها مطيعة لهم
(جُندٌ مُّحْضَرُونَ)	جنودٌ مدافعون عن الأصنام يحضرون للدفاع عنها
(نُّطْفَةٍ)	قطرةٌ من منيٍّ
(خَصِيمٌ مُّبِينٌ)	مخاصم لربِّه ﷻ مظهر لخصومته مبينٌ لها
(رَمِيمٌ)	متفتتة بالية ـ تراب
(فَسُبْحَٰنَ)	تنزه عن كل ما لا يليق به وتنزه عن الشريك والمثيل والندِّ والصاحبة والولد
(مَلَكُوتُ)	ملك ـ مقاليد ـ مفاتيح

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أوَ لَمْ ير هؤلاء الكفار، وأهل الشرك أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا، وهي الأنعام الثمانية، وقيل: المراد هنا

الإبل خاصة لعظمها، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾...

[الغاشية: ١٧]

﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝٧١﴾ أي: فهم فيها متصرفون، فالطفل الصغير منهم يقود الناقة العظيمة الهائلة، ولو شاء الله لأهلكته ولأهلكت أباه، ولكن الله سخرها فتراها مسخرة، ولا تستطيع يا ابن آدم أن تُسحر فأرًا وتجعله مطيعًا لك.

أما قوله: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ أي: فمنها مراكب لهم يركبونها ويسافرون عليها، (وهي الإبل) ومنها يأكلون (فالأنعام كلها تؤكل)، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾، ومن هذه المنافع ما ينتفعون به من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها وغير ذلك، ﴿وَمَشَارِبُ﴾ يشربون من ألبانها ويأكلون من سمنانها، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾، أفلا يقدمون شكرًا لله عز وجل على هذه النعم، أفلا يحملهم هذا على تقديم شكرٍ لله ﷻ متمثلًا في حمده باللسان، وفي توحيده، وفي شكره بالجنان وفي عمل طاعة لله بالجوارح والأركان؟!

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ هؤلاء المشركون بالله الآلهة والأوثان ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ يقول: مما خلقنا من الخلق[(١)] ﴿أَنْعَٰمًا﴾ وهي المواشي التي خلقها الله لبني آدم، فسخرها لهم من الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝٧١﴾ يقول: فهم لها مصرِّفون كيف شاءوا بالقهر منهم لها

(١) وليس في هذا نفي صفة اليد، فقد دلّت عليها أدلة كثيرة جدًّا.

والضبط.

وقوله: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ يقول: وذللنا لهم هذه الأنعام ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ يقول: فمنها ما يركبون كالإبل يسافرون عليها؛ يقال: هذه دابة ركوب، والركوب بالضم: هو الفعل ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ لحومها.

وقال الطبري أيضًا:

يقول تعالى ذكره: ولهم في هذه الأنعام منافع، وذلك منافع في أصوافها وأوبارها وأشعارها باتخاذهم من ذلك أثاثًا ومتاعًا، ومن جلودها أكنانًا، ومشارب يشربون ألبانها.

وقوله: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ يقول: أفلا يشكرون نعمتي هذه، وإحساني إليهم بطاعتي، وإفراد الألوهية لي والعبادة، وترك طاعة الشيطان وعبادة الأصنام.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخرها لهم، ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾﴾: قال قتادة: مطيقون أي: جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم، لا تمتنع منهم، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه، ولو شاء لأقامه وساقه، وذاك ذليل منقاد معه. وكذا لو كان القطارُ مائة بعير أو أكثر، لسار الجميع بسير صغير.

وقوله: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ أي: منها ما يركبون في الأسفار، ويحملون عليه الأثقال، إلى سائر الجهات والأقطار. ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ إذا شاؤوا نحروا واجتزروا.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ أي: من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين، ﴿وَمَشَارِبُ﴾ أي: من ألبانها وأبوالها لمن يتداوى، ونحو ذلك. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾؟ أي: أفلا يُوَحِّدُون خالق ذلك ومسخره، ولا يشركون به غيره؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ هذه رؤية القلب أي أو لم ينظروا ويعتبروا ويتفكروا ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ أي مما أبدعناه وعملنا من غير واسطة ولا وكالة ولا شركة و(ما) بمعنى الذي وحذفت الهاء لطول الاسم وإن جعلت (ما) مصدرية لم تحتج إلى إضمار الهاء ﴿أَنْعَامًا﴾ جمع نعم والنعم مذكر ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۝٧١﴾ ضابطون قاهرون ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ أي سخرناها لهم حتى يقود الصبي الجمل العظيم ويضربه ويصرفه كيف شاء لا يخرج من طاعته ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ قراءة العامة بفتح الراء أي مركوبهم كما يقال: ناقة حلوب أي محلوب وقرأ الأعمش و الحسن و ابن السميقع: ﴿**فمنها ركوبهم**﴾ بضم الراء على المصدر.

والركوب ما يركب وأجاز الفراء: ﴿**فمنها ركوبهم**﴾ بضم الراء كما تقول فمنها أكلهم ومنها شربهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢﴾ من لحمانها ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من أصوافها وأوبارها وأشعارها وشحومها ولحومها وغير ذلك ﴿وَمَشَارِبُ﴾ يعني ألبانها ولم ينصرفا لأنهما من الجموع التي لا نظير لها في الواحد ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ الله على نعمه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: واتخذ أهل الكفر هؤلاء مع ما جاءهم من البينات والآيات والدلالات على واحدانيتنا - مع ذلك كله اتخذوا آلهة يعبدونها غير الله ﷻ ويعبدونها مع الله ﷻ لعلها - بزعمهم - تنفعهم وتنصرهم، ألا فليعلم هؤلاء أن هذه الآلهة لا تستطيع نصرهم، ولن تنصرهم بل هم لهم جندٌ محضرون، ولقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ أقوال:

أحدها: أن هذه في الدنيا، وأن معنى قوله: ﴿وَهُمْ﴾ أي: الكفار، ﴿لَهُمْ﴾ أي: للأصنام، ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ أي: أن الكفار جندوا أنفسهم لنصرة أصنامهم ومعبوداتهم التي عبدوها من دون الله، فكلما تكلم أحدٌ في الأصنام بمكروه، وكلما نفَّر عنها منفرٌ ورغب عنها راغبٌ إذا بهم يدافعون عن أصنامهم وعن آلهتهم أشد الدفاع.

والوجه الآخر: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ أي: والأصنام يؤتى بها يوم القيامة وتحضر أمام عابديها لتبكيتهم ولتوبيخهم فها هي أحجار لا تنفع ولا تضر فكيف عبدتموها، وكذا عموم الآلهة المعبودة من دون الله تتبرأ ممن عبدها.

وهناك وجه آخر: أن أصنامهم التي عبدوها تكون عذابًا عليهم في النار.

والقول الأول أولى؛ لأن الآلهة تضل عمن عبدوها يوم القيامة -والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ وعندها وقف لازم، فهو مواساةٌ لرسول الله ﷺ، أي: لا تحزن من قولهم وافترائهم، فهذا شأنهم وشأن أمثالهم ثم

مواساة أخرى بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٦﴾ أي: لا يخفى عليهم ما يقولونه، وما يفعلونه سواءً فعلوا ذلك سرًّا أو فعلوه جهرًا، وإنا حافظوك، وإنا مبطلو كيدهم فاطمئن وأبشر ولا تحزن - والله أعلم.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في الآيات المباركات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ يقول: واتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝٧٤﴾ يقول: طمعًا أن تنصرهم تلك الآلهة من عقاب الله وعذابه.

يقول تعالى ذكره: لا تستطيع هذه الآلهة نصرهم من الله إن أراد بهم سوءًا، ولا تدفع عنهم ضرًّا.

وقوله: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ۝٧٥﴾ يقول: وهؤلاء المشركون لآلهتهم جند محضرون.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿مُّحْضَرُونَ ۝٧٥﴾ وأين حضورهم إياهم، فقال بعضهم: عني بذلك: وهم لهم جند محضرون عند الحساب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وهم لهم جند محضرون في الدنيا يغضبون لهم.

عن قتادة: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ الآلهة ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ۝٧٥﴾ والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيرًا، ولا تدفع عنهم سوءًا، إنما هي أصنام.

وهذا الذي قاله قتادة أولى القولين عندنا بالصواب في تأويل ذلك؛ لأن المشركين عند الحساب تتبرأ منهم الأصنام، وما كانوا يعبدونه، فكيف

يكونون لها جندًا حينئذٍ، ولكنهم في الدنيا لهم جند يغضبون لهم، ويقاتلون دونهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فلا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين بالله من قومك لك: إنك شاعر، وما جئتنا به شعر، ولا تكذيبهم بآيات الله وجحودهم نبوتك.

وقوله: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إنا نعلم أن الذي يدعوهم إلى قيل ذلك الحسد، وهم يعلمون أن الذي جئتهم به ليس بشعر، ولا يشبه الشعر، وأنك لست بكذاب، فنعلم ما يسرون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوهم إليه، وما يعلنون من جحودهم ذلك بألسنتهم علانية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى منكرًا على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله، يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ أي: لا تقدر الآلهة على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحقر وأدحر، بل لا تقدر على الانتصار لأنفسها، ولا الانتقام ممن أرادها بسوء؛ لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل.

وقوله: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾: قال مجاهد: يعني: عند الحساب، يريد أن هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة، محضرة عند حساب عابديها؛ ليكون ذلك أبلغ في خِزْيهم، وأدل عليهم في إقامة الحجة عليهم.

وقال قتادة: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ يعني: الآلهة، ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾،

والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيرًا، ولا تدفع عنهم سوءا، إنما هي أصنام.

وهكذا قال الحسن البصري.

وهذا القول حسن، وهو اختيار ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقوله: (فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ) أي: تكذيبهم لك وكفرهم بالله، (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾) أي: نحن نعلم جميع ما هم عليه، وسنجزيهم وصْفَهم ونعاملهم على ذلك، يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلًا ولا حقيرًا، ولا صغيرًا ولا كبيرًا، بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديمًا وحديثًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً) أي قد رأوا هذه الآيات من قدرتنا ثم اتخذوا من دوننا آلهة لا قدرة لها على فعل (لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾) لما يرجون من نصرتها لهم إن نزل بهم عذاب ومن العرب من يقول: لعله أن يفعل (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ) يعني الآلهة وجمعوا بالواو والنون؛ لأنه أخبر عنهم بخبر الآدميين (وَهُمْ) يعني الكفار (لَهُمْ) أي للآلهة (جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾) قال الحسن: يمنعون منهم ويدفعون عنهم، وقال قتادة: أي يغضبون لهم في الدنيا وقيل: المعنى أنهم يعبدون الألهة ويقومون بها فهم لها بمنزلة الجند وهي لا تستطيع أن تنصرهم وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى وقيل: إن الآلهة جند للعابدين محضرون معهم في النار فلا يدفع بعضهم عن بعض وقيل: معناه وهذه الأصنام لهؤلاء الكفار جند الله عليهم في جهنم لأنهم يلعنونهم ويتبرؤون من عبادتهم وقيل: الآلهة جند لهم محضرون

يوم القيامة لإعانتهم في ظنونهم، وفي الخبر: إنه يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله فيتبعونه إلى النار فهم لهم جند محضرون

قلت: ومعنى هذا الخبر ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وفي الترمذي عنه أن النبي ﷺ قال:

«يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد، فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون» وذكر الحديث بطوله[(١)] ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ هذه اللغة الفصيحة ومن العرب من يقول يحزنك والمراد تسلية نبيه عليه السلام أي لا يحزنك قولهم: شاعر ساحر وتم الكلام ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ من القول والعمل وما يظهرون فنجازيهم بذلك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أو لم ير هذا الإنسان الكافر أصل خلقه، وكيف كان فيتفكر بذلك ويعتبر ويوقن بقدرتنا على البعث، ولكنه ما فكر وما اعتبر وما أيقن، ولكنه كان مخاصمًا لربه مجادلًا في آياته يحادد ربَّه ﷻ ويشاقق ويعترض على أوامره ويظاهر ويتعاون مع الذين يرفضون أمر الله، فقوله: ﴿خَصِيمٌ﴾ بمعنى: مخاصم مجادل ﴿مُّبِينٌ﴾ مظهر بخصومته

---

(١) تقدم بنحوه.

عداوته لربِّه ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام إذن: أولم ير هذا الإنسان الذي يقول: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨﴾ أنا خلقناه من نطفة فسويناه خلقًا سويًا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ﴾ يقول: فإذا هو ذو خصومة لربه، يخاصمه فيما قال له ربه إني فاعل، وذلك إخبار الله إياه أنه محيي خلقه بعد مماتهم، فيقول: من يحيي هذه العظام وهي رميم؟! إنكارًا منه لقدرة الله على إحيائها.

وقوله: ﴿مُّبِينٞ ٧٧﴾ يقول: يبين لمن سمع خصومته وقيله ذلك أنه مخاصم ربه الذي خلقه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات نزلت في أبي بن خلف، أو العاص أو فيهما، فهي عامة في كل مَنْ أنكر البعث. والألف واللام في قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ للجنس، يعم كل منكر للبعث.

﴿أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧﴾ أي: أولم يستدل مَنْ أنكر البعث بالبدء على الإعادة، فإن الله ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ٢١ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢٢﴾ [المرسلات: ٢٠-٢٢]. وقال: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢] أي: من نطفة من أخلاط متفرقة، فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته؟

وأورد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ما أخرجه الإمام أحمد(١) في مسنده بإسناد صحيح من حديث بُسْر بن جحَاش: أن رسول الله ﷺ بصق يومًا في كفه، فوضع عليها إصبعه، ثم قال: «**قال الله ﷻ: ابن آدم أنَّى تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟! حتى إذا سَوّيتك وعدلتك، مشيت بين برديك وللأرض منك وَئِيدٌ، فجَمَعت ومَنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلتَ: أتصدقُ، وأنَّى أوانُ الصدقة**».

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ وهو اليسير من الماء نطف إذا قطر ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧﴾ أي: مجادل في الخصومة مبين للحجة يريد بذلك أنه صار بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا خصيمًا مبينًا.

وذلك أنه أتى النبي □ بعظم حائل فقال: يا محمد أترى أن الله يحيي هذا بعد ما رم! فقال النبي ﷺ: «**نعم ويبعثك الله ويدخلك النار**» فنزلت هذه الآية.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧﴾ سبب نزول؟

ج: أورد الطبري بسندٍ مرسل صحيح إلى سعيد بن جبير قال: جاء العاص ابن وائل السهمي إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل، ففته بين يديه، فقال: يا محمد أيبعث الله هذا حيًّا بعد ما أرم؟ قال: «**نعم يبعث الله هذا، ثم**

(١) المسند (٤/٢١٠).

يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم» قال: ونزلت الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾...﴾ وإلى آخر الآية.

وهذا مرسلٌ، وهو ضعيف من هذا الوجه، وقد ذكره ابن أبي حاتم(١) متصلًا بذكر ابن عباس، قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا محمد بن العلا حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله ص: أيحيي الله هذا بعدما أرم؟ فقال رسول الله ص: «**نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم**». قال: نزلت الآيات آخر يس.

قلت (مصطفى): فالخبر مختلف في وصله وإرساله، كما ترى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وشبَّهنا هذا الكافرُ بخلقنا فقال: من ذا الذي يحيي هذه العظام البالية المتفتتة، وقد أصبحت رميمًا وترابًا، ونسي هذا الإنسان الكافر كيف خلقناه فقد خلقناه من نطفةٍ من مني يمنى، من قطرة مني قُذفت في رحم امرأة فهنالك حدث الاختلاط بين ماء الرجل

---

(١) نقلًا عن شيخنا الشيخ مقبل رحمه الله إذ نقل السند أيضًا عن ابن كثير عن ابن أبي حاتم، وقال: الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ج٢ ص٤٢٩ من طريق عمرو بن عون عن هشيم به، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وماء المرأة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢]، وكما قال تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: ٦، ٧]، أو لم يذكر الإنسان الكافر هذا، ومن ثمَّ فلا يشبهنا بخلقنا، ولا يصفنا بالعجز، أو لم يتفكر في هذا فيوقن بقدرتنا على البعث، بعث العباد بعد موتهم فقل يا رسول الله لهذا الكافر الجاحد المنكر للبعث إذا سأل من يحيي العظام وهي رميم؟ قل له: يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليمٍ، فالذي خلق الخلق لأول مرة قادر على بعثهم وإعادتهم.

وقل أيضًا يحييها الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ـ نارًا فإذا أنتم منه توقدون النار.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ يقول: ومثل لنا شبهًا بقوله: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ إذ كان لا يقدر على إحياء ذلك أحد، يقول: فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ يقول: ونسي خلقنا إياه كيف خلقناه، وأنه لم يكن إلا نطفة، فجعلناها خلقًا سويًّا ناطقًا، يقول: فلم يفكر في خلقنا إياه، فيعلم أن من خلقه من نطفة حتى صار بشرًا سويًّا ناطقًا متصرفًا، لا يعجز أن يعيد الأموات أحياء، والعظام الرميم بشرًا كهيئتهم التي كانوا بها قبل الفناء، يقول الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهذا المشرك القائل لك: من يحيي العظام وهي رميم ﴿يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يقول: يحييها الذي ابتدع خلقها أول مرة ولم تك شيئًا ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾

يقول: وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت، وكيف يحيي، وكيف يبدئ، وكيف يعيد، لا يخفى عليه شيء من أمر خلقه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كذلك:

يقول تعالى ذكره: قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ يقول: الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر نارًا تحرق الشجر، لا يمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رمت، وإعادتها بشرًا سويًّا، وخلقًا جديدًا، كما بدأها أول مرة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ يقول: الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه.

قال الطبري: قوله: ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ يقول: فإذا أنتم من هذا الشجر توقدون النار؛ وقال: ﴿مِّنْهُ﴾ والهاء من ذكر الشجر، ولم يقل: منها، والشجر جمع شجرة؛ لأنه خرج مخرج الثمر والحصى، ولو قيل: منها كان صوابًا أيضًا؛ لأن العرب تذكر مثل هذا وتؤنثه.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ يقول تعالى ذكره منبهًا هذا الكافر الذي قال: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ على خطإ قوله، وعظيم جهله ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السبع ﴿وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ﴾ مثلكم، فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السماوات والأرض. يقول: فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم، فكيف يتعذر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمت وبليت؟ وقوله: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يقول: بلى هو قادر على أن يخلق مثلهم وهو الخلاق لما يشاء،

الفعال لما يريد، العليم بكل ما خلق ويخلق، لا يخفى عليه خافية.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ أي: استبعد إعادة الله تعالى -ذي القدرة العظيمة التي خلقت السماوات والأرض- للأجساد والعظام الرميمة، ونسي نفسه، وأن الله خلقه من العدم، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ أي: يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت، وأين تفرقت وتمزقت.

وأورد ما أخرجه أحمد والبخاري ومسلم، واللفظ لأحمد من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن رجلًا حضره الموت، فلما أيس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا متُّ فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا جزلًا، ثم أوقدوا فيه نارًا، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت فخذوها فأذرُّوها في اليم، ففعلوا، فجمعه الله إليه فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله له**». فقال عقبة بن عمرو: وأنا سمعته يقول ذلك. وكان نبَّاشًا[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ أي: الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرًا نضرًا ذا ثمر وينْع، ثم أعاده إلى أن صار حطبًا يابسًا، توقد به النار، كذلك هو فعال لما يشاء،

---

(١) البخاري (٣٤٥٢)، وأحمد (٥/٣٩٥).

قادر على ما يريد لا يمنعه شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ أي ونسي أنا أنشأناه من نطفة ميتة فركبنا فيه الحياة أي جوابه من نفسه حاضر ولهذا قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**نعم ويبعثك الله ويدخلك النار**».

قوله تعالى: (ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا) نبه تعالى على وحدانيته ودل على كمال قدرته في إحياء الموتى بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود الندي الرطب وذلك أن الكافر قال: النطفة حارة رطبة بطبع الحياة فخرج منها الحياة والعظم بارد يابس بطبع الموت فكيف تخرج منه الحياة! فأنزل الله تعالى: (ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ إي إن الشجر الأخضر من الماء والماء بارد رطب ضد النار وهما لا يجتمعان فأخرج الله منه النار فهو القادر على إخراج الضد من الضد وهو على كل شيء قدير ويعني بالآية ما في المرخ والعفار وهي زنادة العرب ومنه قولهم: في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار، فالعفار الزند وهو الأعلى والمرخ الزندة وهي الأسفل يؤخذ منهما غصنان مثل المسواكين يقطران ماء فيحك بعضهما إلى بعض فتخرج منهما النار وقال: (مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ) ولم يقل الخضراء وهو جمع لأنه رده إلى اللفظ ومن العرب من يقول: الشجر الخضراء كما قال عَزَّ وَجَلَّ: (مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الواقعة: ٥٢ - ٥٣].

❁ ❁ ❁

مزيدٌ من الاستدلالات على البعث

س: كثيرًا ما يستدل على البعث بالخلق الأول (أي بخلق الإنسان أول مرة)، دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

وقوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [ق: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ [الروم: ٢٧].

❋ ❋ ❋

س: أجيب على أهل الشرك إذ قالوا: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ بجواب يتضمن عدة استدلالات على البعث. وضح ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

الاستدلال الأول: قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ﴾ فهذا دال على قدرته على البعث.

الاستدلال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾، وهذا أيضًا يتضمن قدرته على الخلق.

الاستدلال الثالث: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ فكونه أخرج من الشجر الأخضر نارًا مع أن الخضرة تتنافى مع النار قادر على إحياء الأرض بعد موتها.

وكذا من قال إن البترول أصله شجر أخضر قد تحلل.

الاستدلال الرابع: استدلالٌ بخلقه السماوات والأرض، وخلقهما أعظم من

خلق الناس، فالذي خلقهما قادر على أن يخلق ما دونهما.

الاستدلال الخامس: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ أي: خلَّاق لكل شيء، وعليم بكل شيء.

الاستدلال السادس: أن ملكوت كل شيء بيديه وهو قوله: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

هذا، وقد أشار السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى ذلك إذ قال مجيبًا على من قال: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾﴾:

فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شافٍ كافٍ، فقال: ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ﴾ وهذا بمجرد تصوره، يعلم به علمًا يقينًا لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون على القدرة إذا تصوره المتصور.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾، هذا أيضًا دليل ثانٍ من صفات الله تعالى، وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم.

ثم ذكر دليلًا ثالثًا فقال: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ فإذا أخرج النار اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادهما وشدة تخالفهما، فإخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك.

ثم ذكر دليلًا رابعًا فقال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ على سعتهما وعظمهما ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ أي: أن يعيدهم بأعيانهم. ﴿بَلَىٰ﴾ قادر على ذلك، فإن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس. ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ وهذا دليل خامس، فإنه تعالى الخلاق، الذي جميع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه.

فإعادته للأموات فرد من أفراد آثار خلقه، ولهذا قال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ نكرة في سياق الشرط، فتعم كل شيء. ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ أي: في الحال من غير تمانع.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وهذا دليل سادس، فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكمية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية.

فإعادته إياهم بعد موتهم، لينفذ فيهم حكم الجزاء، من تمام ملكه؛ ولهذا قال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ من غير امتراء ولا شك، لتواتر البراهين القاطعة والأدلة الساطعة على ذلك. فتبارك الذي جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ

﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

ج: هذا - والله أعلم - احتجاج على منكري البعث بما حاصله أن الله ﷻ الذي خلق السماوات والأرض -وهي أكبر من خلق الناس- قادرٌ ﷻ على أن يخلق مثل هؤلاء البشر الضعفاء الذين هم في خلقهم أيسر على الله من خلق السماوات والأرض، فخالق الشيء العظيم لا يعجز عن خلق ما دونه فهنا يقول تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ أي: مثل بني آدم، ثم يجيب تعالى بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ أي: إنه لقادر على خلق مثلهم وهو الخلاق لا يصعب عليه خلق شيء، فهو يخلق ما يشاء، عليم بكل شيء، وعليم كيف يخلق أي شيء.

ثم يقول تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ أي: تخلق الأشياء بكلمة (كُن) فيكون الشيء كما أراده الله ﷻ.

وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: أنه[(١)] **«ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ أَوْ قَبْلَكُمْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا - يَعْنِي أَعْطَاهُ، قَالَ - فَلَمَّا حُضِرَ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لكم؟ قالوا: خَيْرَ أَبٍ. قالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا - فَسَّرَهَا قَتَادَةُ لَمْ يَدَّخِرْ - وَإِنْ يَقْدمْ عَلَى اللَّهِ يُعَذِّبْهُ فَانْظُرُوا، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ: فَاسْهَكُونِي - ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِيهَا. فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي فَفَعَلُوا فَقَالَ اللَّهُ كُنْ. فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ قَالَ مَخَافَتُكَ - أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ - فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللهِ».**

---

(١) البخاري (٦٤٨١).

أما قولـه: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ فحاصل معناه: فتنزه ربنا الذي بيده ملك كل شيء ومقاليد كل شيء عن الضعف وعن النقص وعن الشريك وكيف يكون له شريك وله ملك كل شيء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ أي: تبعثون وترجعون إليه يوم القيامة للحساب والجزاء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منبهًا على قدرته العظيمة في خلق السماوات السبع، بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت، والأرضين السبع وما فيها من جبال ورمال، وبحار وقفار، وما بين ذلك، ومرشدًا إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة، كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ **[غافر: ٥٧]**. وقال هاهنا: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ أي: مثل البشر، فيعيدهم كما بدأهم. قاله ابن جرير.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ **[الأحقاف: ٣٣]**، وقال: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ أي: يأمر بالشيء أمرًا واحدًا، لا يحتاج إلى تكرار:

إذَا مَــا أرَادَ اللهُ أمْــرًا فإنَّمَــا يَقُـولُ لَــهُ «كُــنْ» قَوْلَـةً فَيَكُـونُ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولــه: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ أي: تنزيه وتقديس وتبرئة من السوء للحي القيوم، الذي بيده مقاليد السماوات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله، وله الخلق والأمر، وإليه ترجع العباد

يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله، وهو العادل المنعم المتفضل.

ومعنى قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ كقوله ﷻ: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، وكقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، فالملك والملكوت واحد في المعنى، كرحمة ورَحَمُوت، ورَهْبَة ورَهَبُوت، وجَبْر وجَبَرُوت. ومن الناس من زعم أن المُلْك هو عالم الأجساد والملكوت هو عالم الأرواح، والأول هو الصحيح، وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى محتجًّا: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ أي أمثال المنكرين للبعث وقرأ سلام أبو المنذر ويعقوب الحضرمي: ﴿**يقدر على أن يخلق مثلهم**﴾ على أنه فعل ﴿**بلى**﴾ أي إن خلق السماوات والأرض أعظم من خلقهم فالذي خلق السماوات والأرض يقدر على أن يبعثهم ﴿**وهو الخلاق العليم**﴾ وقرأ الحسن باختلاف عنه **(الخالق)**.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ قرأ الكسائي ﴿**فيكون**﴾ بالنصب عطفًا على (يَقُولَ) أي إذا أراد خلق شيء لا يحتاج إلى تعب ومعالجة.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ نزه نفسه تعالى عن العجز والشرك وملكوت وملكوتي في كلام العرب بمعنى ملك والعرب تقول: جبروتي خير من رحموتي وقال سعيد عن قتادة: ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مفاتح كل شيء

وقرأ طلحة ابن مصرف وإبراهيم التيمي والأعمش ﴿**ملكة**﴾ وهو بمعنى ملكوت إلا أنه خلاف المصحف ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ أي تردون وتصيرون بعد مماتكم وقراءة العامة بالتاء على الخطاب وقرأ السلمي وزر بن حبيش وأصحاب عبد الله ﴿**يرجعون**﴾ بالياء على الخبر.

❋ ❋ ❋

(١٥٥) أحمر أسود

تفسير سورة الصافات

قال الله تعالى:

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ
٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ
ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ
ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ١٠﴾ [الصافات: ١-١٠]

س: وضح معنى ما يلي:

(وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ – فَٱلزَّٰجِرَٰتِ – فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا – مَّارِدٖ – ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ – وَيُقۡذَفُونَ – دُحُورٗاۖ – وَاصِبٌ – خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ – شِهَابٞ ثَاقِبٞ).

ج:

الكلمة	معناها
(وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ)	هم الملائكة يصفون عند ربهم صفوفًا وكذا يصفون أجنحتهم
(فَٱلزَّٰجِرَٰتِ)	قيل: الملائكة تزجر السحاب وقيل: آيات القرآن التي فيها زجرٌ
(فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا)	قيل: هم الملائكة تتلو القرآن المنزل وقيل: هي آيات الله فيها إخبار للناس وتزكيةلهم ويتلو بعضها بعضًا
(مَّارِدٖ)	عاتٍ متمردٍ - عاصٍ شديد العصيان والنفور عن الطاعة خبيث ماكر
(ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ)	الملائكة في السماء
(وَيُقۡذَفُونَ)	يُرمون
(دُحُورٗاۖ)	مطرودين - مدحورين - مُبعدين
(وَاصِبٌ)	دائم
(خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ)	استرق كلمة من الملائكة وخبرًا مما تحدث به الملائكة

﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾	شهاب مضيءٌ محرقٌ من نار

معنى الصافات

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرًا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣﴾.

ج: هذا قسم أقسم الله ﷻ به، فأقسم ربنا بالصافات وهي الملائكة تصف عند ربها ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ٢٢﴾ [الفجر: ٢٢]، وكما قالت الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥﴾ [الصافات: ١٦٥].

وكما قال رسول الله ﷺ: « **فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ.....**» الحديث (١).

وكما قال ﷺ: « **أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِم؟**». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِم؟ قَالَ: « **يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْمُتَقَدِّمَةَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ** » (٢).

أما قوله تعالى: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرًا ٢﴾ فأيضًا هو قسمٌ أقسم الله به، والمراد بالزاجرات الملائكة التي تزجر السحاب، وقيل: آيات القرآن التي فيها زجرٌ للعباد، وكذا قوله تعالى: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣﴾ هي الملائكة تتلو الكتاب المنزل من عند الله كما قال تعالى: ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦﴾ فهذه تفسر قوله تعالى: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرًا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣﴾ وبنحو الذي ذكرت قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أقسم الله تعالى ذكره بالصافات، والزاجرات، والتاليات ذكرا؛ فأما

---

(١) مسلم (٥٢٢).

(٢) مسلم (٤٣٠).

الصافات: فإنها الملائكة الصافات لربها في السماء وهي جمع صافة، فالصافات: جمع جمع.

وأورد الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ عددًا من الآثار بذلك، وقال: واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢﴾ فقال بعضهم: هي الملائكة تزجر السحاب تسوقه.

وقال آخرون: بل ذلك آي القرآن التي زجر الله بها عما زجر بها عنه في القرآن.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢﴾ قال: ما زجر الله عنه في القرآن.

والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قال مجاهد، ومن قال هم الملائكة، لأن الله تعالى ذكره، ابتدأ القسم بنوع من الملائكة، وهم الصافون بإجماع من أهل التأويل، فلأن يكون الذي بعده قسما بسائر أصنافهم أشبه.

وقوله: ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ يقول: فالقارئات كتابًا.

واختلف أهل التأويل في المعني بذلك، فقال بعضهم: هم الملائكة.

وقال آخرون: هو ما يتلى في القرآن من أخبار الأمم قبلنا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ قال: ما يتلى عليكم في القرآن من أخبار الناس والأمم قبلكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ الملائكة تقرأ كتاب الله تعالى قاله ابن مسعود و ابن

عباس و الحسن و مجاهد و ابن جبير و السدي وقيل: المراد جبريل وحده فذكر بلفظ الجمع لأنه كبير الملائكة فلا يخلو من جنود وأتباع وقال قتادة: المراد كل من تلا ذكر الله تعالى وكتبه وقيل: هي آيات القرآن وصفها بالتلاوة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [النمل: ٧٦]، ويجوز أن يقال لآيات القرآن تاليات لأن بعض الحروف يتبع بعضا ذكره القشيري وذكر الماوردي: أن المراد بالتاليات الأنبياء يتلون الذكر على أممهم.

❁ ❁ ❁

س: هل ورد أن رسول الله ﷺ صلى بأصحابه بالصافات؟

ج: نعم قد ورد ذلك فيما أخرجه النسائي من طريق ابن أبي ذئب قال: أخبرني الحارث بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف، ويؤمنا بالصافات. تفرد به النسائي(١).

❁ ❁ ❁

س: على أي شيء أقسم الله ﷻ (بالصافات...).

ج: أقسم الله ﷻ على أنه إله واحد، أي أنه أقسم على وحدانيته ﷻ. وكذا أقسم على أنه رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق.

❁ ❁ ❁

---

(١) النسائي (٢/٩٥)، وأحمد (٢/٢٦ و١٥٧)، وغيرهما، وفي سنده الحارث بن عبد الرحمن خال ابن أبي ذئب، وحديثه قابل للتحسين عند فريق من العلماء.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾.

ج: إيضاحه - والله أعلم - أن معبودكم الذي يجب أن تعبدوه إلهٌ واحد هو خالق السماوات والأرض ومدبر أمرهما، وكذا فهو رب المشارق - مشارق الشمس - ومغاربها، تلك التي تشرق فيها الشمس صيفًا وشتاءً وتغرب، ويحتمل أن يراد مشارق الشمس والقمر والنجوم، ومغارب ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾﴾ والصافات صفًّا إن معبودكم الذي يستوجب عليكم أيها الناس العبادة، وإخلاص الطاعة منكم له لواحد لا ثاني له ولا شريك. يقول: فأخلصوا العبادة وإياه فأفردوا بالطاعة، ولا تجعلوا له في عبادتكم إياه شريكا.

وقوله: (رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) يقول: هو واحد خالق السماوات السبع وما بينهما من الخلق، ومالك ذلك كله، والقيم على جميع ذلك، يقول: فالعبادة لا تصلح إلا لمن هذه صفته، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا معه في عبادتكم إياه من لا يضر ولا ينفع، ولا يخلق شيئًا ولا يفنيه.

وقوله: ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾ يقول: ومدبر مشارق الشمس في الشتاء والصيف ومغاربها، والقيم على ذلك ومصلحه، وترك ذكر المغارب لدلالة الكلام عليه، واستغنى بذكر المشارق من ذكرها، إذ كان معلومًا أن معها المغارب.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤﴾ وقع القسم على هذا إن إلهكم لواحد ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۝٥﴾ قال: مشارق الشمس في الشتاء والصيف.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤﴾ هذا هو المقسم عليه، أنه تعالى لا إله إلا هو ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: من المخلوقات، ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۝٥﴾ أي: هو المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من كواكب ثوابت، وسيارات تبدو من المشرق، وتغرب من المغرب. واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالتها عليهما. وقد صرح بذلك في قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ۝٤٠﴾ [المعارج:٤٠]. وقال في الآية الأخرى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾ [الرحمن:١٧] يعني في الشتاء والصيف، للشمس والقمر.

❁ ❁ ❁

المستفاد من النجوم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾.

ج: يخبر الله سبحانه وتعالى أنه زيَّن السماء الدُّنيا، وهي القريبة من الأرض بالكواكب وجعل هذه الكواكب فضلًا عن تزيين السماء الدنيا بها، جعلها تحفظ السماء الدنيا من تصنت الشياطين المتمردة العاتية التي كانت تتصنت على الملائكة وهم يتحدثون. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وكما قالت الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ

لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ [الجن: ٩]، فالحاصل أن السماء الدنيا زيِّنت بالكواكب، وجعلت هذه الكواكب بما يخرج منها من الشهب حفظًا للسماء الدنيا من تصنت الشياطين المردة جعلت حفظًا حتى لا تتسمع المردة من الشياطين أخبار الملائكة وهم يتحدثون، ومن سوَّلت له نفسه أن يتصنت فهنالك يُقذف بالشهب من كل ناحية فيرجع مُبعدًا مطرودًا، وله عذاب دائم متواصل، وكذا فإن من خطف خطفة من الأخبار التي تتحدث بها الملائكة في السماء ثم ذهب يلقيها على فم الكاهن أو الساحر، فإن شهاب يتبعه يحرقه؛ كما في الآية الكريمة: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾، وكما قالت الجن: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ﴾ يعنون بعد مبعث النبي ﷺ: ﴿يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ [الجن: ٩]، وقد قدمت مزيدًا من الحديث على هذا في سورة الجن (التسهيل، جزء تبارك).

هذا، وقد قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة بزينة الكواكب بإضافة الزينة إلى الكواكب، وخفض الكواكب بـ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ التي تليكم أيها الناس وهي الدنيا إليكم بتزيينها الكواكب: أي بأن زينتها الكواكب. وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ بتنوين زينة، وخفض الكواكب ردًّا لها على الزينة، بمعنى: إنا زينا السماء الدنيا بزينة هي الكواكب، كأنه قال: زيناها بالكواكب. وروي عن بعض قراء الكوفة أنه كان ينون الزينة وينصب الكواكب، بمعنى: إنا زينا

السماء الدنيا بتزييننا الكواكب. ولو كانت القراءة في الكواكب جاءت رفعا إذا نونت الزينة، لم يكن لحنا، وكان صوابا في العربية، وكان معناه: إنا زينا السماء الدنيا بتزيينها الكواكب: أي بأن زينتها الكواكب وذلك أن الزينة مصدر، فجائز توجيهها إلى أي هذه الوجوه التي وصفت في العربية.

وأما القراءة فأعجبها إلي بإضافة الزينة إلى الكواكب وخفض الكواكب لصحة معنى ذلك في التأويل والعربية، وأنها قراءة أكثر قراء الأمصار وإن كان التنوين في الزينة وخفض الكواكب عندي صحيحا أيضا. فأما النصب في الكواكب والرفع، فلا أستجيز القراءة بهما، لإجماع الحجة من القراء على خلافهما، وإن كان لهما في الإعراب والمعنى وجه صحيح.

وقوله: (وَحِفۡظٗا) يقول تعالى ذكره: (وَحِفۡظٗا) للسماء الدنيا زيناها بزينة الكواكب.

وحفظًا لها من كل شيطان عات خبيث زيناها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: (وَحِفۡظٗا) يقول: جعلتها حفظا من كل شيطان مارد.

وقوله: (لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ) اختلفت القراء في قراءة قوله: (لَّا يَسَّمَّعُونَ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة، وبعض الكوفيين: ﴿**لا يسمعون**﴾ بتخفيف السين من يسمعون، بمعنى أنهم يتسمعون ولا يسمعون. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بعد لا يسمعون بمعنى: لا يتسمعون، ثم أدغموا التاء في السين فشددوها.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالتخفيف؛ لأن الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه، أن الشياطين قد تتسمع الوحي، ولكنها ترمى بالشهب لئلا تسمع.

وأورد الطبري من طرق عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كانت للشياطين مقاعد في السماء، قال: فكانوا يسمعون الوحي، قال: وكانت النجوم لا تجري، وكانت الشياطين لا ترمى، قال: فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض، فزادوا في الكلمة تسعًا؛ قال: فلما بعث رسول الله ﷺ جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاء شهاب، فلم يخطه حتى يحرقه، قال: فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هو إلا لأمر حدث؛ قال: فبعث جنوده، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي بين جبلي نخلة؛ قال أبو كريب: قال وكيع: يعني بطن نخلة، قال: فرجعوا إلى إبليس فأخبروه، قال: فقال هذا الذي حدث.

قلت (مصطفى): وكما أسلفت فقد قدمت كمًّا كبيرًا من هذا في سورة الجن من (التسهيل)، فارجع إليها إن شئت.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب. وحفظا من كل شيطان مارد أن لا يسمع إلى الملإ الأعلى، فحذفت «إن» اكتفاء بدلالة الكلام عليها، كما قيل: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [الشعراء: ٢٠٠-٢٠١] بمعنى: أن لا يؤمنوا به؛ ولو كان مكان «لا» أن، لكان فصيحًا، كما قيل: (يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ) [النساء: ١٧٦] بمعنى: أن لا تضلوا، وكما قال:

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] بمعنى: أن لا تميد بكم. والعرب قد تجزم مع «لا» في مثل هذا الموضع من الكلام، فتقول: ربطت الفرس لا ينفلت، كما قال بعض بني عقيل:

وحتى رأينا أحسن الود بيننا مساكنة لا يقرف الشر قارف

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قال: منعوها. ويعني بقوله: ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ﴾: إلى جماعة الملائكة التي هم أعلى ممن هم دونهم.

قال: وقوله: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا﴾ ويرمون من كل جانب من جوانب السماء دحورًا.

والدحور: مصدر من قولك: دحرته أدحره دحرًا ودحورًا، والدحر: الدفع والإبعاد، يقال منه: ادحر عنك الشيطان: أي ادفعه عنك وأبعده.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ يقول تعالى ذكره: ولهذه الشياطين المسترقة السمع عذاب من الله واصب.

وأورد وجهين للعلماء في تفسير الواصب:

أحدهما: الدائم.

والآخر: الموجع.

واختار أنه الدائم، فقال:

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال: معناه: دائم خالص، وذلك أن الله قال: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ [النحل: ٥٢] فمعلوم أنه لم يصفه بالإيلام والإيجاع، وإنما وصفه بالثبات والخلوص.

وقوله:(إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) يقول: إلا من استرق السمع منهم ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ يعني: مضيء متوقد.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ من نار وثقوبه: ضوءه.

وبإسنادٍ حسن عن السدي قوله: ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ قال: شهاب مضيء يحرقه حين يرمى به.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾، قرئ بالإضافة وبالبدل، وكلاهما بمعنى واحد، فالكواكب السيارة والثوابت يثقب ضوءها جرم السماء الشفاف، فتضيء لأهل الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ **[الملك:٥]**، وقال: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

[الحجر:١٦-١٨]

وقوله ها هنا: (وَحِفْظًا) تقديره: وحفظناها حفظاً، ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ يعني: المتمرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع، أتاه شهاب ثاقب فأحرقه، ولهذا قال: (لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ) أي: لئلا يصلوا إلى الملأ الأعلى، وهي السماوات ومن فيها من الملائكة، إذا تكلموا بما يوحيه الله مما يقوله من شرعه وقدره، كما تقدم بيان ذلك في الأحاديث التي أوردناها عند قوله

تعـــــالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ:٢٣] ولهذا قال: ﴿وَيُقۡذَفُونَ﴾ أي: يرمون ﴿مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨﴾ أي: من كل جهة يقصدون السماء منها، ﴿دُحُورٗاۖ﴾ أي:رجما يدحرون به ويرجمون، ويمنعون من الوصول إلى ذلك، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩﴾ أي:في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجع مستمر، كما قال: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥﴾ [الملك:٥].

وقوله: ﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ﴾ أي: إلا من اختطف من الشياطين الخطفة، وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها إلى الذي تحته، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها بقدر الله قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن، كما تقدم في الحديث، ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ١٠﴾ أي: مستنير.

❁ ❁ ❁

(١٦٩) أحمر أسود

قال الله تعالى:

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾
بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ
﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا
هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ
تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الصافات: ١١-٢١]

س: وضح معنى ما يلي:

(فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ –طِينٖ لَّازِبِۭ –عَجِبۡتَ –يَسۡتَسۡخِرُونَ –دَٰخِرُونَ –زَجۡرَةٞ –يَوۡمُ ٱلدِّينِ –يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ).

ج:

الكلمة	معناها
(فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ)	سلهم
(طِينٖ لَّازِبِۭ)	طين لاصق (يلصق بعضه ببعض ويلصق بيد من يحمله) وقيل: الجيد، وقيل: إن الطين الجيد يكون لزجًا
(عَجِبۡتَ)	تعجبت
(يَسۡتَسۡخِرُونَ)	يسخرون ويستهزئون
(دَٰخِرُونَ)	أذلاء - صاغرون
(زَجۡرَةٞ)	نفخة واحدة - صيحة واحدة (النفخ في الصور) - وقيل: دعوة واحدة
(يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۞)	يوم القيامة الذي يُدان فيه الناس بأعمالهم
(يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۞)	يوم القيامة الذي يفصل فيه بين العباد ويُقضى فيه بينهم

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴿١١﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - سل يا رسول الله هؤلاء المشركين الجاحدين المنكرين للبعث أهم أشد خلقنا أم الأشياء الأخر التي خلقناها كالسماوات

والأرض والشمس والقمر والنجوم والشياطين وغير ذلك، فإن خلق السماوات والأرض أكبر وأعظم من خلقهم كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧]، فإذا كان كذلك فإن بعثهم أحياء يوم القيامة أمرٌ يسيرٌ علينا، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاستفت يا محمد هؤلاء المشركين الذي ينكرون البعث بعد الممات والنشور بعد البلاء: يقول: فسلهم: أهم أشد خلقا؟ يقول: أخلقهم أشد أم خلق من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسماوات والأرض؟

وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله بن مسعود: ﴿**أهم أشد خلقا أم من عددنا**﴾؟

وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾ يقول: إنا خلقناهم من طين لاصق. وإنما وصفه جل ثناؤه باللزوب، لأنه تراب مخلوط بماء، وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء؛ والتراب إذا خلط بماء صار طينًا لازبًا.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: اللازب: الجيد.

وفي روايةٍ عن ابن عباس: هو الطين الحر الجيد اللزج.

وفي روايةٍ عنه يشهد لها ما تقدم: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾ يقول: ملتصق.

وبإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: واللازب الذي يلزق باليد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: فَسَل هؤلاء المنكرين للبعث: أيما أشد خلقًا هم أم السماوات والأرض، وما بينهما من الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة؟ -وقرأ ابن مسعود: ﴿أم من عددنا﴾-فإنهم يُقرّون أن هذه المخلوقات أشد خلقًا منهم، وإذا كان الأمر كذلك فلم ينكرون البعث؟ وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا. كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر:٥٧] ثم بين أنهم خُلقوا من شيء ضعيف، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾.

قال مجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك: هو الجيّد الذي يلتزق بعضه ببعض. وقال ابن عباس، وعكرمة: هو اللزج. وقال قتادة: هو الذي يلزق باليد.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ قراءتان. وضحهما مع بيان معنيهما.

ج: نعم في قوله تعالى: ﴿عَجِبْتَ﴾ قراءتان.

إحداهما: ﴿عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء.

الثانية: ﴿عجبتُ﴾ بضم التاء.

ومعنى ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾: أي بل عجبت أنت يا رسول الله من الفضل العظيم الذي أنزلته عليك وإبلاغك إياهم وتكذيبهم لك وسخريتهم بك. فأنت تقدم لهم كل خير، وتخبرهم بما فيه كل نفع وتتلو عليهم خير كتاب وهم يسخرون منك ويكذبونك ويعاندونك، فأنت متعجبٌ من صنيعهم وهم يسخرون منك.

والوجه الثاني: (بل عجبتُ): معناه – والله أعلم -: أن الله ﷻ يخبرنا بأنه تَعجَّب من صنيع هؤلاء المكذبين، فالقرآن يتلى عليهم، وهم فيه يسخرون وأنت تدعوهم إلى التوحيد وهم يسخرون منك.

وأيضًا قد عجب ربنا من اتخاذهم شريكًا له مع هذه الآيات التي تُساق إليهم.

قوله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴿١٢﴾﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة: ﴿**بل عجبتُ ويسخرون**﴾ بضم التاء من عجبت، بمعنى: بل (١) عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكا، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن.

هذا، وقد أورد الطبري عن قتادة بسندٍ حسن أنه قال: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴿١٢﴾﴾ قال: عجب محمد عليه الصلاة والسلام من هذا القرآن حين أعطيه، وسخر منه أهل الضلالة.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴿١٢﴾﴾ أي: بل عجبت -يا محمد- من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث، وأنت موقن مصدق بما أخبر الله به من الأمر العجيب، وهو إعادة الأجسام بعد فنائها. وهم بخلاف أمرك، من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك.

(١) وليس معنى هذا أن الطبري ينفي صفة العجب لله ولا أن صفة العجب منتفية عن الله. فسيورد الطبري القول الذي فيه... قد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله.

وهذه فائدة أوردها الطبري رحمه الله تعالى في سؤال طرحه وأجاب عليه، بعد أن صوَّب القراءتين بقوله الصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

فإن قال قائل: وكيف يكون مصيبًا القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟ قيل: إنهما وإن اختلف معنياهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه.

فإن قال: أكان التنزيل بإحداهما أو بكلتيهما؟ قيل: التنزيل بكلتيهما. فإن قال: وكيف يكون تنزيل حرف مرتين؟ قيل: إنه لم ينزل مرتين، إنما أنزل مرة، ولكنه أمر □ أن يقرأ بالقراءتين كلتيهما، ولهذا موضع سنستقصي إن شاء الله فيه البيان عنه بما فيه الكفاية.

❁ ❁ ❁

إثبات صفة التعجب لله

س: هل ربنا سبحانه وتعالى يعجب؟

ج: نعم ربنا سبحانه وتعالى يعجب، على الوجه الذي يليق به سبحانه، والشأن في ذلك شأن سائر الصفات.

قال رسول الله □: «**عجب الله من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل**»[(١)].

---

(١) البخاري حديث (٣٠١٠).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - أن هؤلاء المشركين إذا ذُكّروا ووعِظوا بالقرآن وما فيه من الآيات لا ينتفعون بالذكرى وإذا حُذروا لا ينتفعون بالتحذير.

(وَإِذَا رَأَوْا آيَةً) دلالة واضحة على قدرتنا ووحدانيتنا يسخرون منها ويستهزئون بها، فهذا شأنهم إعراض وسخرية وعدم انتفاع.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا ذكر هؤلاء المشركون حجج الله عليهم ليعتبروا ويتفكروا، فينيبوا إلى طاعة الله (لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾): يقول: لا ينتفعون بالتذكير فيتذكروا.

وقوله: (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾) يقول: وإذا رأوا حجة من حجج الله عليهم، ودلالة على نبوة نبيه محمد ﷺ يستسخرون: يقول: يسخرون ويستهزئون.

❁ ❁ ❁

استنكار المشركين للبعث

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾).

ج: هذا - والله تعالى أعلم - إخبارٌ عن أهل الكفر وقولهم في القرآن

الكريم، واستنكارهم للبعث، فقالوا عن القرآن: ما هذا إلا سحرٌ مظهرٌ لمن تأمله أنه سحرٌ، ثم قالوا عن البعث مستنكرين: أئذا متنا وتفرقت أجسادنا وتقطعت أوصالنا وكنا ترابًا وعظامًا باليةً نخِرةً أئنا لمبعوثون أحياءً بعد الممات؟!! وكذلك سيبعث آباؤنا الذين قد ماتوا وذهبوا؟ فأين هم الآن؟!

قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين الذين وصفوا القرآن بأنه سحر، نعم ستبعثون وأنتم أذلاء صاغرون، وما هي إلا نفخة واحدة - صيحة واحدة - ينفخها إسرافيل في الصور فإذا أنتم من القبور قيام تنظرون، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون - من قريش - بالله لمحمد ﷺ: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر مبين.

يقول: يبين لمن تأمله ورآه أنه سحر ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦﴾ يقولون، منكرين بعث الله إياهم بعد بلائهم: أئنا لمبعوثون أحياءً من قبورنا بعد مماتنا، ومصيرنا ترابًا وعظامًا، قد ذهب عنها اللحوم.

﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧﴾ الذين مضوا من قبلنا، فبادوا وهلكوا.

يقول الله لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء: نعم أنتم مبعوثون بعد مصيركم ترابًا وعظامًا أحياء كما كنتم قبل مماتكم، وأنتم داخرون.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧﴾ تكذيبًا بالبعث ﴿قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ١٨﴾.

وقوله: ﴿وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ١٨﴾ يقول تعالى ذكره: وأنتم صاغرون أشد الصغر؛ من قولهم: صاغر داخر.

وقوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ١٩﴾ يقول تعالى ذكره: فإنما هي صيحة واحدة، وذلك هو النفخ في الصور ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ١٩﴾ يقول: فإذا هم شاخصة أبصارهم ينظرون إلى ما كانوا يوعدونه من قيام الساعة ويعاينونه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ١٥﴾ أي:إن هذا الذي جئت به إلا سحر مبين، ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ١٦ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ١٧﴾ يستبعدون ذلك ويكذبون به، ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ١٨﴾ أي: قل لهم يا محمد: نعم تبعثون يوم القيامة بعد ما تصيرون ترابًا وعظامًا، ﴿وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ١٨﴾ أي: حقيرون تحت القدرة العظيمة، كما قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ٨٧﴾ [النمل:٨٧]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر:٦٠].

وقوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ١٩﴾ أي: إنما هو أمر واحد من الله عَزَّ وَجَلَّ، يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض، فإذا هم بين يديه، ينظرون إلى أهوال يوم القيامة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي إذا عجزوا عن مقابلة المعجزات بشيء قالوا هذا سحر وتخييل وخداع ﴿أَإِذَا مِتْنَا﴾ أي: أنبعث إذا متنا؟ فهو استفهام إنكار منهم وسخرية ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ١٧﴾ أي: أو تبعث آباؤنا دخلت ألف الاستفهام على حرف العطف وقرأ نافع: ﴿**أو آباؤنا**﴾ بسكون الواو وقد مضى هذا في سورة (الأعراف) في قوله تعالى: ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ [الأعراف: ٩٨].

قوله تعالى: (قُلۡ نَعَمۡ) أي: نعم تبعثون (وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ١٨) أي: صاغرون أذلاء لأنهم إذا رأوا وقوع ما أنكروه فلا محالة يذلون، وقيل: أي: ستقوم القيامة وإن كرهتم فهذا أمر واقع على رغمكم وإن أنكرتموه اليوم بزعمكم (فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ) أي: صيحة واحدة قاله الحسن: وهي النفخة الثانية وسميت الصيحة زجرة لأن مقصودها الزجر، أي: يزجر بها كزجر الإبل والخيل عند السوق (فَإِذَا هُمۡ) قيام (يَنظُرُونَ ١٩) أي: ينظر بعضهم إلى بعض، وقيل: المعنى ينتظرون ما يفعل بهم، وقيل: هي مثل قوله: (فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) [الأنبياء: ٩٧] وقيل: أي: ينظرون إلى البعث الذي أنكروه.

س: وضح معنى قولـه تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١﴾.

ج: هـذا ـ والله أعلم ـ دعـاءٌ منهم على أنفسهم فدعوا على أنفسهم بالويل، وأيضًا كأنهم فزعوا لما سيحل بهم، وكـأنهم أيضًا قالوا: يا للويل الذي سيحل بنا يا لعظيم هذه المصيبة ولشدة هذا العذاب.

فهذا يوم القيامة الذي كنا نستبعده قد جاء، وقد حلَّ، هذا هو اليوم الذي يُفصل فيه بين العباد فيدخل أهل الجنة الجنة وأهلُ النَّار النار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون المكذبون إذا زجرت زجرة واحدة، ونفخ في الصور نفخة واحدة: ﴿يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠﴾ يقولون: هذا يوم الجزاء والمحاسبة.

وقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١﴾ يقول تعالى ذكره: هذا يوم فصل الله بين خلقه بالعدل من قضائه الذي كنتم به تكذبون في الدنيا فتنكرونه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن قِيلِ الكفار يوم القيامة أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا، فإذا عاينوا أهوال القيامة نَدِمُوا كلَّ الندم حيث لا ينفعهم الندم، ﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠﴾. فتقول لهم الملائكة والمؤمنون: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١﴾. وهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾﴾ نادوا على أنفسهم بالويل لأنهم يومئذ يعلمون ما حل بهم وهو منصوب على أنه مصدر عند البصريين، وزعم الفراء أن تقديره: ياوي لنا ووي بمعنى: حزن. النحاس: ولو كان كما قال لكان منفصلًا وهو في المصحف متصل ولا نعلم أحدًا يكتبه إلا متصلًا و﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾﴾ يوم الحساب، وقيل: يوم الجزاء ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ قيل: هو من قول بعضهم لبعض أي هذا اليوم الذي كذبنا به وقيل: هو من قول الله تعالى لهم وقيل: من قول الملائكة، أي: هذا يوم الحكم بين الناس فيبين المحق من المبطل فـ ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ **[الشورى: ٧]**.

❀ ❀ ❀

(١٨١) أحمر أسود

قال الله تعالى:

﴿۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ
صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ (٢٤) مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ
مُسۡتَسۡلِمُونَ (٢٦) وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ (٢٧) قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ
ٱلۡيَمِينِ (٢٨) قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ
كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ (٣١) فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ
(٣٢) فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ (٣٤)
إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ
ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ (٣٦) بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ
ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٣٩)﴾

[الصافات: ٢٢-٣٩]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱحۡشُرُواْ –ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ –وَأَزۡوَٰجَهُمۡ –فَٱهۡدُوهُمۡ –صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ – وَقِفُوهُمۡۖ –لَا تَنَاصَرُونَ – مُسۡتَسۡلِمُونَ –يَتَسَآءَلُونَ –تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ –سُلۡطَٰنِۭۖ –طَٰغِينَ –فَحَقَّ عَلَيۡنَا –فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ –وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(ٱحۡشُرُواْ)	اجمعوا
(ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ)	الذين كفروا - الذين أشركوا
(وَأَزۡوَٰجَهُمۡ)	أشباههم - نظراءهم - ضُرباءهم[(١)] - أتباعهم - أمثالهم- أشياعهم
(فَٱهۡدُوهُمۡ)	أرشدوهم - سوقوهم
(صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ)	طريق النار
(وَقِفُوهُمۡۖ)	احبسوهم - أوقفوهم (في مكانهم لا يتحركون حتى تُسألوا)
(لَا تَنَاصَرُونَ)	لا ينصر بعضكم بعضًا
(مُسۡتَسۡلِمُونَ)	خاضعون - ذليلون - لا يستطيعون فعل شيء يريدونه، بل يُفعل بهم ما يريده
(يَتَسَآءَلُونَ)	يتخاصمون - يتلاومون - يوبِّخ بعضهم بعضًا

---

(١) أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن عمر ﵁ أنه قال: ضرباءهم.

﴿تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾	تدخلون علينا من قبل الدين فتصرفوننا عن الحق إلى الباطل، وتزينون لنا الدنيا وتزهدوننا في الآخرة. تجبروننا على الكفر بالقوة والقهر. تأتوننا من حيث نأمنكم
﴿سُلْطَٰنٍۭ﴾	قوة - قهر - حجة
﴿طَٰغِينَ﴾	متجاوزين للحد في الكفر والظلم والمعاصي والكبائر
﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾	فوجب علينا ما كتبه الله علينا فحلَّ بنا
﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾	فصرفناكم عن الحق - أضللناكم - زينا لكم
﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	وافق المرسلين فيما قالوه أخبر بصدقهم وأنهم ما كذبوا آمن بالمرسلين قبله

❁ ❁ ❁

بعض مشاهد القيامة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أنه يُقال للملائكة اجمعوا أهل الكفر والشرك بالله ﷻ مع آلهتهم التي عبدوها من دون الله، من أصنام ونحو ذلك، اجمعوهم مع نظرائهم وأمثالهم وأشياعهم وأتباعهم.

أما قوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فله وجهان: أحدهما: مع الله، أي: وما كانوا

يعبدونه مع الله، الثاني: يعبدونها بدلًا من عبادتهم لله، أي: يتركون عبادة الله بالكلية.

أما قوله: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣﴾ فمعناه: فأرشدوهم إلى طريق النار.

أما قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤﴾ فمعناه: أوقفوهم للسؤال؛ أما متى هذا الوقوف ومتى هذا الإيقاف، فالله أعلم به، ثم من العلماء من قال: يوقفون وهم في طريقهم إلى النار لتأنيبهم وتبكيتهم وتوبيخهم وبيان ضعفهم ومهانتهم، فيقال لهم: ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥﴾ لا ينصر بعضكم بعضًا، فلا جواب إلا الاستسلام والخضوع والذل والمهانة، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي هذا الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر عما ترك، وهو: فيقال: احشروا الذين ظلموا، ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفروا بالله في الدنيا وعصوه وأزواجهم وأشياعهم على ما كانوا عليه من الكفر بالله وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ قال: أزواجهم في الأعمال، وقرأ ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠﴾ [الواقعة: ٧-١٠] فالسابقون زوج، وأصحاب الميمنة زوج، وأصحاب الشمال زوج، قال: كل من كان من هذا حشره الله معه. وقرأ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧﴾ [التكوير: ٧] قال: زوجت على الأعمال، لكل واحد من هؤلاء زوج، زوج الله بعض هؤلاء بعضًا، زوج أصحاب اليمين أصحاب اليمين، وأصحاب المشأمة أصحاب المشأمة، والسابقين السابقين، قال:

فهذا قوله: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ قال: أزواج الأعمال التي زوجهن الله.

وقوله: ﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره: احشروا هؤلاء المشركين وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، فوجهوهم إلى طريق الجحيم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ﴾: احبسوهم: أي احبسوا أيها الملائكة هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم، وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة ﴿إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ فاختلف أهل التأويل في المعنى الذي يأمر الله تعالى ذكره بوقفهم لمسألتهم عنه، فقال بعضهم: يسألهم هل يعجبهم ورود النار.

وقال آخرون: بل ذلك للسؤال عن أعمالهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقفوا هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم إنهم مسئولون عما كانوا يعبدون من دون الله.

وقوله: ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ يقول: ما لكم أيها المشركون بالله لا ينصر بعضكم بعضًا ﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ يقول: بل هم اليوم مستسلمون لأمر الله فيهم وقضائه، موقنون بعذابه. وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ لا والله لا يتناصرون، ولا يدفع بعضهم عن بعض ﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ في عذاب الله.

وقولـه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ قيل: معنى ذلك: وأقبل الإنس على الجن يتساءلون.

ذكر من قال ذلك:

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الإنس على الجن.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

الملائكة أن تُميزَ الكفار من المؤمنين في الموقف في محشرهم ومنشرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من الأصنام والأنداد، تحشر معهم في أماكنهم. وقوله: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ أي: أرشدوهم إلى طريق جهنم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء:٩٧].

وقولـه: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: قفوهم حتى يُسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: كما زعمتم أنكم جميع منتصر، ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: منقادون لأمر الله، لا يخالفونه ولا يحيدون عنه.

أما القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ فأورد أقوالًا نحو التي تقدمت ومما أورده في قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ أن الكافر يحشر مع الكافر، والزاني مع الزاني، وشارب الخمر مع شارب الخمر.

وكان مما أورده: نساؤهم اللواتي هن لهم موافقات على الكفر.

ويشهد للمعنى ما ورد في حديث[١] رسول الله ﷺ ففيه: «..... **يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت**».

* **وفي رواية[٢]:** «... **فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل النار يقبل بعضهم على بعض يتخاصمون ويتلاومون.

وللعلماء هنا قولان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾:

أحدهما: أن الإنسي أَقبل على الجنّي الذي أضلّه وأغواه.

الثاني: أن التابع من بني آدم (وهم الضعفاء) أقبل على المتبوع (وهم المستكبرون).

---

(١) البخاري (٧٤٣٧) وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) البخاري (٧٤٣٩) من حديث أبي سعيد مرفوعًا.

وكلا القولين صحيح، فهذا كله كائن يوم القيامة.

وإن كان الأشهر في هذا المقام أن الإنسي أقبل على الجني (وهو الشيطان والقرين الذي أغواه).

الحاصل أن التابع قاله للمتبوع.

فالكفار من بني آدم أقبلوا على الشياطين التي أضلتهم فقالوا لهم: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ كنتم تأتوننا من ناحية الدين فتزينون لنا الباطل، وتزهدوننا في الخير والحق بشبهكم التي تقذفونها إلينا.

وكذلك أيضًا يقول الأتباع من البشر لسادتهم وكبرائهم: إنكم كنتم تقهروننا على عبادة هذه الآلهة الباطلة وترغبوننا في عبادتها، فيجيب أهل الكفر من شياطين وعتاة بني آدم: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا﴾ أيها الأتباع من أهل الكفر ﴿مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ على إيمان، وما كانت لدينا قوة نقهركم بها على الكفر ولكنكم اخترتم هذا الطريق، وكنتم من أهل الطغيان وتجاوز الحدود، فوجب علينا ما كتب علينا كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

[هود: ١١٩]

فها نحن نذوق العذاب، لقد اخترنا طريقًا وهو طريق الضلال فسلكناه فسلكتموه معنا، فقد كنا غاوين فأغويناكم معنا.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ الأتباع والمتبوعون، كفار الإنس والشياطين كلهم مشتركون في العذاب، وهكذا نفعل بكل مجرم ومن اتبعه على إجرامه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد بسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الإنس على الجن.

(١٨٩) أحمر أسود

قال الطبري:

في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قالت الإنس للجن: إنكم أيها الجن كنتم تأتوننا من قِبَل الدين والحق فتخدعوننا بأقوى الوجوه، واليمين: القوة والقدرة في كلام العرب، ومنه قول الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد　　تلقاها عرابة باليمين

يعني: بالقوة والقدرة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ قال: قالت الإنس للجن: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، قال: من قِبَل الخير، فتنهوننا عنه، وتبطئوننا عنه.

وبإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: ﴿إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ قال: تأتوننا من قِبَل الحق تزينون لنا الباطل، وتصدوننا عن الحق.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ قال: قال بنو آدم للشياطين الذين كفروا: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، قال: تحولون بيننا وبين الخير، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان، والعمل بالخير الذي أمر الله به.

وقوله: ﴿قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ﴾ يقول تعالى ذكره: قالت الجن للإنس مجيبة لهم: بل لم تكونوا بتوحيد الله مقرين، وكنتم للأصنام عابدين.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ يقول: قالوا: وما كان لنا عليكم من حجة، فنصدكم بها عن الإيمان، ونحول بينكم من أجلها وبين اتباع الحق ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾﴾ يقول: قالوا لهم: بل كنتم أيها المشركون قومًا طاغين على الله، متعدين إلى ما ليس لكم التعدي إليه من معصية الله وخلاف أمره.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قال: قالت لهم الجن: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ حتى بلغ ﴿قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

وبإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ قال: الحجة وفي قوله: ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾﴾ قال: كفار ضلال.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فحق علينا قول ربنا، فوجب علينا عذاب ربنا، إنا لذائقون العذاب نحن وأنتم بما قدمنا من ذنوبنا ومعصيتنا في الدنيا؛ فهذا خبر من الله عن قيل الجن والإنس.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ﴾ قال: هذا قول الجن.

وقوله: ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾﴾ يقول: فأضللناكم عن سبيل الله والإيمان به إنا كنا ضالين؛ وهذا أيضًا خبر من الله عن قيل الجن والإنس، قال الله ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ يقول: فإن الإنس الذين كفروا بالله وأزواجهم، وما كانوا يعبدون من دون الله، والذين أغووا الإنس من الجن يوم القيامة في العذاب مشتركون جميعًا في النار، كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ

﴿٣٣﴾ قال: هم والشياطين. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إنا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصي الله في الدنيا على طاعته، والكفر به على الإيمان، فنذيقهم العذاب الأليم، ونجمع بينهم وبين قرنائهم في النار.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى أن الكفار يتلاومون في عرصات القيامة، كما يتخاصمون في دركات النار، ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨]. وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: ٣١-٣٣]. قالوا لهم هاهنا: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾.

وقوله: ﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ تقول القادة من الجن، والإنس للأتباع: ما الأمر كما تزعمون؟ بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان، قابلة للكفر والعصيان، ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: من حجة على صحة ما دعوناكم إليه، ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾﴾ أي: بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق، فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذي جاءتكم به الأنبياء، وأقاموا لكم الحجج على صحة ما جاءوكم به، فخالفتموهم.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾، يقول الكبراء للمستضعفين: حقت علينا كلمة الله: إنا من الأشقياء الذائقين العذاب يوم القيامة، ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ أي: دعوناكم إلى الضلالة، ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: دعوناكم إلى ما نحن فيه، فاستجبتم لنا، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: الجميع في النار، كل بحسبه، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

وقال القرطبي رحمه الله:

و﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ها هنا إنما هو أن يسأل بعضهم بعضًا ويوبخه في أنه أضله أو فتح له بابًا من المعصية يبين ذلك أن بعده ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ قال مجاهد: هو قول الكفار للشياطين، وقتادة: هو قول الإنس للجن وقيل: هو من قول الأتباع للمتبوعين دليله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ [سبأ: ٣١] الآية قال سعيد عن قتادة: أي تأتوننا عن طريق الخير وتصدوننا عنها وعن ابن عباس نحو منه وقيل: تأتوننا عن اليمين التي نحبها ونتفاءل بها لتغرونا بذلك من جهة النصح والعرب تتفاءل بما جاء عن اليمين وتسمية السانح وقيل: ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ تأتوننا مجيء من إذا حلف لنا صدقناه، وقيل: تأتوننا من قِبَل الدين فتهونون علينا أمر الشريعة وتنفروننا عنها.

قلت: وهذا القول حسن جدًّا؛ لأن من جهة الدين يكون الخير والشر واليمين بمعنى الدين أي: كنتم تزينون لنا الضلالة، وقيل: اليمين بمعنى القوة أي: تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر قال الله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ [الصافات: ٩٣] أي: بالقوة وقوة الرجل في يمينه وقال الشاعر:

إذا مـا رايـة رفعـت لمجـد تلقاهـا عرابـة بـاليمين

أي: بالقوة والقدرة وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد: ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ أي: من قبل الحق أنه معكم وكله متقارب المعنى ﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ قال قتادة: هذا قول الشياطين لهم، وقيل: من قول الرؤساء أي: لم تكونوا مؤمنين قط حتى ننقلكم منه إلى الكفر بل كنتم على الكفر فأقمتم عليه للإلف والعادة ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ﴾ أي: من حجة في ترك الحق ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾﴾ أي: ضالين متجاوزين الحد ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ هو أيضًا من قول المتبوعين، أي: وجب علينا وعليكم قول ربنا فكلنا ذائقو العذاب كما كتب الله وأخبر على ألسنة الرسل ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣] وهذا موافق للحديث: «**إن الله جل وعز كتب للنار أهلا وللجنة أهلًا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم**» ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ أي: زينا لكم ما كنتم عليه من الكفر ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾ بالوسوسة والاستدعاء ثم قال خبرًا عنهم: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الضال والمضل ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا الفعل ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾ أي: المشركين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

ج: معناها - والله أعلم - أن أهل الشرك كانوا إذا طُلب منهم أن يقولوا: لا إله إلا الله، فقيل لهم: قولوا: لا إله إلا الله، استكبروا وامتنعوا عن ذلك ويتمادى بهم الضلال والغيُّ إلى أن يصفوا رسول الله ﷺ بأنه

شاعر مجنون، فيقولون: أنترك عبادة آلهتنا من أجل أن شاعرًا مجنونًا قال لنا اتركوا عبادتها؟!!

فيدافع الله ﷻ عن نبيه ﷺ وعن الوحي الذي أوحاه إليه، فيقول تعالى: ﴿بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ﴾ وهو القرآن والتوحيد والإيمان، ﴿وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٧﴾ ووافق الرسل الذين قد تقدموه ولم يخالفهم، وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإن هؤلاء المشركين بالله الذين وصف صفتهم في هذه الآيات كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: قولوا: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥﴾ يقول: يتعظمون عن قيل ذلك ويتكبرون؛ وترك من الكلام قولوا، اكتفاءً بدلالة الكلام عليه من ذكره.

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦﴾ يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون من قريش: أنترك عبادة آلهتنا لشاعر مجنون؟!! يقول: لاتباع شاعر مجنون يعنون بذلك نبي الله ﷺ ونقول: لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ﴾ وهذا خبر من الله مكذبًا للمشركين الذين قالوا للنبي □: شاعر مجنون – كذبوا- ما محمد كما وصفوه به من أنه شاعر مجنون، بل هو لله نبي جاء بالحق من عنده، وهو القرآن الذي أنزله عليه، وصدق المرسلين الذين كانوا من قبله.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٧﴾: أي: صدق من كان قبله من المرسلين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ﴾ أي: في الدار الدنيا ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥﴾ أي: يستكبرون أن يقولوها، كما يقولها المؤمنون.

وقال أيضًا: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ أي: أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول الشاعر المجنون، يعنون رسول الله ﷺ؟! قال الله تعالى تكذيبًا لهم، وردًّا عليهم: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني: رسول الله ﷺ جاء بالحق في جميع شرعة الله له من الإخبار والطلب، ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣٧﴾ أي: صدّقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة، والمناهج السديدة، وأخبر عن الله في شرعه وأمره كما أخبروا، ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ...﴾ الآية.

[فصلت:٤٣]

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولـه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ أي: لقول شاعر مجنون فرد الله جلَّ وعزَّ عليهم فقال: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني: القرآن والتوحيد ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣٧﴾ فيما جاؤوا به من التوحيد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قولـه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝٣٨ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٩﴾.

ج: هذا - والله تعالى أعلم - قول الله ﷻ ووعيده للمشركين الذين كذبوا رسول الله ﷺ وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا ووصفوا رسول الله ﷺ بأنه شاعر مجنون، قال الله لهم: إنكم لذائقوا يوم القيامة العذاب

المؤلم الموجع جزاءً لكم بما عملتموه في الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من أهل مكة، القائلين لمحمد: شاعر مجنون ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝٣٨﴾ الموجع في الآخرة ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ﴾ يقول: وما تثابون في الآخرة إذا ذقتم العذاب الأليم فيها ﴿إِلَّا﴾ ثواب ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٩﴾ في الدنيا - معاصي الله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝٣٨﴾ الأصل لذائقون فحذفت النون استخفافا وخفضت للإضافة ويجوز النصب كما أنشد سيبويه:

فألفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله إلا قليلا

وأجاز سيبويه ﴿وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ على هذا ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٩﴾ أي: إلا بما عملتم من الشرك.

❀ ❀ ❀

قال الله تعالى:

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ (٤٠) أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ (٤١) فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ
(٤٢) فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٤٣) عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ
(٤٥) بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ (٤٧) وَعِندَهُمۡ
قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ (٤٩) فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ
يَتَسَآءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ (٥١) يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ
(٥٢) أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤)
فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ (٥٦) وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي
لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ
بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (٦٠) لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ (٦١)
أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا
شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ (٦٤) طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمۡ
لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ (٦٧) ثُمَّ
إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ (٦٩) فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ
يُهۡرَعُونَ (٧٠) وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ (٧٢) فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ
ٱلۡمُخۡلَصِينَ (٧٤)﴾ [الصافات: ٤٠-٧٤]

س : اذكر معنى ما يلي:

(ٱلۡمُخۡلَصِينَ –رِزۡقٌ مَّعۡلُومٌ –مُّكۡرَمُونَ –كَأۡسٍ –مَّعِينٍ –لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ –غَوۡلٌ –يُنزَفُونَ – قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ –عِينٌ –بَيۡضٌ مَّكۡنُونٌ –يَتَسَآءَلُونَ –قَرِينٌ –لَمَدِينُونَ –مُّطَّلِعُونَ – فَٱطَّلَعَ – سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ –لَتُرۡدِينِ –ٱلۡمُحۡضَرِينَ –نُّزُلًا –فِتۡنَةً –أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ – طَلۡعُهَا –لَشَوۡبًا مِّنۡ حَمِيمٍ –أَلۡفَوۡاْ –عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ –ٱلۡمُنذَرِينَ –ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلۡمُخۡلَصِينَ)	الذين أخلصهم الله واصطفاهم لعبادته
(رِزۡقٌ مَّعۡلُومٌ)	رزق أعلمهم الله به إجمالًا وهو الجنة
(مُّكۡرَمُونَ)	يكرمهم الله ﷻ
(كَأۡسٍ)	إناء (كوب) فيه خمر
(مَّعِينٍ)	جار - ظاهر - قريب تراه العين
(لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ)	يتلذذ بها شاربوها
(غَوۡلٌ)	لا تغتال عقولهم - اغتيال للعقول وذهاب بها
(يُنزَفُونَ)	يصابون بالصداع - تستنزف عقولهم
(قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ)	قاصرات النظر إلا على الأزواج لا ينظرن إلا إلى أزواجهن
(عِينٌ)	عيناء - حسنة العين
(بَيۡضٌ مَّكۡنُونٌ)	بيض محفوظ مصون، وقد قيل: إنه البيض الذي تحت القشر

(يَتَسَآءَلُونَ)	يسأل بعضهم بعضًا (على سبيل التذكير بما كان من أمر الدنيا وهم فيها)
(قَرِينٌ)	صديق مقارن ملازم
(لَمَدِينُونَ)	لمحاسبون - لمجزيُّون
(مُّطَّلِعُونَ)	ناظرون - مشاهدون
(فَٱطَّلَعَ)	فنظر
(سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ)	وسط النار
(لَتُرْدِينِ)	لتهلكني - لتدخلني النار
(ٱلْمُحْضَرِينَ)	الذين أحضروا في النار ودخلوها
(نُّزُلًا)	ضيافة وعطاءً وفضلًا
(فِتْنَةً)	اختبارًا وابتلاءً
(أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ)	قرار النار - قاع النار جذعها ومنبتها في قاع النار وفروعها تنتشر في النار، ومن قاع النار غذاؤها - منها غُذيت، ومنها سُقيت
(طَلْعُهَا)	ثمرها
(لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ)	لخليطًا ولمزيجًا من الماء الساخن الذي يغلي (قيل: خَلْط الماء بالصديد، صديد أهل النار)
(أَلْفَوْا)	وجدوا
﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾	على طريقهم يسيرون مُسرعين فَزعين مرعوبين

﴿ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾	القوم الذين أنذرناهم وخوفناهم (الكفار المكذبون للرسل)
﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾	الذين أخلصهم الله لعبادته الذين استخلصهم الله من الكفر

❀ ❀ ❀

ذكر بعض نعيم أهل الجنة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - لكن عباد الله المخلصين لا يعذبون بل ويكرمون غاية الإكرام، فهؤلاء الذين أخلصهم الله لعبادته واصطفاهم لها وسلمهم من الشرك، هؤلاء لهم رزق معلوم في الجنة، فالرزق المعلوم هو الجنة التي أعدت لهم وأعلمهم الله بها، ثم ببعض التفصيل لهذه الجنة وما فيها، قال تعالى: فواكه يتنعمون فيها كيف شاؤوا، وكيف اشتهوا فكلما اشتهوا منها شيئًا وجدوه، ولهم فوق ذلك إكرام من الله ﷻ، ومن الإكرام رفعة درجاتهم وتكليم الله لهم وسماعه لهم، وهم في بساتين وحدائق يتنعمون فيها، قد جلسوا واتكؤوا على سرر يقابل بعضهم بعضًا وينظر بعضهم إلى بعض، لا ينظر بعضهم إلى قفا بعضٍ، يطوف عليهم الولدان المخلدون بآنية فيها خمر، خمر جاري ظاهر، تِلك الخمر بيضاء كما قال

بعض أهل العلم: أشد بياضًا من اللبن، وقال بعض العلماء: إن البيضاء هي الكأس، ولا مانع من أن تكون الكأس بيضاء والخمر بيضاء لذيذة الطعام والمذاق يتلذذ بها الشاربون لا تغتال عقولهم ولا تذهب بها ولا يسكرون ولا تسبب لهم صداعًا.

وعندهم أيضًا مما يتلذذ به ويشتهي ويستمتع بالحسناوات من النساء حور العين، هؤلاء اللواتي قصرن أبصارهن وأعينهن عن الناس فلا ينظرن إلا إلى أزواجهن، قد قنعهن الله ﷻ، فليست لهم حاجة في النظر إلى غير الأزواج.

ثم إنهم حسناوات العيون عظيمات الحسن، كأن هؤلاء النسوة الحسناوات في حسنهن وجمالهن كالبيض المحفوظ.

وقد قال بعض العلماء في ذلك: إنه كالبياض الذي تحت القشر (تحت قشر البيض) قبل أن تمسه الأيدي، والمكنون المصون الذي لم تمسه الأيدي والذي لم يُصبه شيء بغيره عن حالته.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾) يقول: إلا عباد الله الذين أخلصهم يوم خلقهم لرحمته، وكتب لهم السعادة في أم الكتاب، فإنهم لا يذوقون العذاب، لأنهم أهل طاعة الله، وأهل الإيمان به.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ قال:

وقوله: (﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾) يقول: هؤلاء هم عباد الله المخلصون لهم رزق معلوم؛ وذلك الرزق المعلوم: هو الفواكه التي خلقها الله لهم في

الجنة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤١﴾ في الجنة.

* **وبإسناد حسن عن السدي في قوله:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤١﴾ قال: في الجنة.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: ﴿فَوَٰكِهُ﴾ ردًا على الرزق المعلوم تفسيرًا له، ولذلك رُفعت، وقوله: ﴿وَهُم مُّكۡرَمُونَ ۝٤٢﴾ يقول: وهم مع الذي لهم من الرزق المعلوم في الجنة، مكرمون بكرامة الله التي أكرمهم الله بها

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٤٣﴾ يعني: في بساتين النعيم

﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٤﴾ يعني: أن بعضهم يقابل بعضًا، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض. وقوله: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ۝٤٥﴾ يقول تعالى ذكره: يطوف الخدم عليهم بكأس من خمر جارية ظاهرة لأعينهم غير غائرة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ۝٤٥﴾ قال: كأس من خمر جارية، والمعين: هي الجارية.

وبإسنادٍ حسن عن السدي، في قوله: ﴿بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ۝٤٥﴾ قال: الخمر. والكأس عند العرب: كل إناء فيه شراب، فإن لم يكن فيه شراب لم يكن كأسا، ولكنه يكون إناء.

وقوله: ﴿بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٤٦﴾ يعني بالبيضاء: الكأس، ولتأنيث الكأس أنثت البيضاء، ولم يقل أبيض، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: **(صفراء)**.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ۝٤٦﴾ يقول: هذه الخمر لذة يلتذها شاربوها.

وقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ يقول: لا في هذه الخمر غول، وهو أن تغتال عقولهم: يقول: لا تذهب هذه الخمر بعقول شاربيها كما تذهب بها خمور أهل الدنيا إذا شربوها فأكثروا منها، كما قال الشاعر:

ومـا زالـت الكـأس تغتالنـا وتـذهب بـالأول الأول

والعرب تقول: ليس فيها غيلة وغائلة وغول بمعنى واحد؛ ورفع غول ولم ينصب بلا لدخول حرف الصفة بينها وبين الغول، وكذلك تفعل العرب في التبرئة إذا حالت بين لا والاسم بحرف من حروف الصفات رفعوا الاسم ولم ينصبوه، وقد يحتمل قوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أن يكون معنيًّا به: ليس فيها ما يؤذيهم من مكروه، وذلك أن العرب تقول للرجل يصاب بأمر مكروه، أو ينال بداهية عظيمة: غال فلانًا غول.

وأورد أقوالًا في ذلك.

منها: ليس فيها صداع.

ومنها: ليس فيها أذى فتشكي منه بطونهم.

ومنها: أنها لا تغول عقولهم.

ومنها: ليس فيها أذى ولا مكروه.

ومنها: ليس فيها إثم.

قال:

ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها وجه، وذلك أن الغول في كلام العرب: هو ما غال الإنسان فذهب به، فكل من ناله أمر يكرهه ضربوا له

بذلك المثل، فقالوا: غالت فلانًا غول، فالذاهب العقل من شرب الشراب، والمشتكي البطن منه، والمصدع الرأس من ذلك، والذي ناله منه مكروه كلهم قد غالته غول.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره قد نفى عن شراب الجنة أن يكون فيه غول، فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ فيعم بنفي كل معاني الغول عنه، وأعم ذلك أن يقال: لا أذى فيها ولا مكروه على شاربيها في جسم ولا عقل، ولا غير ذلك.

قال:

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة ﴿**ينزفون**﴾ بفتح الزاي، بمعنى: ولا هم عن شربها تنزف عقولهم. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: ﴿**ولا هم عنها ينزفون**﴾ بكسر الزاي، بمعنى: ولا هم عن شربها ينفد شرابهم.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى غير مختلفتيه، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن أهل الجنة لا ينفد شرابهم، ولا يسكرهم شربهم إياه، فيذهب عقولهم.

وأورد أقوالًا في ذلك حاصلها: لا تُذهب عقولهم، ولا تغلبهم على عقولهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وعند هؤلاء المخلصين من عباد الله في الجنة

قاصرات الطرف، وهن النساء اللواتي قصرن أطرافهن على بعولتهن، ولا يردن غيرهم، ولا يمددن أبصارهن إلى غيرهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن مجاهد والسدي قال: قصرن أبصارهن وقلوبهن على أزواجهن فلا يُردن غيرهم.

ونحوه عن قتادة بإسنادٍ حسن.

وبإسنادٍ صحيح إلى ابن زيد، في قول الله (قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ) قال: لا ينظرن إلا إلى أزواجهن، قد قصرن أطرافهن على أزواجهن، ليس كما يكون نساء أهل الدنيا.

وقوله: ﴿عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾ يعني بالعين: النجل العيون عظامها، وهي جمع عيناء، والعيناء: المرأة الواسعة العين عظيمتها، وهي أحسن ما تكون من العيون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: ﴿عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾ قال: عظام الأعين.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: العَيناء عظيمة العين.

قال الطبري:

وقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾﴾ اختلف أهل التأويل في الذي به شبهن من البيض بهذا القول، فقال بعضهم: شبهن ببطن البيض في البياض، وهو الذي داخل القشر، وذلك أن ذلك لم يمسه شيء.

وأورد عن سعيد بن جبير قوله: كأنهن بطن البيض.

وعن السدي بإسنادٍ صحيح: البيض حتى يُقشر قبل أن تمسه الأيدي.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة: لم تمر به الأيدي ولم تمسه يشبهن بياضه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال آخرون: بل شبهن بالبيض الذي يحضنه الطائر، فهو إلى الصفرة، فشبه بياضهن في الصفرة بذلك.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ قال: البيض الذي يكنه الريش، مثل بيض النعام الذي قد أكنه الريش من الريح، فهو أبيض إلى الصفرة فكأنه يبرق، فذلك المكنون.

وقال آخرون: بل عنى بالبيض في هذا الموضع: اللؤلؤ، وبه شبهن في بياضه وصفائه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: شبهن في بياضهن، وأنهن لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان ببياض البيض الذي هو داخل القشر، وذلك هو الجلدة الملبسة المح قبل أن تمسه يد أو شيء غيرها، وذلك لا شك هو المكنون؛ فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسها، والأيدي تباشرها، والعش يلقاها. والعرب تقول لكل مصون مكنون ما كان ذلك الشيء لؤلؤا كان أو بيضًا أو متاعًا، كما قال أبو دهبل:

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا ... ص ميزت من جوهر مكنون

وتقول لكل شيء أضمرته الصدور: أكننته، فهو مُكنٌّ.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن كرامتهم عند ربهم، وإكرام بعضهم بعضًا، أنهم على (سُرُرٍ) وهي المجالس المرتفعة، المزينة بأنواع الأكسية الفاخرة، المزخرفة المجملة،

فهم متكئون عليها، على وجه الراحة والطمأنينة، والفرح.

﴿مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾ فيما بينهم قد صفت قلوبهم، ومحبتهم فيما بينهم، ونعموا باجتماع بعضهم مع بعض، فإن مقابلة وجوههم، تدل على تقابل قلوبهم، وتأدب بعضهم مع بعض فلم يستدبره، أو يجعله إلى جانبه، بل من كمال السرور والأدب، ما دل عليه ذلك التقابل.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخاطبًا للناس: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾، ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين، كما قال تعالى ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ **[العصر:١-٣]**.

وقـــال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ **[التين:٤-٦]**، وقال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ **[مريم:٧١، ٧٢]**، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ **[المدثر:٣٨، ٣٩]** ولهذا قال هاهنا: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أي: ليسوا يذوقون العذاب الأليم، ولا يناقشون في الحساب، بل يتجاوز عن سيئاتهم، إن كان لهم سيئات، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف.

وقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾ قال قتادة، والسدي: يعني الجنة. ثم فسره بقوله تعالى: ﴿فَوَٰكِهُ﴾ أي: متنوعة ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: يُخْدمون ويرفهون وينعمون، ﴿فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾ قال مجاهد: لا ينظر

بعضهم إلى قفا بعض.

وقولـــه: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾، كما قال في الآية الأخرى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعـــة:١٧-١٩] فنـــزه الله خمر الآخرة عن الآفات التي في خمر الدنيا، من صداع الرأس ووجع البطن -وهو الغول- وذهابها بالعقل جملة، فقال تعالى هاهنا: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ أي: بخمر من أنهار جارية، لا يخافون انقطاعها ولا فراغها.

قال مالك، عن زيد بن أسلم: خمر جارية بيضاء، أي: لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء، من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة، إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم.

وقوله ﷻ: ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أي: طعمها طيب كلونها، وطيب الطعم دليل على طيب الريح، بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك.

وقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ يعني: لا تؤثر فيهم غولا -وهو وجع البطن. قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد-كما تفعله خمر الدنيا من القولنج ونحوه، لكثرة مائيتها.

وقيل: المراد بالغول هاهنا: صداع الرأس.

وقال:

وقولـــه: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ أي: عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

وقولـه: ﴿عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾ أي: حسان الأعين. وقيل: ضخام الأعين. هو

يرجع إلى الأول، وهي النجلاء العيناء، فوصف عيونهن بالحسن والعفة.

وقوله: (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾) وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان.

وقال الحسن: (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾) يعني: محصون لم تمسه الأيدي.

وقال السدي: البيض في عشه مكنون.

وقال سعيد بن جبير: ﴿بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾، يعني: بطن البيض.

وقال عطاء الخراساني: هو السحاء الذي يكون بين قشرته العليا ولباب البيضة.

وقال السدي: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ يقول: بياض البيض حين ينزع قشره. واختاره ابن جرير لقوله: ﴿مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾، قال: والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش، وتنالها الأيدي بخلاف داخلها، والله أعلم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾.

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة ثلاث صفات من صفات نساء أهل الجنّة:

الأولى: أنهن ﴿قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾، وهو العين، أي: عيونهن قاصرات على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم لشدة اقتناعهن واكتفائهن بهم.

الثانية: أنهن ﴿عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾، والعِين: جمع عيناء، وهي واسعة دار العين، وهي النجلاء.

الثالثة: أن ألوانهن بيض بياضًا مشربًا بصفرة؛ لأن ذلك هو لون بيض النعام الذي شبّههن به، ومنه قول امرىء القيس في نحو ذلك:

كبكر المقانات البياض بصفرة غذاها غير الماء نمير المحلّل

لأن معنى قوله: كبكر المقانات البياض بصفرة: أن لون المرأة المذكورة كلون البيضة البكر المخالط بياضها بصفرة، وهذه الصفات الثلاث المذكورة هنا، جاءت موضحة في غير هذا الموضع مع غيرها من صفاتهن الجميلة، فبيَّن كونهن قاصرات الطرف على أزواجهن، بقوله تعالى في (ص): ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝٥٢﴾ [ص: ٥٢]، وكون المرأة قاصرة الطرف من صفاتها الجميلة، وذلك معروف في كلام العرب، ومنه قول امرىء القيس:

من القاصرات الطرف لو دبّ محولٌ من الذرّ فوق الأتب منها لأثرا

وذكر كونهن عينًا في قوله تعالى فيهن: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢﴾ [الواقعة: ٢٢]، وذكر صفا ألوانهنّ وبياضها في قوله تعالى: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣﴾ [الواقعة: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾، وصفاتهن كثيرة معروفة في الآيات القرآنية.

واعلم أن اللّه أثنى عليهن بنوعين من أنواع القصر:

أحدهما: أنهن ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾، والطرف العين، وهو لا يجمع ولا يثنّى لأن أصله مصدر، ولم يأتِ في القرآن إلا مفردًا؛ كقوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝٤٣﴾ [إبراهيم: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ﴾، ومعنى كونهن ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ هو ما قدّمنا من أنهن لا ينظرن إلى غير أزواجهن بخلاف نساء الدنيا.

والثاني من نوعي القصر: كونهن مقصورات في خيامهن، لا يخرجن

منها؛ كما قال تعالى لأزواج نبيّه ﷺ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، وذلك في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن: ٧٢]، وكون المرأة مقصورة في بيتها لا تخرج منه من صفاتها الجميلة، وذلك معروف في كلام العرب؛ ومنه قوله:

من كان حربًا للنساء ... فإنني سلم لهنه
فإذا عثرن دعونني ... وإذا عثرت دعوتهنه
وإذا برزن لمحفل ... فقصارهن ملاحهنه

فقوله: قصارهن، يعني: المقصورات منهن في بيوتهن اللاتي لا يخرجن إلا نادرًا.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ذكر أزواجهم فقال: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨﴾ أي: وعند أهل دار النعيم، في محلاتهم القريبة، حور حسان، كاملات الأوصاف، قاصرات الطرف، إما أنها قصرت طرفها على زوجها، لعفتها وعدم مجاوزته لغيره، ولجمال زوجها وكماله، بحيث لا تطلب في الجنة سواه، ولا ترغب إلا به، وإما لأنها قصرت طرف زوجها عليها، وذلك يدل على كمالها وجمالها الفائق، الذي أوجب لزوجها، أن يقصر طرفه عليها، وقصر الطرف أيضًا، يدل على قصر النفس والمحبة عليها، وكلا المعنيين محتمل، وكلاهما صحيح، وهذا يدل على جمال الرجال والنساء في الجنة، ومحبة بعضهم بعضًا، محبة لا يطمح معها أحد إلى غيره، ويدل على شدة عفتهم كلهم، وأنه لا حسد فيها ولا تباغض، ولا تشاحن،

وذلك لانتفاء أسبابه.

﴿عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾ أي: حسان الأعين جميلاتها، ملاح الحدق.

﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ أي: الحور ﴿بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ أي: مستور، وذلك من حسنهن وصفائهن وكون ألوانهن أحسن الألوان وأبهاها، ليس فيه كدر ولا شين.

❁ ❁ ❁

أهل الجنة يرون أهل النار أحيانًا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن أهل الجنة بعد أن منَّ الله عليهم بدخولها وأخذوا منازلهم منها واستقروا فيها أقبل بعضهم على بعضٍ يذكُرون ما كان من شأنهم في الحياة الدنيا، ويذكرون مجالسهم التي كانوا يجلسونها في الدنيا، فكان مما تذاكروه أن واحدًا منهم قال لهم: إني كان لي صديق مقارن ملازم لي، وقيل: إن هذا القرين شيطان، وقيل: إنه إنسان غويّ، وكان هذا القرين الملازم لي يشككني في البعث والجزاء والثواب والعقاب، فكان يقول لي: أتصدق أننا بعد موتنا وتحوّلنا إلى ترابٍ وعظام سنبعث أحياءً مرة أخرى ونجازى على ما عملناه ونحاسب عليه؟! أئنا لمحاسبون؟!

فهكذا كان قرينه يشككه في البعث فبينما هم كذلك إذ قال هذا القائل هل أنتم ناظرون في النار للاطلاع عليها لرؤية هذا القرين فيها؟؟ فنظر

في النار واطلع عليها فرأى قرينه في وسطها، فقال له: والله لقد كدت أن تهلكني وتوردني هذا المورد الذي دخلته، ولولا فضل الله عليَّ وتثبيته لي على الإسلام والاستقامة لكنت معك الآن في النار.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ**:**

وقوله: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون، يقول: يسأل بعضهم بعضًا.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال قائل من أهل الجنة إذ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون: ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾ فاختلف أهل التأويل في القرين الذي ذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: كان ذلك القرين شيطانًا، وهو الذي كان يقول له: ﴿أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾﴾ بالبعث بعد الممات.

وقال آخرون: ذلك القرين شريك كان له من بني آدم أو صاحب.

وقال وقوله: ﴿أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ يقول أئنا لمحاسبون ومجزيّون بعد مصيرنا عظامًا ولحومنا ترابًا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال هذا المؤمن الذي أدخل الجنة لأصحابه: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾ في النار، لعلي أرى قريني الذي كان يقول لي: إنك لمن

المصدقين بأنا مبعوثون بعد الممات.

وقوله: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٥﴾ يقول: فاطلع في النار فرآه في وسط الجحيم. وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره، وهو فقالوا: نعم.

وقوله: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦﴾ يقول: فلما رأى قرينه في النار قال: تالله إن كدت في الدنيا لتهلكني بصدك إياي عن الإيمان بالبعث والثواب والعقاب.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝٥٧﴾ يقول: ولولا أن الله أنعم عليَّ بهدايته، والتوفيق للإيمان بالبعث بعد الموت، لكنت من المحضرين معك في عذاب الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، أي: عن أحوالهم، وكيف كانوا في الدنيا، وماذا كانوا يعانون فيها؟ وذلك من حديثهم على شرابهم، واجتماعهم في تنادمهم وعشرتهم في مجالسهم، وهم جلوس على السرر، والخدم بين أيديهم، يسعون ويجيئون بكل خير عظيم، من مآكل ومشارب وملابس، وغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١﴾ قال مجاهد: يعني شيطانًا.

وأورد بسندٍ(١) **فيه ضعف عن ابن عباس قال:** هو الرجل المشرك، يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا.

---

(١) وكذا السند عن مجاهد فيه كلام.

ولا تنافي بين كلام مجاهد، وابن عباس؛ فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس، ويكون من الإنس فيقول كلامًا تسمعه الأذنان، وكلاهما متعاديان، قال الله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢] وكل منهما يوسوس، كما قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس: ٤-٦]. ولهذا ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾﴾ أي: أأنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء؟! يعني: يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد، والكفر والعناد. ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ قال مجاهد، والسدي: لمحاسبون؟ وقال ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي: لمجزيون بأعمالنا؟ وكلاهما صحيح.

قال: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾ أي: مشرفون. يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة. ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ قال ابن عباس، وسعيد ابن جبير، وخليد العصري وقتادة، والسدي، وعطاء الخراساني يعني: في وسط الجحيم.

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾﴾ يقول المؤمن مخاطبًا للكافر: والله إن كدت لتهلكني لو أطعتك. ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ أي: ولولا فضل الله عليَّ لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت، محضر معك في العذاب، ولكنه تفضل عليَّ ورحمني فهداني للإيمان، وأرشدني إلى توحيده ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما ذكر تعالى نعيمهم، وتمام سرورهم، بالمآكل والمشارب، والأزواج الحسان، والمجالس الحسنة، وصف تذاكرهم فيما بينهم، ومطارحتهم للأحاديث، عن الأمور الماضية، وأنهم ما زالوا في المحادثة والتساؤل، حتى أفضى ذلك بهم، إلى أن قال قائل منهم: ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾ في الدنيا، ينكر البعث، ويلومني على تصديقي به. و﴿يَقُولُ﴾ لي ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ أي: مجازون بأعمالنا؟

أي: كيف تصدق بهذا الأمر البعيد، الذي في غاية الاستغراب، وهو أننا إذا تمزقنا، فصرنا ترابًا وعظامًا، أننا نبعث ونعاد، ثم نحاسب ونجازى بأعمالنا؟.

أي: يقول صاحب الجنة لإخوانه: هذه قصتي، وهذا خبري، أنا وقريني، ما زلت أنا مؤمنًا مصدقًا، وهو ما زال مكذبًا منكرًا للبعث، حتى متنا، ثم بعثنا، فوصلت أنا إلى ما ترون، من النعيم، الذي أخبرتنا به الرسل، وهو لا شك، أنه قد وصل إلى العذاب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

ج: هذا - والله تعالى أعلم -: قول أهل الجنة لما دخلوها واستقروا فيها، فقالوا على سبيل الشكر لنعمة الله العظيمة التي أنعم الله بها عليهم من دخولهم الجنة وخلودهم فيها: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾﴾ يتعجبون من واسع فضل الله عليهم ومن عظيم نعمته ورحمته بهم فيقولون متعجبين: أئنا لن نموت، إلا الموتة الأولى التي مُتناها في الدنيا؟! ولن نعذب؟! فحقًا إن هذا لهو

الفوز العظيم، وقوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

قال بعض أهل العلم: إنه قول الله ﷻ، وقال آخرون: إنه قول أهل الجنة، وحاصل معناه، لمثل هذا النعيم فليجتهد المجتهدون في طاعة الله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ**:**

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هذا المؤمن الذي أعطاه الله ما أعطاه من كرامته في جنته سرورًا منه بما أعطاه فيها ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾ يقول: أفما نحن بميتين غير موتتنا الأولى في الدنيا، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾ يقول: وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ يقول: إن هذا الذي أعطاناه الله من الكرامة في الجنة، أنا لا نعذب ولا نموت لهو النجاء العظيم مما كنا في الدنيا نحذر من عقاب الله، وإدراك ما كنا فيها، نؤمل بإيماننا، وطاعتنا ربنا.

وقوله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: لمثل هذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة في الآخرة، فليعمل في الدنيا لأنفسهم العاملون، ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ**:**

وقوله: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾ هذا من كلام المؤمن مغبطًا نفسه بما أعطاه الله من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة، لا موت فيها ولا عذاب؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

وقوله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ قال قتادة: هذا من كلام أهل الجنة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾ يحتمل أن يكون من كلام المؤمن لما رأى ما أعد الله له في الجنة وما أعطاه قال: ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا﴾ العطاء والفضل ﴿فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾ نظير ما قال له الكافر: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ۝٣٤﴾ [الكهف: ٣٤] ويحتمل أن يكون من قول الملائكة وقيل: هو من قول الله عز و جل لأهل الدنيا أي: قد سمعتم ما في الجنة من الخيرات والجزاء و﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا﴾ الجزاء ﴿فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾. النحاس: وتقدير الكلام - والله أعلم - فليعمل العاملون لمثل هذا.

ذكر شجرة الزقوم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ۝٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ۝٦٨ إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ۝٦٩ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ۝٧٠﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أهذا الذي ذكرناه من النعيم الذي أعد لأهل الجنة، ومن الإكرام المعدُّ لهم فيها خير ضيافةٍ، وأحسن عطاءً وأوسع رزقًا وأهنأ وأمرأ وأسلم أم من كان طعامه من شجرة الزقوم، تلك التي ذُكر شأنها في آيات أُخر إذ الله قال: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٦﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦]، إنا جعلنا هذه الشجرة في الدنيا سببًا لانصراف هؤلاء الكفار عن الحق وسببًا لإبعادهم عنه بسبب ابتعادهم الأول وانصرافهم عن مجيء الحق إليهم لأول مرة، فلانحرافهم أول مرة ولتكذيبهم رسولنا زدناهم انصرفًا بسبب ذكرنا شجرة الزقوم التي

أعددناها لهم، وهكذا من يأتيه الحق وينصرف عنه، يصرفه الله كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

وكما قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وكقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ [الصف: ٥]، وكقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧].

فالحاصل أن الله ﷻ جعل هذه الشجرة سببًا لفتنتهم وانصرافهم عن الحق، فكأنهم لما سمعوا عن كونها تخرج في أصل الجحيم أنكروا ذلك، وقالوا: كيف ذلك والنار تأكل الأشجار؟! فكفروا بذلك، وهذا وجه الافتتان بها.

أما عن هذه الشجرة، فكما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ في أصل النار، في قاعها، غُزِّيت بالنار وشربت من النار، ثمرها في بشاعته ونكارته - ذلكم الثمر المتفرع منها في النار - كرءوس الشياطين وإن كنا لم نر الشياطين لكن جُعلت مثالًا لكل مستبشع وقبيح، ثم أخبر تعالى أنهم سيأكلون منها فهي طعامهم، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَـَٔاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾﴾ وبعد الأكل ثمَّ شراب يشربونه، شراب أبشع الشراب إنه شراب مخلوط مشوبٌ، ماء حارٌ حميم بلغ أعلى درجات حرارته وغليانه مخلوط بصديد أهل النار وبدمائهم، هذا هو شرابهم ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ حاصل معناه ثم إن مردَّ هؤلاء الكفار

بعد شربهم الحميم إلى الجحيم مرة ثانية للأكل منها فهم يدورون بين حميمٍ آن للشراب منه وطعام الزقوم في الجحيم، فيذهبون إلى مكان في النار يشربون منه الحميم ثم يرجعون إلى مكان الطعام يأكلون الزقوم كما قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ۝٤٤﴾ [الرحمن: ٤٣-٤٤] قد بلغ أعلى درجات حرارته، أما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ۝٦٩﴾ أي: أنهم قد وجدوا آباءهم على ضلالة فساروا مسرعين مهرولين إلى هذه الضلالة وساروا عليها، ولقد حاد عن الطريق قبلهم أكثر من تقدمهم، فالكثرة دومًا في ضلال مع أننا أرسلنا إليهم رسلًا يحذرونهم وينذرونهم ويخوفونهم، ولكن كذبوهم وجحدوهم، فانظر كيف كانت عاقبة هؤلاء المكذبين للرسل، لقد كانت عاقبتهم وخيمة، وإن شئت أن ترى بعضها رأيت ﴿فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ﴾ [القصص: ٥٨]، ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ﴾ [النمل: ٥٢]، ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝١٣٨﴾.

لكن أغرق الله بعضهم وأخذت آخرين الصيحة، وخسفت الأرض بفئام منهم، وأرسل الله حاصبًا على أقوام إلى غير ذلك من صور العذاب التي أحلَّها الله بهم، ولكن الله سلَّم عباده الذين اصطفاهم لعبادته ولطاعته، فهذا قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٧٤﴾.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في هذا الباب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أهذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين الذين وصفت صفتهم من كرامتي في الجنة، ورزقتهم فيها من النعيم خير، أو ما أعددت لأهل النار من الزقوم. وعني بالنزل: الفضل، وفيه لغتان: نُزُل ونُزْل؛

يقال للطعام الذي له ريع: هو طعام له نُزْل ونُزُل. وقوله: ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾ ذكر أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية قال المشركون: كيف ينبت الشجر في النار، والنار تحرق الشجر؟ فقال الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ يعني: لهؤلاء المشركين الذين قالوا في ذلك ما قالوا، ثم أخبرهم بصفة هذه الشجرة فقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾.

وأورد بإسنادٍ حسن(١) **عن قتادة:** ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾ حتى بلغ ﴿فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ قال: لما ذكر شجرة الزقوم افتتن الظلمة، فقالوا: ينبئكم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فأنزل الله ما تسمعون: إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، غذيت بالنار ومنها خلقت.

وبإسنادٍ حسن عن السدي(٢) **قال:** قال أبو جهل لما نزلت ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾﴾ **[الدخان: ٤٣]** قال: تعرفونها في كلام العرب: أنا آتيكم بها، فدعا جارية فقال: ائتيني بتمر وزبد، فقال: دونكم تزقموا، فهذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد، فأنزل الله تفسيرها: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ قال: لأبي جهل وأصحابه.

وبإسنادٍ فيه مقال عن مجاهد(٣) **قوله:** ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ قال: قول أبي جهل: إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه.

وقوله: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره: كأن طلع هذه الشجرة، يعني: شجرة الزقوم في قبحه وسماجته رءوس الشياطين في

---

(١) وإسناده حسن عن قتادة، وأراه تفسيرًا منه.

(٢) هذا وإن حُسِّن عن السدي لكنه مرسل، فالسدي لم يدرك أبا جهل، ولم يدرك رسول الله ﷺ.

(٣) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، ثم إنه مرسل.

قبحها.

وقولــه: ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾﴾ يقـول تعـالى ذكـره: فـإن هؤلاء المشركين الذين جعل الله هذه الشجرة لهم فتنة، لآكلون من هذه الشجرة التي هي شجرة الزقوم، فمالئون من زقومها بطونهم.

فـي تأويـل قولـه تعـالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

يقـول تعـالى ذكـره: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ ثـم إن لهـؤلاء المشركين على ما يأكلون من هذه الشجرة شجرة الزقوم شوبًا، وهو الخلط من قول العرب: شاب فلان طعامه فهو يشوبه شوبًا وشيابًا ﴿مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ والحميم: الماء المحموم، وهو الذي أسخن فانتهى حره، وأصله مفعول صرف إلى فعيل.

وأورد الطبري بأسانيد فيها مقال عن ابن عباس قال: ﴿لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ يقول: لمزجًا، وفي رواية: يعني شرب الحميم على الزقوم.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة قال: مِزاجًا من حميم.

وبإسنادٍ حسن عن السدي قال: الشوب: الخلط وهو المزج.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ قال: حميم يشاب لهم بغساق مما تغسق أعينهم، وصديد من قيحهم ودمائهم مما يخرج من أجسادهم.

وقولــه: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ يقـول تعـالى ذكـره: ثـم إن مـآبهم ومصيرهم لإلى الجحيم.

وبإسـنادٍ حسن عن قتـادة قولـه: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ فهـم فـي

عناء وعذاب من نار جهنم، وتلا هذه الآية: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٤].

قال الطبري:

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾﴾ يقول: إن هؤلاء المشركين الذين إذا قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله يستكبرون، وجدوا آباءهم ضلالًا عن قصد السبيل، غير سالكين محجة الحق.

﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ يقول: فهؤلاء يسرع بهم في طريقهم، ليقتفوا آثارهم وسنتهم؛ يقال منه: أهرع فلان: إذا سار سيرًا حثيثًا فيه شبه بالرعدة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول الله تعالى: أهذا الذي ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ -خير ضيافة وعطاء ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾؟ أي: التي في جهنم.

وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة، كما قال بعضهم من أنها شجرة تمتد فروعها إلى جميع محال جهنم كما أن شجرة طوبى ما من دار في الجنة إلا وفيها منها غصن.

وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر، يقال له: الزقوم، كقوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون: ٢٠]، يعني: الزيتونة. ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الواقعة: ٥١، ٥٢].

وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۝٦٣﴾، قال قتادة: ذكرت شجرة الزقوم، فافتتن بها أهل الضلالة، وقالوا: صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝٦٤﴾ غذت من النار، ومنها خلقت.

وقال مجاهد: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۝٦٣﴾ قال أبو جهل -لعنه الله-: إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه.

قلت: ومعنى الآية: إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبارًا نختبر به الناس، من يصدق منهم ممن يكذب، كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ۝٦٠﴾ **[الإسراء:٦٠]**.

وقوله: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝٦٤﴾ أي: أصل منبتها في قرار النار، ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۝٦٥﴾ تبشيع وتكريه لذكرها.

قال وهب بن منبه: شعور الشياطين قائمة إلى السماء.

وإنما شبهها برءوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين؛ لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر.

وقيل: المراد بذلك ضرب من الحيات، رءوسها بشعة المنظر.

وقيل: جنس من النبات، طلعه في غاية الفحاشة.

وفي هذين الاحتمالين نظر، وقد ذكرهما ابن جرير، والأول أقوى وأولى، والله أعلم.

وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝٦٦﴾، ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أبشع منها، ولا أقبح من منظرها، مع ما هي عليه من

سوء الطعم والريح والطبع، فإنهم ليضطرون إلى الأكل منها، لأنهم لا يجدون إلا إياها، وما في معناها، كما قال: ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧﴾ [الغاشية:٦، ٧].

وأورد ابن كثير ما أخرجه ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية، وقال: «**اتقوا الله حق تقاته، فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا، لأفسدت على أهل الأرض معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟**».

فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود، ويصهر ما في بطونهم، فيمشون تسيل أمعاؤهم وتتساقط جلودهم، ثم يضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حياله، يدعون بالثبور.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ۝٦٨﴾ أي: ثم إن مردهم بعد هذا الفصل لإلى نار تتأجج، وجحيم تتوقد، وسعير تتوهج، فتارة في هذا وتارة في هذا، كما قال تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ۝٤٤﴾ [الرحمن:٤٤]. هكذا تلا قتادة هذه الآية عند هذه الآية، وهو تفسير حسن قوي.

وقوله: ﴿إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ۝٦٩﴾ أي: إنما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك، من غير دليل ولا برهان؛ ولهذا قال: ﴿فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ۝٧٠﴾ قال مجاهد: شبيهة بالهرولة. وقال سعيد بن جبير: يسفهون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ أي: بعد الأكل من الشجرة ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ الشوب: الخلط والشَوب والشُّوب لغتان كالفَقر والفُقر والفتح أشهر، قال الفراء: شاب طعامه وشرابه إذا خلطهما بشيء يشوبهما شوبًا وشيابةً فأخبر أنه يشاب لهم والحميم: الماء الحار ليكون أشنع قال الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٥] السدي: يشاب لهم الحميم بغساق أعينهم وصديد من قيحهم ودمائهم، وقيل: يمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظًا لعذابهم وتجديدًا لبلائهم ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ قيل: إن هذا يدل على أنهم كانوا حين أكلوا الزقوم في عذاب غير النار ثم يردون إليها وقال مقاتل: الحميم خارج الجحيم فهم يوردون الحميم لشربه ثم يردون إلى الجحيم لقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٣ - ٤٤]، وقرأ ابن مسعود: ﴿**ثم إن منقلبهم إلى الجحيم**﴾ وقال أبو عبيدة: يجوز أن تكون ﴿**ثم**﴾ بمعنى الواو. القشيري: ولعل الحميم في موضع من جهنم على طرف منها.

❁ ❁ ❁

س: كيف جُعلت شجرة الزقوم فتنة للظالمين، أي ما وجه افتتان الظالمين بها؟

ج: وجهه أنهم قالوا كيف تنبت الشجرة في وسط الجحيم والنار تأكل الأشجار؟

وخفي عليهم لجهلهم ولقلة إيمانهم أن الله ﷻ على كل شيء قدير،

فسخروا من رسول الله ﷺ لما ذكَّرهم بهذه الشجرة، ففتنوا وانصرفوا عن الحق، وازدادوا وانصرفًا عنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

أي: جعلناها فتنة للناس، أي: اختبارًا وابتلاءً فأهل الإيمان يعلمون أن الله على كل شيء قدير، وأنه ﷻ خلق النار وخلق الأشجار، وأودع في النار ما أودع من تمكينها من الإحراق، وهو سبحانه قادر على سلب ذلك منها، وقادر على إنبات ما يشاء فيها، وقد قال ﷻ للنار: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فكانت عليه بردًا وسلامًا.

أما أهل الكفر فيكذبون بذلك فيزدادون بعدًا عن الحق والهدى، والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ أي: المشركين وذلك أنهم قالوا: كيف تكون في النار شجرة وهي تحرق الشجر؟ وقد مضى هذا المعنى في (سبحان) واستخفافهم في هذا كقولهم في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: ٣٠] ما الذي يخصص هذا العدد؟ حتى قال بعضهم: أنا أكفيكم منهم كذا فاكفوني الباقين فقال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدثر: ٣١] والفتنة: الاختبار، وكان هذا القول منهم جهلًا إذ لا يستحيل في العقل أن يخلق الله في النار شجرًا من جنسها لا تأكله النار كما يخلق الله فيها الأغلال والقيود والحيات والعقارب وخزنة النار وقيل: هذا الاستبعاد الذي وقع للكفار هو الذي وقع الآن للملحدة حتى حملوا الجنة والنار على نعيم أو عقاب تتخلله الأرواح وحملوا وزن الأعمال

والصراط واللوح والقلم على معاني زوروها في أنفسهم دون ما فهمه المسلمون من موارد الشرع، وإذا ورد خبر الصادق بشيء موهوم في العقل فالواجب تصديقه وإن جاز أن يكون له تأويل ثم التأويل في موضع إجماع المسلمين على أنه تأويل باطل لا يجوز، والمسلمون مجمعون على الأخذ بهذه الأشياء من غير مصير إلى علم الباطن وقيل: إنها فتنة أي: عقوبة للظالمين كما قال: ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الذاريات: ١٤].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ أي: قعر النار ومنها منشؤها ثم هي متفرعة في جهنم ﴿طَلْعُهَا﴾ أي: ثمرها سمي طلعًا لطلوعه.

❁ ❁ ❁

س: كيف شبهت شجرة الزقوم طلعها برءوس الشياطين ونحن لا نعرف رءوس الشياطين؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن كل شيء مكروه شبِّه برءوس الشياطين، وكل شخص شرير شبه بالشيطان لِمَا استقر في النفوس من أن الشيطان سببٌ لكل ضلال، ومحلٌ لكل خُبث، ومثالٌ لكل كريهٍ.

كما أنه في المقابل كل طيب وجميل يوصف بأنه مَلَك مع كوننا لم نر الملائكة.

وهذه أقوال بعض العلماء في هذا الباب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾ قيل: يعني الشياطين بأعيانهم شبهها برءوسهم لقبحهم، ورءوس الشياطين متصور في النفوس وإن كان غير مرئي، ومن ذلك قولهم لكل قبيح هو كصورة الشيطان ولكل صورة حسنة هي كصورة ملك ومنه قوله تعالى مخبرًا عن صواحب يوسف: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١﴾ [يوسف: ٣١]، وهذا تشبيه تخييلي روي معناه عن ابن عباس والقرظي ومنه قول امرىء القيس:

ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وإن كانت الغول لا تعرف ولكن لما تصور من قبحها في النفوس.

وقد طرح الطبري مثل هذا السؤال وأجاب عليه إذ قال:

فإن قال قائل: وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برءوس الشياطين في القبح، ولا علم عندنا بمبلغ قبح رءوس الشياطين، وإنما يمثل الشيء بالشيء تعريفًا من الممثل له قرب اشتباه الممثل أحدهما بصاحبه مع معرفة الممثل له الشيئين كليهما، أو أحدهما، ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين، لم يكونوا عارفين شجرة الزقوم، ولا برءوس الشياطين، ولا كانوا رأوهما، ولا واحدا منهما؟

قيل له: أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالى ذكره لهم وبيَّنها حتى عرفوها ما هي وما صفتها، فقال لهم: ﴿شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾ فلم يتركهم في عماء منها. وأما في تمثيله طلعها برءوس الشياطين، فأقول لكل منها وجه مفهوم:

أحدها: أن يكون مثل ذلك برءوس الشياطين على نحو ما قد جرى به

استعمال المخاطبين بالآية بينهم وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء، قال: كأنه شيطان، فذلك أحد الأقوال.

والثاني: أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطانًا، وهي حية لها عرف فيما ذكر قبيح الوجه والمنظر، وإياه عنى الراجز بقوله:

عنجرد تحلف حين أحلف   كمثل شيطان الحماط أعرف

ويروى عجيز.

والثالث: أن يكون مثل نبت معروف برءوس الشياطين ذكر أنه قبيح الرأس.

❁ ❁ ❁

س: هل شجرة الزقوم شجرة أم شجر؟

ج: بل هو شجرٌ كما قال تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾) **[الواقعة: ٥١-٥٣]**.

❁ ❁ ❁

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: (لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾).

وقوله تعالى: (إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾) [الدخان: ٤٣-٤٤].

وقوله: (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾) [الحاقة: ٣٦].

ج: هذا ـ والله أعلم ـ يحمل على أحد أمرين:

أولهما: أن يُقال إن فئات من الكفار طعامهم دائمًا وإن اقتصر على صنف من هذه الأصناف فلا يأكلون إلا الضريع مثلًا.

وفئات أخر طعامهم فقصر على الغسلين.

وفئات أخر طعامهم فقصر على الزقوم.

والثاني: أن يقال إنهم جميعًا يستمرون على طعام واحد زمنًا طويلًا ثم بعده ينتقلون إلى طعام آخر لزمن طويل أيضًا فيكون ليس لهم في هذا الوقت إلا هذا الطعام، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٧١ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ۝٧٣ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٧٤﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - ولقد ضلَّ وانحرف وحاد عن الطريق المستقيم الموصل إلى جنة النعيم - وهو طريق الإسلام - انحرف عن قبل هؤلاء القرشيين أكثر من تقدموهم من الأمم، ولقد أرسلنا إليهم رسلًا تنذرهم كما أرسلنا إلى هؤلاء رسولًا ينذرهم، فكذبوا الرسل كما كذبك هؤلاء يا رسول الله، فانظر ماذا حل بمن كذَّبوا وعاندوا وكفروا لقد حلَّ بهم من البلاء ما حل لكن عباد الله الذي أخلصهم واصطفاهم قد سلمهم الله ونجاهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد ضل يا محمد عن قصد السبيل ومحجة الحق قبل مشركي قومك من قريش أكثر الأمم الخالية من قبلهم: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢﴾ يقول: ولقد أرسلنا في الأمم التي خلت من قبل أمتك، ومن

قبل قومك المكذبيك منذرين تنذرهم بأسنا على كفرهم بنا، فكذبوهم ولم يقبلوا منهم نصائحهم، فأحللنا بهم بأسنا وعقوبتنا ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ يقول: فتأمل وتبين كيف كان غب أمر الذين أنذرتهم أنبياؤنا، وإلام صار أمرهم، وما الذي أعقبهم كفرهم بالله، ألم نهلكهم فنصيرهم للعباد عبرة ولمن بعدهم عظة؟

وقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾ يقول تعالى: فانظر كيف كان عاقبة المنذرين، إلا عباد الله الذين أخلصناهم للإيمان بالله وبرسله؛ واستثنى عباد الله من المنذرين، لأن معنى الكلام: فانظر كيف أهلكنا المنذرين إلا عباد الله المؤمنين، فلذلك حسن استثناؤهم منهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن الأمم الماضية أن أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى. وذكر تعالى أنه أرسل فيهم منذرين، ينذرون بأس الله، ويحذرونهم سطوته ونقمته، ممن كفر به وعبد غيره، وأنهم تمادوا على مخالفة رسلهم وتكذيبهم. فأهلك المكذبين ودمرهم، ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم، ولهذا قال: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾ أي: من الأمم الماضية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أي: رسلًا أنذروهم العذاب فكفروا ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ أي: آخر أمرهم ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾ أي: الذين استخلصهم الله من الكفر وقد تقدم ثم قيل: هو استثناء من

(٢٣٣) أحمر أسود

(المنذرين) وقيل هو من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾.

[الصافات: ٧١]

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ
أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ٧٥-٨٢]

(٢٣٥) أحمر أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿نَادَىٰنَا – فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ – ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ – ٱلۡبَاقِينَ – فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(نَادَىٰنَا)	دعانا
(فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ)	فلنعم المجيبون له - نعم من أجابه
(ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ)	الطوفان - وتكذيب قومه له
(ٱلۡبَاقِينَ)	الباقين على مر الدهور والعصور إنما هم من ذرية نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ
﴿فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	في البشر، وقيل في الإنس والجن

❁ ❁ ❁

ذكر نبي الله نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ

س: ما هذا النداء الذي نادى به نوحٌ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ربَّه عَزَّ وَجَلَّ؟

ج: منه قوله: (أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠) [القمر: ١٠].

وقوله: (لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦) [نوح: ٢٦].

❁ ❁ ❁

س: ما صورة الإجابة التي أجاب الله عَزَّ وَجَلَّ بها نوحًا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لما دعاه؟

ج: أجابه الله عَزَّ وَجَلَّ بأن سلَّمه ونجاه من أهل الظلم ففتحت أبواب السماء بماءٍ منهمر وفجَّرت الأرض عيونًا فالتقى الماء على أمرٍ قدَّره الله عَزَّ وَجَلَّ

وهو إهلاك الظلم وأهل العناد الذين عاندوه ﷺ.

قـال تعـالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١﴾... الآيات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لقد نادانا نوح بمسألته إيانا هلاك قومه، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦﴾... **[نوح: ٥-٦]** إلى قوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾ **[نوح: ٢٦]**، وقوله: ﴿فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥﴾ يقول: فلنعم المجيبون كنا له إذ دعانا، فأجبنا له دعاءه، فأهلكنا قومه ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ﴾ يعني: أهل نوح الذين ركبوا معه السفينة. وقد ذكرناهم فيما مضى قبل، وبينا اختلاف العلماء في عددهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة، شرع يبين ذلك مفصلًا فذكر نوحًا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وما لقي من قومه من التكذيب، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة، لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم، وكلما دعاهم ازدادوا نفرة، ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠﴾ **[القمر: ١٠]**، فغضب الله لغضبه عليهم؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥﴾ أي: فلنعم المجيبون له ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦﴾، وهو التكذيب والأذى.

❀ ❀ ❀

س: هل كل أهل نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنجاهم الله؟

ج: على ما ذُكر في كتاب الله ﷻ فإن الله قال: ﴿وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ

(٢٣٧) أحمر أسود

ﵟٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚﵞ [هود: ٤٠]، وزوجته قد قال الله في شأنها: ﵟضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠ﵞ [التحريم: ١٠]، وكذا ولده، فقد قال تعالى: ﵟوَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ...ﵞ [هود: ٤٥-٤٦].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﵟوَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥ﵞ.

ج: قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فاستجاب الله له، ومدح تعالى نفسه فقال: ﴿فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥﴾ لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابقت ما سأل، فنجاه وأهله من الكرب العظيم، وأغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وجعل له ثناء حسنًا مستمرًا إلى وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق، وهذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالكرب العظيم؟

ج: هو ما لقيه من تكذيب قومه له وسخريتهم منه واستهزائهم به.

ومن أيضًا الطوفان العظيم الذي حلَّ بالأرض في زمانه.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: وجعلنا ذريته هم الباقين في الأرض بعد إهلاك سائر الناس وموتهم، فكان الذين تناسلوا هم ذرية نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد ورد حديثٌ في سنده ضعف من طريق الحسن عن سمرة أن النبي ﷺ قال: «**سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم**»[(١)].

وأكثر أهل العلم - ولم أقف على دليلٍ ثابت بذلك - ذهبوا إلى أن أبناء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاثة سام وحام ويافث.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ**:**

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البرّ: وقد روي عن عمران بن حُصين[(٢)]، عن النبي ﷺ مثله.

والمراد بالروم هاهنا: هم الروم الأوَل، وهم اليونان المنتسبون إلى رومي ابن ليطي بن يونان بن يافث بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثم روى من حديث إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد ابن المسيب قال: ولد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاثة: سام وحام ويافث، وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة، فولد سامُ العربَ وفارسَ والروم، وولد يافثُ الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، وولد حامُ القبطَ والسودان والبربر. وروي

---

(١) أحمد (٩/٥)، والطبري (٢٩٤١٩)، والترمذي (٣٢٣١)، وغيرهم، وسنده ضعيف.

(٢) ولا يصح هذا، فهو نوع اختلاف على الحسن البصري، فمرة رواه عن سمرة، ومرة رواه عن عمران، وكلٌّ لا يصح، والله أعلم.

عن وهب بن منبه نحو هذا، والله أعلم.

قلت: ولا يثبت في ذلك شيء عن رسول الله ﷺ فيما علمت.

هذا، وقد قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ يقول: وجعلنا ذرية نوح هم الذين بقوا في الأرض بعد مهلك قومه، وذلك أن الناس كلهم من بعد مهلك نوح إلى اليوم إنما هم ذرية نوح، فالعجم والعرب أولاد سام بن نوح، والترك والصقالبة والخزر أولاد يافث بن نوح، والسودان أولاد حام بن نوح، وبذلك جاءت الآثار، وقالت العلماء.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ قال: فالناس كلهم من ذرية نوح.

ونحوه بإسناد ضعيف عن ابن عباس قال: لم يبق إلا ذرية نوح.

❁ ❁ ❁

س: كيف الجمع بين هذه الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ **وبين نداء الله** ﷻ **في سورة الإسراء:** ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ **[الإسراء: ٣]، فالآية الأولى مفادها أنه لم يبق حيًّا بعد الطوفان إلا ذرية نوح، والثانية: أفادت أن الناس هم ذرية المحمولين مع نوح** عَلَيْهِ السَّلَامُ**؟**

ج: قد يُقال - والعلم عند الله -: إنه كان محمولًا مع نوح في السفينة قوم من أهله وذريته وقوم من المؤمنين به من غير ذريته، فلم يُقدِّر الله ﷻ أن يعيش ويحيا وتكون له ذرية إلا من كانوا من ذرية نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وجعلنا لنوح عليه السلام ذِكرًا حسنًا في الناس الذين جاءوا من بعده، وثناءً حسنًا منهم عليه.

وقد قيل: إن المراد بالآخرين هم أمة محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾ **[الشورى: ١٣]**، وكما قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ **[الإسراء: ٣]**، ومن العلماء من قال: إنهم المؤمنون بعده عمومًا، ومنهم من قال: ثناءً حسنًا على ألسنة الخلق، هذا وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الذي تركه الله عليه في الآخرين مفسرٌ بقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

وهذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة:

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾ وأبقينا عليه، يعني: على نوح ذكرًا جميلًا وثناءً حسنًا في الآخرين، يعني: فيمن تأخر بعده من الناس يذكرونه به.

وأورد عن ابن عباس رضي الله عنهما بسندٍ فيه مقال: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾ يقول: يُذكر بخير.

ونحوه عن مجاهد يقول: جعلنا لسان صدق للأنبياء كلهم.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة قال: أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين.

وعن السدي قال: الثناء الحسن.

وقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ يقول: أمنة من الله لنوح في العالمين أن يذكره أحد بسوء؛ وسلام مرفوع بعلى. وقد كان بعض أهل العربية من

أهل الكوفة يقول: معناه: وتركنا عليه في الآخرين، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ أي: تركنا عليه هذه الكلمة، كما تقول: قرأت من القرآن ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ فتكون الجملة في معنى نصب، وترفعها باللام، كذلك سلام على نوح ترفعه بعلى، وهو في تأويل نصب، قال: ولو كان: تركنا عليه سلامًا، كان صوابًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩﴾ مفسر لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨﴾ أي: تركنا عليه ثناءً حسنًا في كل أمة؛ فإنه محبب إلى الجميع حتى إن في المجوس من يقول: إنه أفريدون روي معناه عن مجاهد وغيره وزعم الكسائي أن فيه تقديرين:

أحدهما: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨﴾ يقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ أي: تركنا عليه هذا الثناء الحسن، وهذا مذهب أبي العباس المبرد، أي: تركنا عليه هذه الكلمة باقية يعني يسلمون عليه تسليمًا ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا﴾ [النور: ١].

والقول الآخر: أن يكون المعنى وأبقينا عليه وتم الكلام ثم ابتدأ فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ أي: سلامة له من أن يذكر بسوء ﴿فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨﴾ قال الكسائي: وفي قراءة ابن مسعود (**سلامًا**) منصوب بـ ﴿وَتَرَكۡنَا﴾ أي: تركنا عليه ثناءً حسنًا سلامًا، وقيل: ﴿فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨﴾ أي: في أمة محمد ﷺ، وقيل: في الأنبياء إذ لم يبعث بعده نبي إلا أمر بالاقتداء به، قال الله تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ [الشورى: ١٣].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾).

ج: المعنـى -والله تعـالى أعلـم-: وكمـا أنجينـا نوحًـا عليه السلام، وسـلمناه وأكرمناه بأن جعلنا ذريته هم الباقين، وجعلنا له ثناءً حسنًا في النـاس بعد موتـه، فهكذا نجازي كل محسنٍ ولا يقف جزاؤنـا الحسن علـى شـخص بعينه بل كل من أحسن يجازى ويكرم.

ثم عودٌ بالثنـاء علـى نـوح عليه السلام بقولـه تعـالى: (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾) شهادة من الله له بذلك، ثم أغرقنا الآخرين، أي: بقيـة قومـه (الـذين لم يؤمنـوا به).

وبنحو هذا جاءت أقوال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾) يقول تعالى ذكره: إنا كما فعلنا بنوح مجازاة له على طاعتنا وصبره على أذى قومه في رضانا ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين، وأبقينا عليه ثناء في الآخرين (كَذَٰلِكَ نَجْزِي) الـذين يحسنون فيطيعوننـا، وينتهون إلـى أمرنـا، ويصبرون على الأذى فينا. وقوله: (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾) يقول: إن نوحًا من عبادنا الذين آمنوا بنا، فوحدونا، وأخلصوا لنا العبادة، وأفردونا بالألوهة.

وقوله: (ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾) يقول تعالى ذكره: ثم أغرقنا حين نجينا نوحًا وأهله من الكرب العظيم من بقي من قومه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾) قال: أنجاه الله ومن معه في السفينة وأغرق بقية قومه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ أي: هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله، نجعل له لسانَ صدْق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك.

ثم قال: (إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي: المصدقين الموحدين الموقنين، ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾ أي: أهلكناهم، فلم تبْق منهم عين تطرف، ولا ذكر لهم ولا عين ولا أثر، ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾) أي: نبقي عليهم الثناء الحسن والكاف في موضع نصب أي: جزاء، كذلك (إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ هذا بيان إحسانه، قوله تعالى: (ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾) أي: من كفر وجمعه أخر والأصل فيه أن يكون معه ﴿مِنۡ﴾ إلا أنها حذفت لأن المعنى معروف ولا يكون آخرا إلا وقبله شيء من جنسه (ثُمَّ﴾ ليس للتراخي ها هنا بل هو لتعديد النعم كقوله: (أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البلد: ١٦ - ١٧] أي ثم أخبركم أني قد أغرقت الآخرين وهم الذين تأخروا عن الإيمان.

❃❃❃

ذكر نبي اللّه إبراهيم عليه السلام

﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤ إِذۡ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم
بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ
مُدۡبِرِينَ ٩٠ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢
فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ٩٣ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ٩٤ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ
٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧
فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨ ﴾ [الصافات: ٨٣-٩٨]

س: وضح معنى ما يلي:

(مِن شِيعَتِهِۦ -أَئِفْكًا -دُونَ ٱللَّهِ -سَقِيمٌ - فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ -مُدْبِرِينَ - فَرَاغَ -بِٱلْيَمِينِ -يَزِفُّونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(مِن شِيعَتِهِۦ)	من أهل دينه وملته - من أتباعه وعلى منهاجه وطريقته وسنته - من أنصاره على ما هو عليه من الحق
(أَئِفْكًا)	أكذبًا - والإفك أسوأ الكذب
(دُونَ ٱللَّهِ)	غير الله
(سَقِيمٌ)	مريض، (قيل بالطاعون)
(فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ)	فانصرفوا عنه
(مُدْبِرِينَ)	منطلقين - فارِّين
(فَرَاغَ)	فمال - فذهب، وهناك وجه آخر فراغ عنهم (أي عن قومه) ثم ذهب إلى آلهتهم
(بِٱلْيَمِينِ)	باليد اليمنى لقوتها وشدتها
(يَزِفُّونَ)	يجرون - يسرعون - يستعجلون

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾) شيعة من؟ وما معنى الشيعة هنا؟

ج: المراد: شيعة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فالمعنى: وإن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لمن شيعته نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي: من أتباعه الذين هم على دينه وطريقته وسنته ومنهاجه.

هذا هو قول الجمهور من المفسرين.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: وإن من أشياع نوح على منهاجه وملته والله لإبراهيم خليل الرحمن.

وهناك قول آخر ذكره الطبري عن بعض أهل اللغة مُشيرًا إلى تضعيفه ألا وهو أن المراد بقوله: ومن شيعته، أي: ومن شيعة محمد رسول الله ﷺ لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال الطبري:

وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك: وإن من شيعة محمد لإبراهيم، وقال: ذلك مثل قوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ **[يس: ٤١]** بمعنى: أنا حملنا ذرية من هم منه، فجعلها ذرية لهم، وقد سبقتهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾ قال ابن عباس: أي من أهل دينه وقال مجاهد: أي على منهاجه وسننه قال الأصمعي: الشيعة الأعوان وهو مأخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار الذي يوقد مع الكبار حتى يستوقد وقال الكلبي والفراء: المعنى وإن من شيعة محمد لإبراهيم فالهاء في ﴿شِيعَتِهِۦ﴾ على هذا لمحمد عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى الأول لنوح وهو أظهر لأنه هو المذكور أولًا.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ **متى هذا المجيء؟**

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يحتمل مجيئه إلى ربِّه من وجهين:

أحدهما: عند دعائه إلى توحيده وطاعته.

الثاني: عند إلقائه في النار.

قلت (مصطفى): وهناك وجهٌ ليس ببعيد، حاصله أن مجيئه إلى ربِّه ﷻ المراد به يوم القيامة، أي: أنه عند مجيئه لربِّه ﷻ يوم القيامة سيوافي ربَّه ﷻ بقلب سليم، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

س: ما المراد بسلامة هذا القلب؟

ج: لأهل العلم أقوال، وكلها صحيحة.

أولها: سليمٌ من الشرك بالله، خالصٌ لله بالتوحيد، مخلصٌ.

وهذا قول أكثر العلماء.

ثانيها: سليمٌ من الشك.

ثالثها: سليمٌ من النفاق.

رابعها: ما ذكره الطبري بسندٍ صحيح عن عروة قال: يا بني لا تكونوا لعانين، ألم تروا إلى إبراهيم لم يلعن شيئًا قط فقال الله: (إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾).

خامسها: الذي يعلم أن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور.

❋ ❋ ❋

س: قوله تعالى: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ) مَنْ أبوه؟

ج: آزر هو أبو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال تعالى: (۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً) [الأنعام: ٧٤].

وفي الحديث - وقد تقدم في سورة الأنعام -: «**يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة...**»[(١)] الحديث.

ولا التفات إلى قول آخر غير هذا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - واذكر يا رسول الله إبراهيم عليه السلام إذ لم تأخذه في الله لومة لائم بل دعا إلى الله وبدأ بأول قريبٍ له وهو أبوه ومعه قومه، فقال لهم: ما تعبدون.

وفي الآية الأخرى: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ **[الأنبياء: ٥٢]**.

أتريدون أن تعبدوا آلهة باطلة غير الله، كذبًا منكم وافتراء على الله؟

أتفترون على الله الكذب بدعوتكم آلهة سواه، وتجعلونها شريكة لله وتريدون عبادتها لذلك؟!!

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال السعدي رحمه الله:

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ أي: أتعبدون من دون الله آلهة كذبًا، ليست بآلهة، ولا تصلح للعبادة، فما ظنكم برب العالمين، أن يفعل بكم وقد عبدتم معه غيره؟ وهذا ترهيب لهم بالجزاء بالعقاب على الإقامة على شركهم.

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ أي: وما الذي ظننتم برب العالمين، من

---

(١) البخاري (حديث ٣٣٥٠).

النقص حتى جعلتم له أندادًا وشركاءً.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ يقول حين قال: يعني إبراهيم لأبيه وقومه: أي شيء تعبدون.

وقوله: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ يقول: أكذبًا معبودًا غير الله تريدون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿أَئِفْكًا﴾ نصب على المفعول به بمعنى أتريدون إفكا قال المبرد: والإفك أسوأ الكذب وهو الذي لا يثبت ويضطرب ومنه ائتفكت بهم الأرض ﴿ءَالِهَةً﴾ بدل من إفك ﴿دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ أي تعبدون ويجوز أن يكون حالا بمعنى أتريدون آلهة من دون الله آفكين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: فما الذي تظنونه بربكم أن يفعله بكم وقد عبدتم معه غيره؟ أو ما الذي تتوقعون أن يصنعه بكم ربكم من صور العذاب وقد عبدتم معه غيره؟

وهذا قول الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ، ونقله عن قتادة بسندٍ حسن.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل إبراهيم لأبيه وقومه: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ

ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؟ يقول: فأي شيء تظنون أيها القوم أنه يصنع بكم إن لقيتموه وقد عبدتم غيره.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾ يقول: إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره.

ثانيها: المراد ما هذا الظن السيئ الذي حملكم على أن عبدتم مع الله إلهًا آخر.

ثالثها: ماذا تظنون بالله ﷻ، أتظنونه غير قادر؟ أتظنونه غافلًا عنكم؟ أتظنونه سيسوي بين الموحد والمشرك؟! أتظنونه سيكرم من أشرك؟!! والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا نظر نظرةً في النجوم، وما وجه تعلق ذلك بقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩﴾، وما نوع المرض الذي ادعى أنه أصابه؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن القوم كانوا أهل تنجيم وكانوا ينظرون إليها فيتيامنون أو يتشاءمون فجاراهم على طريقتهم لإبطال ما هم عليه.

أما وجه تعلقه بقول: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩﴾، فحاصله أنه رأى نجمًا طلع، وكان القوم يتوهمون أن بعض النجوم إذا طلعت صاحبتها بعض الأمراض، فلما قال لهم: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩﴾ تركوه مصدقين له، وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أراد أن يتركوه حتى لا يشارك في كفرهم وضلالهم وحتى يتجه إلى الأصنام يصنع بها الذي صنع.

أما المرض الذي ذكره؛ إذ قال: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩﴾، فقال أكثر المفسرين: إنه الطاعون، وهذا الذي حملهم على الفرار منه والهرب عنه خشية العدوى، وأما المذكور في كتاب الله ﷻ فهو قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩﴾ ولم يذكر نوع المرض.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ ذكر أن قومه كانوا أهل تنجيم، فرأى نجمًا قد طلع، فعصب رأسه وقال: إني مطعون، وكان قومه يهربون من الطاعون، فأراد أن يتركوه في بيت آلهتهم، ويخرجوا عنه، ليخالفهم إليها فيكسرها.

وأورد بإسنادٍ ضعيف إلى ابن عباس، قوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ قال: قالوا له وهو في بيت آلهتهم: اخرج، فقال: إني مَطْعُون، فتركوه مخافة الطاعون.

وبإسنادٍ صحيح عن سعيد بن المسيب أنه قال: رأى نجمًا طلع.

وبإسنادٍ حسن عنه (عن ابن المسيب) أيضًا: أنه (أي الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) رأى نجمًا طلع، فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾، قال: كايد نبي الله عن دينه، فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد[(١)]**، عن أبيه، في قول الله:** ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ قال: أرسل إليه ملكهم، فقال: إن غدا عيدنا، فاحضر معنا، قال: فنظر إلى نجم فقال: إن ذلك النجم لم يطلع قط إلا طلع بسقم لي، فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك، ليقيم في البلد إذا

---

(١) وابن زيد نفسه ضعيف، وهو هنا من رجال الإسناد لكن قد تغفر له روايته عن أبيه.

ذهبوا إلى عيدهم، فإنه كان قد أزف خروجُهم إلى عيد لهم، فأحب أن يختلي بآلهتهم ليكسرها، فقال لهم كلامًا هو حقٌّ في نفس الأمر، فَهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه، ﴿فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ۝٩٠﴾ قال قتادة: والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم: يعني قتادة: أنه نظر في السماء متفكرًا فيما يلهيهم به، فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ ۝٨٩﴾ أي: ضعيف.

❁ ❁ ❁

س: كيف قال الخليل عليه السلام: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ ۝٨٩﴾ مع كونه كان صحيحًا؟

ج: اعتبر ذلك إحدى الكذبات الثلاث التي صدرت من إبراهيم عليه السلام كما ورد بذلك الحديث عن رسول الله □ ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِىُّ عليه السلام قطُّ إلاَّ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ فِى ذَاتِ اللَّهِ قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ ۝٨٩﴾. وَقَوْلُهُ: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾ وَوَاحِدَةً فِى شَأْنِ سَارَةَ فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِى يَغْلِبْنِى عَلَيْكِ فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِى فَإِنَّكِ أُخْتِى فِى الإِسْلاَمِ فَإِنِّى لاَ أَعْلَمُ فِى الأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِى وَغَيْرَكِ فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لاَ يَنْبَغِى لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلاَّ لَكَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِىَ بِهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلَى الصَّلاَةِ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً فَقَالَ لَهَا: ادْعِى اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِى وَلاَ أَضُرُّكِ. فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الأُولَى فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ فَقَالَ: ادْعِى اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِى فَلَكِ اللَّهَ**

أنْ لاَ أضُرَّكِ. ففعَلَتْ وَأطْلِقتْ يَدُهُ وَدَعَا الَّذِى جَاءَ بِهَا فقالَ لَهُ: إنَّكَ إنَّمَا أتَيْتَنِى بشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِى بإنْسَانٍ فَأخْرِجْهَا مِنْ أرْضِى وَأعْطِهَا هَاجَرَ. قَالَ: فَأقبَلَتْ تَمْشِى فَلَمَّا رَآهَا إبْرَاهِيمُ ﵇ انْصَرَفَ فقالَ لَهَا: مَهْيَمْ قَالَتْ: خَيْرًا كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ وَأخْدَمَ خَادِمًا». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِى مَاءِ السَّمَاءِ(١).

وأورد الطبري رحمه الله تعالى وجهًا آخر، وردَّه فجزاه الله خيرًا على ردِّه إياه.

قال الطبري ﵀:

وقال آخرون: إن قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ كلمة فيها معراض، ومعناها أن كل من كان في عقبة الموت فهو سقيم، وإن لم يكن به حين قالها سقم ظاهر.

ورد الطبري هذا القول بقوله: والخبر عن رسول الله ﷺ بخلاف هذا القول، وقول رسول الله ﷺ هو الحق دون غيره. قوله: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝٩٠﴾ يقول: فتولوا عن إبراهيم مدبرين عنه، خوفًا من أن يعديهم السقم الذي ذكر أنه به.

قلت: وقد أحسن الطبري ﵀ رحمة واسعة؛ إذ لم يُقدم قولًا على قول رسول الله ﷺ، وفي هذا دلالة عظيمة على إمامته وجلالته؛ إذ لم يقدم على قول رسول الله ﷺ قولًا.

وقال الحافظ ابن كثير ﵀:

(١) مسلم (٢٣٧١) مرفوعًا، والبخاري موقوفًا (٢٣٥٨)، ومرفوعًا مختصرًا (٢٣٥٧).

فأما الحديث الذي رواه ابن جرير هاهنا: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا أبو أسامة، حدثني هشام، عن محمد، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لم يكذب إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- غير ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله في سارة: هي أختي**» فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله - حاشا وكلا- وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزًا، وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني، كما جاء في الحديث(١): «**إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب**».

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن قوم إبراهيم عليه السلام لما سمعوا قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ نفروا عنه وانصرفوا منطلقين فلما كان ذلك مال إلى آلهتهم – قال البعض: وأتى بطعام فقدمه لها – فقال: ألا تأكلون من هذا؟ على سبيل الاستهزاء والسخرية، ثم قال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾، ما لكم لا تتكلمون ولا تجيبون.

وبنحوه قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله بعد أن أورد قول قتادة: ﴿فَتَوَلَّوْا﴾ فنكصوا عنه ﴿مُدْبِرِينَ﴾ منطلقين، **قال الطبري:**

---

(١) قلت: وهو ضعيف، رواه أبو يعلى في مسنده (١٠٤٠/٢) بسندٍ ضعيف.

وقولـه: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فمال إلى آلهتهم بعد ما خرجوا عنه وأدبروا؛ وأرى أن أصل ذلك من قولهم: راغ فلان عن فلان: إذا حاد عنه، فيكون معناه إذا كان كذلك: فراغ عن قومه والخروج معهم إلى آلهتهم؛ كما قال عدي بن زيد:

حين لا ينفع الرواغ ولا ينـ ـفع إلا المصادق النِّحرير

يعني بقوله: «لا ينفع الرواغ»: الحياد. أما أهل التأويل فإنهم فسروه بمعنى فمال.

وأورد عن قتادة بإسنادٍ حسن: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ فمال إلى آلهتهم، قال: ذهب. وبسند حسن إلى السُّدي قال: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ ذهب.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ هذا خبر من الله عن قيل إبراهيم للآلهة؛ وفي الكلام محذوف استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره، وهو: فقرب إليها الطعام فلم يرها تأكل، فقال لها: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾﴾ فلما لم يرها تأكل قال لها: ما لكم لا تأكلون، فلم يرها تنطق، فقال لها: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ مستهزئًا بها، وكذلك ذكر أنه فعل بها، وقد ذكرنا الخبر بذلك فيما مضى قبل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾ أي: إلى عيدهم، ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ أي: ذهب إليها بعد أن خرجوا في سرعة واختفاء، ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾﴾، وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعامًا قربانًا لتُبرّك لهم فيه.

❁ ❁ ❁

س: لماذا خُصَّت اليمين بالذِّكر؟ وما معنى الآية الكريمة: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾؟

ج: خصت اليمين بذكر - وهي اليد اليمنى - للدلالة على قوة البطش وشدة التكسير والتحطيم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإنما ضربهم باليمين؛ لأنها أشد وأنكى؛ ولهذا تركهم جذاذًا إلا كبيرًا لهم لعلهم إليه يرجعون، كما تقدم في سورة الأنبياء تفسير ذلك.

وذكر بعض أهل العلم وجهًا آخر حاصله:

أن قوله: ﴿بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ معناه: إمضاءً لليمين التي أقسمها ووفاءً بها، وهي قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ **[الأنبياء: ٥٧]**.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فمال على آلهة قومه ضربًا لها باليمين بفأس في يده يكسرهن.

وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى: فراغ عليهم ضربًا بالقوة والقدرة، ويقول: اليمين في هذا الموضع: القوة: وبعضهم كان يتأول اليمين في هذا الموضع: الحلف، ويقول: جعل يضربهن باليمين التي حلف بها بقوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ **[الأنبياء: ٥٧]**.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ خصَّ الضرب باليمين لأنها أقوى والضرب

بها أشد - قاله الضحاك والربيع بن أنس- وقيل: المراد باليمين: اليمين التي حلفها حين قال: (وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم) وقال الفراء وثعلب: ضربًا بالقوة واليمين القوة.

وأورد القرطبي وجوه أخر أراها ضعيفة، والله أعلم.

أما عن معنى الآية وحاصل القول فيها:

فلما تولى القوم عن إبراهيم عليه السلام وانصرفوا عنه مال على آلهتهم وذهب إليها يكسرها ويحطمها، قيل ذلك: كان بفأس، وقيل بغير ذلك.

طفق الخليل يضربها ضربًا شديدًا حتى حطَّمها إلا كبيرهم فقد تركه لمزيد من السخرية من هذه الآلهة.

قال تعالى: (فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾) **[الأنبياء: ٥٨]**، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ٩٤ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٩٦ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ٩٨﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن قوم إبراهيم عليه السلام لما رجعوا فوجدوا الأصنام قد كُسِّرت وتحطمت وأصبحت جذاذًا إلا كبيرًا لهم تساءلوا فيما بينهم - كما في الآية الأخرى-: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩﴾ **[الأنبياء: ٥٩]**، فأجيبوا بقول القائل: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ٦٠ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ٦١﴾ **[إبراهيم: ٦٠، ٦١]**...، فالحاصل أنهم ذهبوا إليه مسرعين للإتيان به، فهذا قوله: ﴿يَزِفُّونَ ٩٤﴾ يسرعون، فقال لهم – بعد مناقشة بينه وبينهم تضمنت معالمها في سور أُخر –: أتعبدون ما تنحتونه بأيديكم وتصنعونه بأيديكم، وتتركون عبادة الله أو تجعلونها شريكةً لله عز وجل؟!

وقوله: (﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٩٦﴾ محتملٌ لمعنيين ذكرها العلماء:

أحدها: والله خلقكم وخلق أعمالكم.

الثاني: والله خلقكم وخلق الأشجار والأحجار التي تصنعون منها الأصنام.

أي: كيف تعبدونها والله خالقكم وخالقها؟

فلما عجزوا عن مواصلة النقاش معه وانقطعت بهم الحجج، تشاوروا فيما بينهم كيف نصنع مع إبراهيم عليه السلام؟ فاتجهوا إلى ما يتجه إليه الجبابرة والظلمة عمومًا - ألا وهو البطش بعد انقطاع الحجة والعجز عن المناظرة - فقالوا: ابنوا له بنيانًا، قيل: تنورًا عظيمًا تُوقد فيه النار، وقيل: مبنى

عظيمًا هائلًا، وقيل غير ذلك، فأضرموا فيه النار، وألقوا إبراهيم فيها، فأرادوا بإبراهيم عليه السلام شرًّا وقتلًا وإجرامًا، فأبطل الله سعيهم، ودفع الله كيدهم، وسلّم خليله إبراهيم عليه السلام، وجعلوا هم الأسفلون، فحوججوا وغلبوا، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله بعد أن أورد معنى كلمة ﴿يَزِفُّونَ ۝٩٤﴾ ووجوه القراءات فيها:

قال: وقد اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: معناه: فأقبل قوم إبراهيم إلى إبراهيم يجرون.

وقال آخرون: أقبلوا إليه يمشون.

وقال آخرون: معناه: فأقبلوا يستعجلون.

قال الطبري:

وقوله: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أتعبدون أيها القوم ما تنحتون بأيديكم من الأصنام.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم لقومه: والله خلقكم أيها القوم وما تعملون. وفي قوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون قوله: (ما) بمعنى المصدر، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: والله خلقكم وعملكم.

والآخر أن يكون بمعنى(الذي)، فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملونه: أي: والذي تعملون منه الأصنام، وهو الخشب

والنحاس والأشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم.

وهذا المعنى الثاني قصد إن شاء الله قتادة بقوله الذي:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾: بأيدكم.

قلت (مصطفى): وسنده حسن.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾.

يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم لما قال لهم إبراهيم: ﴿قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ ابنوا لإبراهيم بنيانًا؛ ذكر أنهم بنوا له بنيانا يشبه التنور، ثم نقلوا إليه الحطب، وأوقدوا عليه ﴿فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧﴾ والجحيم عند العرب: جمر النار بعضه على بعض، والنار على النار.

وقوله: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ يقول تعالى ذكره: فأراد قوم إبراهيم بإبراهيم كيدًا، وذلك ما كانوا أرادوا من إحراقه بالنار. يقول الله: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ﴾ أي فجعلنا قوم إبراهيم ﴿ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨﴾ يعني: الأذلين حجة، وغلبنا إبراهيم عليهم بالحجة، وأنقذناه مما أرادوا به من الكيد.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨﴾ قال: فما ناظرهم بعد ذلك حتى أهلكهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله هاهنا: ﴿فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ٩٤﴾: قال مجاهد وغير واحد: أي: يسرعون.

وهذه القصة هاهنا مختصرة، وفي سورة الأنبياء مبسوطة، فإنهم لما رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا، فعرفوا أن إبراهيم عليه السلام هو الذي فعل ذلك. فلما جاؤوا ليعاتبوه، أخذ في تأنيبهم وعيبهم، فقال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾؟! أي: أتعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحتونها وتجعلونها بأيديكم؟! ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يحتمل أن تكون (مَا) مصدرية، فيكون تقدير الكلام: والله خلقكم وعملكم. ويحتمل أن تكون بمعنى (الذي) تقديره: والله خلقكم والذي تعملونه. وكلا القولين متلازم، والأول أظهر؛ لما رواه البخاري في كتاب (أفعال العباد)، عن علي بن المديني، عن مروان بن معاوية، عن أبي مالك، عن ربْعِيّ بن حراش، عن حذيفة مرفوعًا قال: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**». وقرأ بعضهم: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر، فقالوا: ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾ وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في سورة الأنبياء، ونجاه الله من النار وأظهره عليهم، وأعلى حجته ونصرها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ فيه حذف أي قالوا من فعل هذا بآلهتنا، فقال محتجًا: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ أي: أتعبدون أصنامًا أنتم تنحتونها بأيديكم تنجرونها، والنحت: النجري والبري، نحته ينحته بالكسر نحتا أي: براه والنحاتة البراية والمنحت ما ينحت به ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ

﴿٩٦﴾) (ما) في موضع نصب أي: وخلق ما تعملونه من الأصنام يعني الخشب والحجارة وغيرهما كقوله: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ [الأنبياء: ٥٦] وقيل: إن (ما) استفهام ومعناه التحقير لعملهم وقيل: هي نفي والمعنى وما تعملون ذلك لكن الله خالقه والأحسن أن تكون (ما) مع الفعل مصدرًا والتقدير: والله خلقكم وعملكم وهذا مذهب أهل السنة: أن الأفعال خلق لله عز وجل واكتساب للعباد وفي هذا إبطال مذاهب القدرية والجبرية وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن الله خالق كل صانع وصنعته**» ذكره الثعلبي وخرجه البيهقي من حديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل صنع كل صانع وصنعته**»[١] فهو الخالق وهو الصانع سبحانه.

وقال:

قوله تعالى: (قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا) أي: تشاوروا في أمره لما غلبهم بالحجة حسب ما تقدم في (الأنبياء) بيانه فـ (قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا) تملأونه حطبًا فتضرمونه، ثم ألقوه فيه وهو الجحيم.

وقال:

(فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا) أي: بإبراهيم والكيد المكر، أي: احتالوا لإهلاكه (فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾) المقهورين المغلوبين؛ إذ نفذت حجته من حيث لم يمكنهم دفعها ولم ينفذ فيه مكرهم ولا كيدهم.

❁ ❁ ❁

---

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٥٧ و ٣٥٨)، والبخاري في خلق أفعال العباد (١١٧ و١١٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٧: ٥٧) وغيرهم.

(٢٦٣) أحمر أسود

قال الله تعالى:

(وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ
بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ
أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ
صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾
وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾
كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ
نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ
لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾) [الصافات: ٩٩-١١٣]

س: وضح معنى هذه الكلمات:

﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي – سَيَهْدِينِ – هَبْ لِي – حَلِيمٍ – بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ – أَسْلَمَا – وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ – ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ – وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ – وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي)	مهاجر إلى أرضٍ أعبد فيها ربي ﷻ
(سَيَهْدِينِ)	سيوفقني ويسددني ويدلني على الطريق الأرشد والأمثل
(هَبْ لِي)	ارزقني - امنحني - تفضَّل عليَّ
(حَلِيمٍ)	يتجاوز عن الإساءات - صبور - لا يعاجل بالعقوبة
(بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ)	استطاع المشي والعمل وقدر عليهما بلغ حدًّا يستطيع فيه أن يعمل مع أبيه ويساعده
(أَسْلَمَا)	استسلما لأمر الله - شهدا ألا إله إلا الله
(وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ)	طرحه على وجهه ليذبحه من قفاه والجبين ما على جنبتي الجبهة فللوجه جبينان، والجبهة بينهما
(ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ)	الاختبار العظيم - الامتحان الشديد
(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ)	تركنا عليه ثناءً حسنًا في الذين جاءوا من بعده
(وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ)	جعلنا الخير فيه ثابتًا ومتناميًا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩﴾.

ج: هذا قول الخليل إبراهيم ﷺ لما أنجاه الله ﷻ من النار وسلَّمه منها، ومع ذلك لم يُجدِ هذا في قومه ولم تؤثر فيهم نجاته من النار أمام أعينهم، فقرر ترك البلاد والهجرة منها، قيل: إلى الأرض المقدسة، وقيل: إلى حران، وقيل غير ذلك، وسيوفقني الله ﷻ وسيسددني.

وقد ذهب بعض العلماء مذاهب أخر في تفسير قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩﴾، فقد ذهب قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن المعنى ذاهب بعمله وقلبه ونيته. أخرج ذلك عنه الطبري بإسناد حسن.

قلت (مصطفى): وهذا غريب وبعيد عن المعنى والسياق، وكذا يرده ما ورد في سورة العنكبوت من قوله: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ **[العنكبوت: ٢٦]**.

هذا، وقد أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح إلى سليمان بن صرد، وهو من أصحاب النبي ﷺ أنه قال: (أي: سليمان بن صرد) قال:

لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩﴾ فجمع الحطب، فجاءت عجوز على ظهرها حطب، فقيل لها: أين تريدين؟ قالت: أريد أن أذهب إلى هذا الرجل الذي يلقى في النار؛ فلما ألقي فيها، قال: حسبي الله عليه توكلت، أو قال: حسبي الله ونعم الوكيل، قال: فقال الله: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ **[الأنبياء: ٦٩]** قال: فقال ابن لوط، أو ابن أخي لوط: إن النار لم تحرقه من أجلي، وكان بينهما قرابة، فأرسل الله عليه عنقًا من النار فأحرقته.

قلت (مصطفى): وهذا مصيرٌ منه إلى أنه قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩﴾ لما أخذوه لإلقائه في النار.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي قوله: (سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾) على هـذا القـول تـأويلان، أحـدهما: سـيهدين إلى الخلاص منها، والثاني: إلى الجنة.

وفي هذا القول، والذي قبله بعـدٌ، والصـواب -والله أعلـم- في قولـه: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ أنه (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ) [العنكبوت: ٢٦]، أي: تـارك الـبلاد بـما فيهـا ومتجه إلى حيث أعبد ربي ﷻ.

وهذا رأي أكثر أهل العلم، واختيار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إذ قال:

وقوله: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾) يقول: وقال إبراهيم لما أفلجه الله على قومه ونجاه من كيدهم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ يقول: إنـي مهاجر من بلدة قومي إلى الله: أي إلى الأرض المقدسة، ومفارقهم، فمعتزلهم لعبادة الله.

قال الطبري:

وإنما اخترت القول الذي قلت فـي ذلـك؛ لأن الله -تبـارك وتعـالى- ذكر خبره وخبر قومه في موضع آخر، فأخبر أنه لما نجّاه مما حاول قومـه من إحراقـه قـال: (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ) [العنكبوت: ٢٦] ففسر أهل التأويل ذلك أن معنـاه: إنـي مهـاجر إلـى أرض الشـام، فكـذلك قولـه: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ لأنـه كقولـه: (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ)، وقولـه: (سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾) يقول: سيثبتني علـى الهـدى الذي أبصرته، ويعينني عليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن خليله إبراهيم: إنه بعد ما نصـره الله علـى قومـه

وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة، هاجر من بين أظهرهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الآية أصل في الهجرة والعزلة وأول من فعل ذلك إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وذلك حين خلصه الله من النار ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ أي: مهاجر من بلد قومي ومولدي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي فإنه ﴿سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ فيما نويت إلى الصواب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان لا يُولد له قبل ذلك، لما قرر الهجرة إلى ربِّه عَزَّ وَجَلَّ سأله ربَّه ولدًا صالحًا يكون أنيسًا، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ أي: ولدًا ويكون من أهل الصلاح والفضل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ وهذه مسألة إبراهيم ربه أن يرزقه ولدًا صالحًا؛ يقول: قال: يا رب هب لي منك ولدًا يكون من الصالحين الذين يطيعونك، ولا يعصونك، ويصلحون في الأرض، ولا يفسدون.

وقال: من الصالحين، ولم يقل: صالحًا من الصالحين، اجتزاء بمن ذكر المتروك، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ **[يوسف: ٢٠]** بمعنى زاهدين من الزاهدين.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ يعني: أولادًا مطيعين

عوَضًا من قومه وعشيرته الذين فارقهم.

❁ ❁ ❁

س: كيف قيل في الغلام إنه: ﴿حَلِيمٍ ١٠١﴾ وفي الصغر لا يُعرف حِلمٌ من عدمه؟

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: أنه يكون حليمًا في كبره فكأنه بُشِّر ببقاء ذلك الولد؛ لأن الصغير لا يوصف بذلك فكانت البشرى على ألسنة الملائكة.

❁ ❁ ❁

س: هل بشر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أكثر من مرةٍ، وكلُّ مرة ببشارة تختلف عن الأولى؟

ج: ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم، فقالوا:

البشارة الأولى: بشارة بإسماعيل ﷺ.

البشارة الثانية: بشارة بإسحاق ﷺ.

البشارة الثالثة: بشارة بأن إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سيكون نبيًّا.

أما عن أدلة هذه الأقوال.

فأدلة البشارة الأولى: (بإسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) - وهذا عند فريق من العلماء، فهي قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ١٠١﴾.

والبشارة الثانية: (بإسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) دليلها: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ١٠١﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ٧١﴾ **[هود: ٧١]**.

والبشارة الثالثة: بأن إسحاق سيكون نبيًّا، دليلها: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢﴾.

مع أن بعض المذكور فيه بعض الخلاف، سيأتي بيانه إن شاء الله.

❀ ❀ ❀

قصة الذبيح

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: فلما قوي إسماعيل عليه السلام واستطاع العمل مع والده إبراهيم عليه السلام وانتفع به أبوه.

فالسعي هنا سعي إبراهيم عليه السلام، أي: فلما استطاع إسماعيل عليه السلام أن يساعد أباه في عمله.

الثاني: أن السعي سعي إسماعيل عليه السلام، والمعنى فلما استطاع إسماعيل عليه السلام أن يسعى ويمشي وتقوَّى على ذلك، أي: فلما مشى مع إبراهيم عليه السلام.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي أخرجه ابن أبي حاتم وغيره من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رؤيا الأنبياء في المنام وحيٌّ»؟

ج: أما الحديث فضعيف الإسناد لا يثبت عن رسول الله ﷺ، فرواية سماك عن عكرمة ضعيفة مضطربة.

وفي الحديث عللٌ أخر.

أما عن رؤيا الأنبياء، وهل هي وحيٌ أم لا؟

فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن رؤيا الأنبياء وحيٌ، وذلك لقول الخليل إبراهيم عليه السلام لولده: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾.

وقول ولده له: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ...﴾.

ولقولـه تعـالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧]. وعنـد البخـاري في حديث صلح الحديبية الطويل أن عمر ﵁ قال لرسول الله ﷺ: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «**بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟**» قال: «لا». قال (أي رسول الله ﷺ): «**فإنك آتيه ومطوف به**»(١).

وقد تحققت هذه الرؤيا بفضل الله.

هذا، وقد صح عن قتادة(٢) عند الطبري أنه قال: رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا في المنام شيئًا فعلوه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀(٣): ورؤيا الأنبياء وحيٌ فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة(٤) ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل ﵇ بالرؤيا، وأما رؤية غيرهم فتعرض على الوحي فإن وافقته وإلا لم يعمل بها.

هذا، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنه ليست كل رؤيا للأنبياء وحيٌ مستدلين بحديث(٥) عائشة ﵂ قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**أريتك في المنام يجيء بك الملك في سَرَقةٍ من حرير، فقال لي: هذه امرأتك فكشفت وجهك فإذا أنت هي، فقلت: إن يك من عند الله يُمضه**».

❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٢٧٣١).
(٢) الطبري (٢٣/٧٨).
(٣) مجموع الفتاوى (٤/٣٠).
(٤) دعوى الاتفاق فيها نظر.
(٥) البخاري (٥١٢٥).

س: وضح معنى قول الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: (يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ).

ج: هذا من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعد توطئة لولده إسماعيل على قبول الأمر الذي هو من الله عَزَّ وَجَلَّ، وأيضًا اختبارٌ لصبر إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ولجلادته يقول له أبوه: يابني إني رأيت رؤيا منامية أني أذبحك، فما رأيك في هذا؟

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم خليل الرحمن لابنه: (يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾ وكان فيما ذكر أن إبراهيم أنذر حين بشرته الملائكة بإسحاق ولدًا أن يجعله إذا ولدته سارة لله ذبيحًا؛ فلما بلغ إسحاق مع أبيه السعي أري إبراهيم في المنام، فقيل له: أوف لله بنذرك، ورؤيا الأنبياء يقين، فلذلك مضى لما رأى في المنام، وقال له ابنه إسحاق ما قال.

❁ ❁ ❁

س: هل كان إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متوقفًا في ذبح ولده حتى يعطيه ولده القرار إذ قال: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾؟

ج: الظاهر - والله أعلم - أنه لم يكن متوقفًا على رأي ولده وقراره، وإنما أراد أن يختبر صبر ولده، وكذا أراد لولده أن يُثاب باستسلامه لأمر الله عَزَّ وَجَلَّ، وذلك بدليل قوله تعالى: (وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن قال قائل: أو كان إبراهيم يؤامر ابنه في المضي لأمر الله، والانتهاء إلى طاعته؟ قيل: لم يكن ذلك منه مشاورة لابنه في طاعة الله،

ولكنه كان منه ليعلم ما عند ابنه من العزم: هل هو من الصبر على أمر الله على مثل الذي هو عليه، فيسر بذلك أم لا وهو في الأحوال كلها ماض لأمر الله.

وقوله: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إسحاق لأبيه: يا أبت افعل ما يأمرك به ربك من ذبحي. ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ يقول: ستجدني إن شاء الله صابرا من الصابرين لما يأمرنا به ربنا، وقال: ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾، ولم يقل: ما تؤمر به، لأن المعنى: افعل الأمر الذي تؤمره، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (**إني أرى في المنام افعل ما أمرت به**).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله وطاعة أبيه.

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ أي: امض لما أمرك الله من ذبحي، ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ أي: سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عَزَّوَجَلَّ. وصدق، صلوات الله وسلامه عليه، فيما وعد؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ [مريم: ٥٤-٥٥]

❀ ❀ ❀

س: في قول إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **لأبيه** ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ **تذكير بطاعة الله، وضحه.**

ج: إيضاحه أن إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حث أباه على امتثال أمر الله عَزَّوَجَلَّ، فقال

له: يا أبت افعل ما يأمرك الله به، ففضلًا عن كونه استسلامًا لأمر الله ﷻ فإنه أيضًا حثٌّ للأب على الصبر وتذكيرٌ له بالامتثال لأمر الله.

فهي أسرة كريمة مكرمة، وهكذا إسماعيل عليه السلام، وتلك أمه هاجر التي قالت لإبراهيم حين تركها وولدها إسماعيل عند البيت الحرام: «**آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا!!**».

❁ ❁ ❁

س: اذكر ما يبين أن إسماعيل عليه السلام وفى بما قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾.

ج: الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ ...﴾.

* **وقوله تعالى:** ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥﴾.

[الأنبياء: ٨٥]

* **وقوله تعالى في شأن إسماعيل عليه السلام:** ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ **[مريم: ٥٤ - ٥٥]**.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - فلما استسلم إبراهيم عليه السلام واستسلم ولده إسماعيل عليه السلام لأمر ربه ﷻ ورضيا بما قضاه الله وقدَّره وأمر به وأضجع إبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل على الأرض ووجهه على الأرض حينئذ ناداه ربُّه ﷻ أن يا إبراهيم ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ قد امتثلت ما أُمرت به في

(٢٧٧) أحمر أسود

رؤياك.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١٠٥﴾ أي: كذلك نوفق المطيعين لنا كما وفقناك لمزيدٍ من طاعتنا وامتثال أمرنا نوفق من أطاعنا وامتثل أمرنا ونجازيه.

وقال بعض أهل العلم: إن المعنى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١٠٥﴾ حاصل معناه، وكما جازيناك بإكرامك بالذبح العظيم تفديةً لولدك وأنجيناك من هذه الشدة وذلك الكرب الذي كنت فيه، فإننا أيضًا نجازي أهل الإحسان على الدوام فنكافؤهم على ما أطاعونا.

إن هذا لهو البلاء المبين، قيل: الاختبار الشديد المظهر لحقائق ما عليه الأشخاص، وقيل: إن هذا هو النعيم، وإن هذه لهي النعمة العظيمة عليك، وقد تأتي كلمة البلاء على المعنيين؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ **[الأنفال: ١٧]**.

وهذه بعض أقوال العلماء في المسألة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلما أسلما أمرهما لله وفوضاه إليه واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ قال: أسلم هذا نفسه لله، وأسلم هذا ابنه لله.

وقوله: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ١٠٣﴾ يقول: وصرعه للجبين، والجبينان ما عن يمين الجبهة وعن شمالها، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ١٠٣﴾ أي وكبه لفيه وأخذ

الشفرة ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ حتى بلغ ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ۝١٠٧﴾.

وقوله: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ وهذا جواب قوله: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ ومعنى الكلام: فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم؛ وأدخلت الواو في ذلك كما أدخلت في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، وقد تفعل العرب ذلك فتدخل الواو في جواب فلما، وحتى وإذا تلقيها.

ويعني بقوله: ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ التي أريناكها في منامك بأمرناك بذبح ابنك.

وقوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٠٥﴾ يقول: إنا كما جزيناك بطاعتنا يا إبراهيم، كذلك نجزي الذين أحسنوا، وأطاعوا أمرنا، وعملوا في رضانا.

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ۝١٠٦﴾: يقول تعالى ذكره: إن أمرنا إياك يا إبراهيم بذبح ابنك إسحاق، لهو البلاء، يقول: لهو الاختبار الذي يبين لمن فكر فيه أنه بلاء شديد ومحنة عظيمة. وكان ابن زيد يقول: البلاء في هذا الموضع الشر وليس باختبار.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح إلى ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ۝١٠٦﴾ قال: هذا في البلاء الذي نزل به في أن يذبح ابنه. ﴿صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾: ابتليت ببلاء عظيم أمرت أن تذبح ابنك، قال: وهذا من البلاء المكروه وهو الشر وليس من بلاء الاختبار.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ۝١٠٣﴾ أي: فلما تشهدا وذكرا الله

تعالى إبراهيم على الذبح والولد على شهادة الموت. وقيل: ﴿أَسْلَمَا﴾، استسلما وانقادا؛ إبراهيم امتثل أمْرَ الله، وإسماعيل طاعة الله وأبيه. قاله مجاهد، وعكرمة والسدي، وقتادة، وابن إسحاق، وغيرهم.

ومعنى ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣﴾ أي: صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه، ولا يشاهد وجهه عند ذبحه، ليكون أهون عليه.

وقال:

وقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ أي: قد حصل المقصودُ من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح.

وقال:

وقوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥﴾ أي: هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد، ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل، خلافًا لطائفة من المعتزلة، والدلالة من هذه ظاهرة، لأن الله تعالى شرع لإبراهيم ذَبْحَ ولده، ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء، وإنما كان المقصود من شرعه أولًا إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۝١٠٦﴾ أي: الاختبار الواضح الجلي؛ حيث أمر بذبح ولده، فسارع إلى ذلك مستسلمًا لأمر الله، منقادًا لطاعته؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾

[النجم:٣٧].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

السادســـة: قولـــه تعـــالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ أي نجـــزيهم بالخلاص من الشدائد في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ أي النعمــة الظــاهرة يقــال: أبــلاه الله إبــلاء وبلاء إذا أنعم عليه وقد يقال بلاه قال زهير:

فأبلاهمـا خيـر الـبلاء الـذي يبلـو

فزعم قوم أنه جاء باللغتين.

وقال آخرون: بل الثاني من بلاه يبلوه إذا اختبره ولا يقال من الاختبار إلا بلاه يبلوه ولا يقال من الابتلاء يبلوه وأصل هذا كله من الاختبار أن يكون بـالخير والشـر قـال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] وقال أبو زيد هذا من البلاء الذي نزل به في أن يذبح ابنه قال: وهذا من البلاء المكروه.

❁ ❁ ❁

س: ما موضع الواو في قوله تعالى: (وَنَادَيْنَاهُ)؟

ج: أجاب القرطبي على ذلك بقوله:

(وَنَادَيْنَاهُ) والواو زائدة مقحمة كقولـه: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا﴾ [يوسف: ١٥] أي أوحينا وقولـه: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ﴾ [الأنبيـاء: ٩٦-٩٧] أي اقتــرب وقولـــه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ﴾ [الزمر: ٧٣] أي قال لهم وقال امرؤ القيس:

(٢٨١) أحمر أسود

فلمـــا أجزنـــا ســاحة الحـــي وانتحـــى

❀ ❀ ❀

الذبيح من هو؟

س: الغلام الذي فُدي بذبح عظيم، هل هو إسماعيل عليه السلام؟ أم أنه إسحاق عليه السلام؟

ج: في هذه المسألة خلاف بين أهل العلم، ويبدو - والله أعلم - على ما تشهد له الأدلة أنه إسماعيل ﷺ.

أما بشيء من التفصيل، فأقول - وبالله التوفيق -:-

ابتداءً: تنبيهات:

أولًا: لم يثبت في هذا الباب خبرٌ صحيح عن رسول الله ﷺ.

والحديث الذي هو «**أنا ابن الذبيحين**» متكلم فيه.

ثانيًا: وأيضًا فالآيات لم يُنص فيها على تحديد اسم الذبيح، وإنما فُهم من مضمونها ما فُهم.

ثالثًا: لم يتفق الصحابة فيما بينهم على شيء، ثم إن كثيرًا من الأسانيد إليهم فيها ضعف.

رابعًا: نحن كمسلمين ولله الحمد نعتقد تمام الاعتقاد ونؤمن تمام اليقين أن كلًّا من إسماعيل وإسحاق عليهما السلام له فضل، فكلاهما نبي كريم.

ثم هذا شيء من التفصيل:

بعض أدلة القائلين بأن الذي فُدي بذبح عظيم هو إسماعيل عليه السلام:

أولًا: تقدم إسماعيل عليه السلام في الذِّكر الحكيم كتقدمه في ثناء إبراهيم عليه السلام على ربِّه ﷻ وحمده له بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٣٩].

*** وكذا في قوله تعالى:** ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ [النساء: ١٦٣]، وفي قول يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لبنيه: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ [البقرة: ١٣٣].

ثانيًا: أن امرأة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ (وهي سارة عَلَيْهَا السَّلَامُ) لما بُشِّرت بإسحاق بشرت معه بيعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلم تكن لتبشر بحفيدٍ ثم يؤمر بذبح ولد الابن الذي منه الحفيد قبل أن يتزوج هذا الابن؟

فمن أين يتأتى الحفيد؟ وقد ذبح أبوه وهو غلام؟!!

أما كونها بشرت بهما معًا ففي قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [هود: ٧١].

فلا يتصور أن يبشر الشخص بولد وحفيد من هذا الولد ثم يؤمر بذبح الولد قبل أن يتزوج!!

ثالثًا: إن سياق الآيات التي معنا في هذه السورة المباركة سورة الصافات دعا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ فبشر كما قال تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾ أي: مع هذا الغلام الحليم، ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ...﴾ ثم بعد ذلك قال تعالى: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢﴾، وهذا في السياق بعد ذِكر الغلام الحليم وما كان من شأنه في القصة.

أما قول من قال: إنه نبئ بعد ذلك، أي: أن الذبيح عنده هو إسحاق ثم بشر إبراهيم بأن ولده إسحاق سيكون نبيًّا، فقول بعيد.

فقوله: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا﴾، المراد منه – والله أعلم –: أن ذلك في أصل البشرى بإسحاق وأنه سيولد.

رابعًا: أن الغلام الذي أُمر إبراهيم عليه السلام بذبحه، قال لأبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢﴾، وقد كان ذلك في شأن إسماعيل عليه السلام، ووصف إسماعيل عليه السلام بذلك، إذ الله قال: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٨٥﴾ **[الأنبياء: ٨٥]**.

بعض استدلالات القائلين بأن الذي فُدي بذبح عظيم هو إسحاق عليه السلام:

*** أقوى استدلالٍ لهذا الفريق من العلماء هو:** أن إبراهيم عليه السلام لما قرر ترك بلاد الكفر: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠﴾ بُشِّر بالغلام الحليم في قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ۝١٠١﴾، فبالنظر إلى ذلك وإلى قوله تعالى في سورة مريم: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ۝٤٩﴾ **[مريم: ٤٩]**، يتضح أن الذي بشر به بعد اعتزال قومه هو إسحاق ويعقوب، وكذا قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٦ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ **[العنكبوت: ٢٦-٢٧]** قد يُفهم منه أنه رزق بهما بعد هجرته.

هذا فيما أرى أقوى استدلالٍ للقائلين بأن الذي فُدي بذبح عظيم هو إسحاق عليه السلام.

وأقول - وبالله التوفيق - إن هذا الاستدلال يمكن توجيهه بأن يقال: نعم إن إبراهيم بُشّر بإسحاق ويعقوب عليهما السلام بعد هجرته، ولا نختلف في ذلك، ولكن الأمر بعد الهجرة واسع.

فيمكن أن يقال: إن إبراهيم لما هاجر بشر بالغلام الحليم إسماعيل عليه السلام (من هاجر) وبُشّر أيضًا بعدها بإسحاق (من سارة) والله أعلم.

هذا، وقد وردت بعض الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم في

هذا الصدد، أذكر منها أهم ما أورده الإمام الطبري رحمه الله تعالى معلقًا عليه بإذن الله.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ يقول: وفدينا إسحاق بذبح عظيم، والفدية: الجزاء، يقول: جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم، وأنقذناه من الذبح.

واختلف أهل التأويل، في المفدي من الذبح من ابني إبراهيم، فقال بعضهم: هو إسحاق.

* وأورد الطبري بإسنادين فيهما ضعفٌ(١) **عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ قال: هو إسحاق.

* وأورد بسندٍ صحيح عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: الذي أمر بذبحه إبراهيم هو إسحاق.

قلت: وهذا مخالف لما هو أثبت وأصح وأوثق عن ابن عباس من طرق متعددة من أن الذبيح هو إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن الأحوص، قال: افتخر رجل عند ابن مسعود، فقال: أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله(٢): ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله.

---

(١) أما الإسناد الأول، ففيه يحيى بن يمان، وهو ضعيف، وكذا فيه مبارك بن فضالة، وفيه كلام، والحسن البصري مدلس، وقد عنعن.
والسند الثاني: فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

(٢) وعبد الله هو ابن مسعود.

وأبو الأحوص هو عوف بن مالك، وهو ثقة.

*** وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح أن كعبًا[١] قال لأبي هريرة:** ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبي؟ قال أبو هريرة: بلى، قال كعب: لما رأى إبراهيم ذبح إسحاق، قال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن أحدا منهم أبدا، فتمثل الشيطان لهم رجلًا يعرفونه، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة امرأة إبراهيم، فقال لها: أين أصبح إبراهيم غاديا بإسحاق؟ قالت سارة: غدا لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله ما لذلك غدا به، قالت سارة: فلم غدا به؟ قال: غدا به ليذبحه! قالت سارة: ليس من ذلك شيء، لم يكن ليذبح ابنه! قال الشيطان: بلى والله! قالت سارة: فلم يذبحه؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك؛ قالت سارة: فهذا أحسن بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك. فخرج الشيطان من عند سارة حتى أدرك إسحاق وهو يمشي على إثر أبيه، فقال: أين أصبح أبوك غاديا بك؟ قال: غدا بي لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله ما غدا بك لبعض حاجته، ولكن غدا بك ليذبحك، قال إسحاق: ما كان أبي ليذبحني! قال: بلى؛ قال: لم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك؛ قال إسحاق: فوالله لئن أمره بذلك ليطيعنه، قال: فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم، فقال: أين أصبحت غاديًا بابنك؟ قال: غدوت به لبعض حاجتي، قال: أما والله ما غدوت به إلا لتذبحه، قال: لم أذبحه؟ قال: زعمت أن ربك أمرك بذلك؛ قال: الله فوالله لئن كان أمرني بذلك ربي لأفعلن؛ قال: فلما أخذ

---

(١) وكعب هو كعب الأحبار مكثرٌ من رواية الإسرائيليات، وفيما يبدو أن هذا منها، والسند إلى كعب صحيح، لكن ما قاله كعب غالب ظني أنه متلقى من الإسرائيليات، والله أعلم.

إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلم إسحاق، أعفاه الله وفداه بذبح عظيم، قال إبراهيم لإسحاق: قم أي بني، فإن الله قد أعفاك؛ وأوحى الله إلى إسحاق: إني قد أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها؛ قال إسحاق: اللهم إني أدعوك أن تستجيب لي، أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئًا، فأدخله الجنة.

وأورد الطبري آثارًا أخر في هذا الصدد يبين أن الذبيح إسحاق، وفيها مقال. ثم قال:

وقال آخرون: الذي فدي بالذبح العظيم من بني إبراهيم إسماعيلُ.

* وأورد بإسناد ضعيف عن ابن عمر قال: الذبيح إسماعيل.

* وأورد بأسانيد قوية متعددة عن ابن عباس.

تصح[(١)] بلا ريب عنه: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ قال إسماعيل: وفي بعض الروايات عن ابن عباس: المفدَّى إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق، وكذبت اليهود.

* **وأورد بإسناد صحيح عن الشعبي أنه قال: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾** قال: هو إسماعيل، قال: وكان قرنا الكبش منوطين بالكعبة.

وأورد بإسناد صحيح عن الحسن (وهو البصري) قال: هو إسماعيل.

وأورد جملة أسانيد أخر في هذا الصدد.

واختار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الذبيح هو إسحاق.

وإن كنت لا أوافقه على هذا الاختيار وقد خالفه كثيرون من أهل

(١) ومنها الصحيح في غاية الصحة استقلالًا، ومنها ما في سنده مقال ويشهد له غيره.

العلم، إلا أنني أورد قول الطبري وقول غيره من أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى القولين بالصواب في المفدي من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو إسحاق، لأن الله قال: (وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾) فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولدا صالحا من الصالحين، فقال: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾) فإذا كان المفدي بالذبح من ابنيه هو المبشر به، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بشر به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال جلَّ ثناؤه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود: ٧١]، وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد، فإنما هو معني به إسحاق، كان بينا أن تبشيره إياه بقوله: (فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾) في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن.

وبعد: فإن الله أخبر جل ثناؤه في هذه الآية عن خليله أنه بشره بالغلام الحليم عن مسألته إياه أن يهب له من الصالحين، ومعلوم أنه لم يسأله ذلك إلا في حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين، لأنه لم يكن له من ابنيه إلا إمام الصالحين، وغير موهوم منه أن يكون سأل ربه في هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له. فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذي ذكر تعالى ذكره في هذا الموضع هو الذي ذكر في سائر القرآن أنه بشره به وذلك لا شك أنه إسحاق، إذ كان المفدي هو المبشر به. وأما الذي اعتل به من اعتل في أنه إسماعيل، أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابن ابن، فلم يكن جائزا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي قد تقدم؛ فإن الله إنما أمره

بذبحه بعد أن بلغ معه السعي، وتلك حال غير ممكن أن يكون قد ولد لإسحاق فيها أولاد، فكيف الواحد؟ وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفدي من ولد إبراهيم بقوله: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا﴾ ولو كان المفدي هو إسحاق لم يبشر به بعد، وقد ولد، وبلغ معه السعي، فإن البشارة بنبوة إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فدي تكرمة من الله له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح، وقد تقدمت الرواية قبل عمن قال ذلك. وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقا في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حمل من الشام إلى مكة. وقد روي عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه إسحاق بالشام، وبها أراد ذبحه.

قلت: وهذه طائفة أخرى من أقوال العلماء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ وهذا الغلام هو إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإنه أولُ ولد بشر به إبراهيم، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل في نص كتابهم أن إسماعيل وُلِدَ ولإبراهيم، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعمْر إبراهيم تسع وتسعون سنة. وعندهم أن الله تعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده، وفي نسخة: بِكْره، فأقحموا هاهنا كذبًا وبهتانًا «إسحاق»، ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم، وإنما أقحموا «إسحاق» لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، فزادوا ذلك وحَرّفوا وحيدك، بمعنى الذي ليس عندك غيره، فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى جنب مكة وهذا تأويل وتحريف

باطل، فإنه لا يقال: «وحيد» إلا لمن ليس له غيره، وأيضا فإن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار.

وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضًا، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تُلقى إلا عن أخبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلما من غير حجة. وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾. ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ **[الحجر:٥٣]**. وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ **[هود:٧١]**، أي: يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل. وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير؛ لأن الله قد وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرًا، وإسماعيل وصف هاهنا بالحليم؛ لأنه مناسب لهذا المقام.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا:

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت أبي عن الذبيح، من هو؟ إسماعيل أو إسحاق؟ فقال: إسماعيل. ذكره في كتاب الزهد.

وقال ابن أبي حاتم: وسمعت أبي يقول: الصحيح أن الذبيح إسماعيل، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. قال: وروي عن علي، وابن عمر، وأبي هريرة، وأبي الطفيل، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، والشعبي،

ومحمد بن كعب القرظي، وأبي جعفر محمد بن علي، وأبي صالح أنهم قالوا: الذبيح إسماعيل.

وقال البغوي في تفسيره: وإليه ذهب عبد الله بن عمر، وسعيد بن المسيب، والسدي، والحسن البصري، ومجاهد، والربيع بن أنس، ومحمد بن كعب القرظي، والكلبي، وهو رواية عن ابن عباس، وحكاه أيضا عن أبي عمرو بن العلاء.

وجنح القرطبي إلى أن الذبيح إنما هو إسحاق عليه السلام، ونقل ذلك عن الأكثر، وقال:... وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى،... وقال: وهذا القول أقوى في النقل عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين.

قلت (مصطفى): أما عن رسول الله ﷺ فلم يصح عنه في الباب خبرٌ، أما الآثار فقد تقدمت الإشارة إليها.

ثم قال القرطبي رحمه الله مُدعمًا ما جنح إليه من أن الذبيح إسحاق، ومُفندًا الأقوال الأخر:

واحتجوا بأن الله ﷻ قد أخبر عن إبراهيم حين فارق قومه فهاجر إلى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط فقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] أنه دعا فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٤٩] ولأن الله قال: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ فذكر أن الفداء في الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم وإنما بشر بإسحاق لأنه قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ وقال هنا: ﴿بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ وذلك قبل أن يتزوج هاجر وقبل أن يولد له إسماعيل وليس في القرآن أنه بشر

بولد إلا إسحاق احتج من قال إنه إسماعيل: بأن الله تعالى وصفه بالصبر دون إسحاق في قوله تعالى: (وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾) [الأنبياء: ٨٥] وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله: (إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ) [مريم: ٥٤] لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولأن الله تعالى قال: (وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا) فكيف يأمره بذبحه وقد وعده أن يكون نبيًّا وأيضًا فإن الله تعالى قال: (فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾) [هود: ٧١] فكيف يؤمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب وأيضا ورد في الأخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة فدل على أن الذبيح إسماعيل ولو كان إسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس وهذا الاستدلال كله ليس بقاطع أما قولهم: كيف يأمره بذبحه وقد وعده بأن يكون نبيًّا فإنه يحتمل أن يكون المعنى: وبشرناه بنبوته بعد أن كان من أمره ما كان قاله ابن عباس وسيأتي ولعله أمر بذبح إسحاق بعد أن ولد لإسحاق يعقوب ويقال: لم يرد في القرآن أن يعقوب يولد من إسحاق وأما قولهم: ولو كان الذبيح إسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس فالجواب عنه ما قاله سعيد بن جبير على ما تقدم وقال الزجاج: الله أعلم أيهما الذبيح وهذا مذهب ثالث.

س: ما هذا الذبح العظيم الذي فُدي به هذا الغلام الحليم؟

ج: ذهب أكثر أهل العلم إلى أنه كبش.

وقد صحَّ ذلك عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من وجوه متعددة عنه أخرجها الطبري وغيره.

ومما أورده الطبري طريق ابن خثيم (وهو عبد الله بن عثمان بن خثيم) عن سعيد عن ابن عباس قال: الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام هو الكبش الذي مَرَّ به ابن آدم فتُقبل منه.

ولا أرى عبد الله بن عثمان يتحمل مثل هذا المتن ولم يوافق عبد الله بن عثمان عليه.

❃ ❃ ❃

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨)﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - وتركنا على إبراهيم عليه السلام ثناءً حسنًا في الأمم التي جاءت من بعده.

قال الطبري رحمه الله: وأبقينا عليه فيمن بعده إلى يوم القيامة ثناءً حسنًا.

وفي رواية: أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ قال: سأل إبراهيم، فقال: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤)﴾ [الشعراء: ٨٤] قال: فترك الله عليه الثناء الحسن في الآخرين، كما ترك اللسان السوء على فرعون وأشباهه كذلك ترك اللسان الصدق والثناء الصالح على هؤلاء.

❃ ❃ ❃

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩)﴾.

ج: هذا - والله أعلم - معناه - سلامٌ من الله عز وجل على إبراهيم الخليل عليه السلام، فالناس وإن أثنوا عليه فثناء الله عليه أجمل وأحسن، أمانٌ من الله

ﷻ على إبراهيم عليه السلام.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝١٠٩﴾ يقول تعالى ذكره: أمنة من الله في الأرض لإبراهيم أن لا يذكر من بعده إلا بالجميل من الذكر.

ومن العلماء من ذكر وجهًا آخر حاصله: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٠٨﴾ أنه يُقال: سلام على إبراهيم.

أي: أن الآخرين (الأمم التي تأتي من بعده تقول: سلام على إبراهيم)، والأول أولى، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١١١﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - وكما جزينا إبراهيم عليه السلام بالثناء الحسن بعد موته، وكما أكرمناه بالذي أكرمناه به، فإننا نكرم كلَّ محسن.

أما قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: إبراهيم عليه السلام ﴿مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١١١﴾ المصدقين بوحدانيتنا المقرين بها الموقنين بها.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١١٠﴾ يقول: كما جزينا إبراهيم على طاعته إيانا وإحسانه في الانتهاء إلى أمرنا، كذلك نجزي المحسنين ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١١١﴾ يقول: إن إبراهيم من عبادنا المخلصين لنا الإيمان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١١٢ وَبَٰرَكۡنَا

عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - وبشرنا إبراهيم عليه السلام لإيمانه وصدقه وصبره وثباته بأن جعلنا ولده إسحاق عليه السلام نبيًّا صالحًا كما قال تعالى في شأن موسى عليه السلام، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم: ٥٣].

وكذا فإنا قد باركنا على إبراهيم وعلى إسحاق بأن جعل الخير فيهما والنبوة في ذريتهما، فالأنبياء من بعد إبراهيم عليه السلام من ذريته، وكل من بعد إسحاق من الأنبياء إنما هو من ذرية إسحاق إلا رسول الله محمد ﷺ فإنه من ذرية إسماعيل عليه السلام، أما سائر ذرية إسحاق فمنها المحسن ومنها الظالم لنفسه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وبشرنا إبراهيم بإسحاق نبيًّا شكرًا له على إحسانه وطاعته.

وقوله: (وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَۚ) يقول تعالى ذكره: وباركنا على إبراهيم وعلى إسحاق (وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ) يعني بالمحسن: المؤمن المطيع لله، المحسن في طاعته إياه (وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾) ويعني بالظالم لنفسه: الكافر بالله، الجالب على نفسه بكفره عذاب الله وأليم عقابه (مُبِينٌ ﴿١١٣﴾): يعني الذي قد أبان ظلمه نفسه بكفره بالله.

هذا، وقد أورد الطبري توجيهات وأقوال العلماء الذين يرون أن الذبيح إسحاق حاصلها أنه - أي إبراهيم عليه السلام - أكرم، وأكرم ولده إسحاق عليه السلام بعد أن استسلما لأمر الله عز وجل، أكرم إسحاق بأن جعله الله نبيًّا، وأكرم

إبراهيم بأن جعل الله ولده نبيًّا.

وقد قدمت من الذبيح بما فيه كفاية، والله أعلم.

والظاهر لي - والله أعلم - أن هذا مزيد إكرام لإبراهيم عليه السلام، بعد أن استسلم هو وإسماعيل عليه السلام لأمر الله ولقضائه، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾، لما تقدمت البشارة بالذبيح- وهو إسماعيل- عطف بذكر البشارة بأخيه إسحاق، وقد ذكرت في سورتي (هود) و(الحجر).

وقوله: ﴿نَبِيًّا﴾ حال مقدرة، أي: سيصير منه نبي من الصالحين.

وقوله: ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ كقوله تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [هود:٤٨].

وقال القرطبي رحمه الله:

قولــه تعــالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ﴾ لما ذكر البركة في الذرية والكثرة قال: منهم محسن ومنهم مسيء وأن المسيء لا تنفعه بنوة النبوة فاليهود والنصارى وإن كانوا من ولد إسحاق والعرب وإن كانوا من ولد إسماعيل فلابُدَّ من الفرق بين المحسن والمسيء والمؤمن والكافر وفي التنزيل ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ﴾ [المائدة: ١٨] الآية أي أبناء رسل الله فرأوا لأنفسهم فضلًا وقد تقدم.

س: هل يلزم من كون الرجل صالحًا أن يكون ولده صالحًا أيضًا؟

ج: ليس هذا بلازم، فالله ﷻ يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت

من الحي، وقد قيل في تفسيرها: يخرج المؤمن من صلب الكافر، والكافر من صلب المؤمن، فإبراهيم عليه السلام مؤمن، وأبوه كافر ونوح عليه السلام نبي من أولي العزم من الرسل، وابنه كافر.

ولقد قال تعالى في شأن ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام، ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝٢٦﴾ [الحديد: ٢٦].

وقال في شأن ذرية إبراهيم وإسحاق عليهما السلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ۝١١٣﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٧﴾ [الأحقاف: ١٧]، إلى غير ذلك من الأدلة.

❁ ❁ ❁

ذكر موسى وهارون عليهما السلام

قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ
ٱلْعَظِيمِ (١١٥) وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ (١١٦) وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ
(١١٧) وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ (١١٩)
سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ
(١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٢٢) ﴾ [الصافات: ١١٤-١٢٢]

(٢٩٩) أحمر أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(مَنَنَّا – ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ –ٱلۡمُسۡتَبِينَ – وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ).

ج:

الكلمة	معناها
(مَنَنَّا)	تفضلنا
﴿ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾	العذاب الذي كانوا يلاقونه من فرعون وجنوده - وقيل: الغرق - وقيل: ملاحقة فرعون لهما
(ٱلۡمُسۡتَبِينَ)	المتبين الواضح - المبين للأحكام والشرائع والأخبار
﴿ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾	أرشدناهما إلى طريق الحق والصواب ووفقناهما لسلوكه

❀ ❀ ❀

س: بماذا منَّ الله على موسى وهارون عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ؟

ج: منَّ عليهما بأن جعلهما نبيين كريمين وَجيهَين، وجعلهما سببًا لنجاة قومهما من الكرب العظيم، ومنَّ عليهما بنصرهما على عدوهما، وبالكتاب الذي أنزل على موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وبالهداية والتوفيق للإيمان والسداد.

❀ ❀ ❀

س: ما هذا الكرب العظيم الذي أنجى الله منه موسى وهارون عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ وقومهما؟

هذا الكرب العظيم هو ما كان يلقاه الإسرائيليون من عذاب من قِبل آل

فرعون، إذ كانوا يقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم.

وقيل: الكرب العظيم: مطاردة فرعون وقومه لهما.

وقيل: الكرب العظيم: الغرق.

❁ ❁ ❁

س: ما صورة هذا النصر الذي نصر الله ﷻ فيه موسى وهارون عليهما السلام؟

ج: صورته أن الله ﷻ أغرق بمنِّه وكرمه وفضله آل فرعون، وأورث القوم الذين كانوا يستضعفون (وهم بنو إسرائيل، ومنهم موسى وهارون عليهما السلام) مشارق الأرض ومغاربها التي بارك الله فيها.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه الجمع في قوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ١١٦﴾؟

ج: وجهه أنه ﷻ نصرهما وقومهما، فالجمع لموسى وهارون وقومهما، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالكتاب المستبين؟ وما معنى المستبين؟

ج: أما الكتاب المستبين فهو التوراة، أما معنى المستبين: فهو الواضح المبين الظاهر.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
١١٤ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ١١٥ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ١١٦ وَءَاتَيْنَٰهُمَا
ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ١١٧ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ١١٨ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ١١٩

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

ج: المعنى إجمالًا، ولقد تفضلنا على موسى وهارون وأكرمناهما بجعلهما نبيين كريمين، وسلمناهما وقومهما (الذين هم بنو إسرائيل) من الكرب العظيم الذي كانوا يعيشونه من الامتهان والإذلال وقتل الرجال وذبح الأطفال واستحياء النساء، وأتممنا عليهم الفضل بأن أغرقنا فرعون وآله، ونصرنا بني إسرائيل وتفضلنا عليهما (أي على موسى وهارون) بالتوراة التي فيها هدى ونورٌ، يُستضاء بها ويسترشد، ووفقناهما لسلوك الطريق المستقيم المؤدي إلى مرضاة الله ﷻ ورضوانه، وتركنا عليهما بعد موتهما ثناءً حسنًا في الناس، فأهل الإيمان يثنون عليهما، ومع ذلك فتحية من الله ﷻ لهما في الدنيا والآخرة، ووعد بالأمن لهما في الدنيا والآخرة، وهكذا نجازي كل محسن بإكرامه، ثم ختام بشهادة حسنة لموسى وهارون عليهما السلام، شهادة من الله لهما بالإيمان والصدق فيه ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ فهنيئًا لهما بسلام الله عليهما، وبوصفه الكريم لهما بالإيمان والإحسان.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد تفضلنا على موسى وهارون ابني عمران، فجعلناهما نبيين، ونجيناهما وقومهما من الغم والمكروه العظيم الذي كانوا فيه من عبودة آل فرعون، ومما أهلكنا به فرعون وقومه من الغرق.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن السدي أنه قال: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾ من الغرق، **وبإسنادٍ حسن عن قتادة:** من آل فرعون.

وقوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ يقول: ونصرنا موسى وهارون وقومهما على فرعون وآله بتغريقناهم، ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾ لهم.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾﴾:

وآتينا موسى وهارون الكتاب، يعني: التوراة، قال: ويعني بالمستبين: المتبين هُدى ما فيه وتفصيله وأحكامه.

وقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وهدينا موسى وهارون الطريق المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه وهو الإسلام دين الله، الذي ابتعث به أنبياءه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ الإسلام.

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ يقول: وتركنا عليهما في الآخرين بعدهم الثناء الحسن عليهما.

وقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ يقول: وذلك أن يقال: سلام على موسى وهارون.

وقوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾ يقول: هكذا نجزي أهل طاعتنا، والعاملين بما يرضينا عنهم ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ يقول: إن موسى وهارون من عبادنا المخلصين لنا الإيمان.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

يذكر تعالى ما أنعم به على موسى وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه، وما كان يعتمده في حقهم من الإساءة

العظيمة، من قتل الأبناء واستحياء النساء، واستعمالهم في أخس الأشياء. ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم، وأقر أعينهم منهم، فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم. ثم أنزل الله على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين، وهو التوراة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً﴾ [الأنبياء:٤٨].

وقال هاهنا: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ أي: في الأقوال والأفعال.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ أي: أبقينا لهما من بعدهما ذكرًا جميلًا وثناء حسنًا، ثم فسره بقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾﴾ لما ذكر إنجاء إسحاق من الذبح وما من به عليه بعد النبوة ذكر ما من به أيضا على موسى وهارون من ذلك وقوله: ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾ قيل: من الرق الذي لحق بني إسرائيل وقيل: من الغرق الذي لحق فرعون: ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ قال الفراء: الضمير لموسى وهارون وحدهما؛ وهذا على أن الاثنين جمع؛ دليله قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا﴾ ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا﴾ وقيل: الضمير لموسى وهارون وقومهما وهذا هو الصواب لأن قبله ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ و﴿ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾﴾ التوراة يقال: استبان كذا أي سار بينا واستبانه فلان مثل تبين الشيء بنفسه وتبينه فلان ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الإسلام

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾) يريد الثناء الجميل (سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾
إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ تقدّم.

❁ ❁ ❁

﴿ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ أَتَدۡعُونَ
بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ
١٢٦ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ١٢٧ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٢٨ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي
ٱلۡأٓخِرِينَ ١٢٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣١ إِنَّهُۥ مِنۡ
عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾ [الصافات: ١٢٣-١٣٢]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿بَعْلًا – أَتَدْعُونَ بَعْلًا –وَتَذَرُونَ –لَمُحْضَرُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(بَعْلًا)	صنمًا ـ إلهًا ـ ربًّا
(أَتَدْعُونَ بَعْلًا)	أتعبدون صنمًا ـ أتعبدون إلهًا غير الله، وربًّا غير الله
(وَتَذَرُونَ)	تتركون
(لَمُحْضَرُونَ)	لمحضرون للعذاب يوم القيامة

❁ ❁ ❁

س: من إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

ج: إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي كريم مرسل أرسله الله عَزَّ وَجَلَّ إلى قومه.

وقد قيل: إنه إدريس.

وقيل: إنه إلياس بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، كذا قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ، ولا أعلم مستند ذلك.

ونقل الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قال: كان يُقال إلياس هو إدريس.

قلت: وكل هذا مما لا دليل عليه، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: من هو إلياسين؟

ج: هو إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ.

❁ ❁ ❁

س: لماذا زيدت النون في قوله ﴿إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنها لغة قومٍ من العرب.

الثاني: أنها زيدت لدخول قومه معه، أي: سلام على إلياس وآل إلياس.

الثالث: أنها زيدت لتساوي الآيات.

الرابع: وهو قول ضعيف أن إلياسين هم آل محمد ﷺ.

*** وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.**

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ فقرأته عامة قراء مكة والبصرة والكوفة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ بكسر الألف من إلياسين، فكان بعضهم يقول: هو اسم إلياس، ويقول: إنه كان يسمى باسمين: إلياس، وإلياسين مثل إبراهيم، وإبراهام؛ يستشهد على ذلك أن ذلك كذلك بأن جميع ما في السورة من قوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ فإنه سلام على النبي الذي ذكر دون آله، فكذلك إلياسين، إنما هو سلام على إلياس دون آله. وكان بعض أهل العربية يقول: إلياس: اسم من أسماء العبرانية، كقولهم: إسماعيل وإسحاق، والألف واللام منه، ويقول: لو جعلته عربيا من الإلس، فتجعله إفعالا مثل الإخراج، والإدخال أجري؛ ويقول: قال: سلام على إلياسين، فتجعله بالنون، والعجمي من الأسماء قد تفعل به هذا العرب، تقول: ميكال وميكائيل وميكائين، وهي في بني أسد تقول: هذا

إسماعين قد جاء، وسائر العرب باللام؛ قال: وأنشدني بعض بني نمير لضب صاده:

يقول رب السوق لما جينا هذا ورب البيت إسرائينا

قال: فهذا كقوله إلياسين؛ قال: وإن شئت ذهبت بإلياسين إلى أن تجعله جمعا، فتجعل أصحابه داخلين في اسمه، كما تقول لقوم رئيسهم المهلب: قد جاءتكم المهالبة والمهلبون، فيكون بمنزلة قولهم الأشعرين بالتخفيف، والسعدين بالتخفيف وشبهه، قال الشاعر:

أنا ابن سعد سيد السعدينا

قال: وهو في الاثنين أن يضم أحدهما إلى صاحبه إذا كان أشهر منه اسما كقول الشاعر:

جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجزى بالكرامة

واسم أحدهما: زهدم؛ وقال الآخر:

جزى الله فيها الأعورين ذمامة وفروة ثفر الثورة المتضاجم

واسم أحدهما أعور.

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾ بقطع آل من ياسين، فكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى: سلام على آل محمد. وذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ قوله: ﴿**وإن إلياس**﴾ بترك الهمز في إلياس ويجعل الألف واللام داخلتين على (ياس) للتعريف، ويقول: إنما كان اسمه (ياس) أدخلت عليه ألف ولام ثم يقرأ على ذلك: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ

﴿١٣٠﴾ بكسر ألفها على مثال إدراسين، لأن الله تعالى ذكره إنما أخبر عن كل موضع ذكر فيه نبيا من أنبيائه صلوات الله عليهم في هذه السورة بأن عليه سلاما لا على آله، فكذلك السلام في هذا الموضع ينبغي أن يكون على إلياس كسلامه على غيره من أنبيائه، لا على آله، على نحو ما بينا من معنى ذلك.

فإن ظن ظان أن إلياسين غير إلياس، فإن فيما حكينا من احتجاج من احتج بأن إلياسين هو إلياس غني عن الزيادة فيه.

مع أن فيما حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾ قال: إلياس.

قال الطبري أيضًا:

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: **(سلام على إدراسين)** دلالة واضحة على خطأ قول من قال: عنى بذلك سلام على آل محمد، وفساد قراءة من قرأ: **(وإن إلياس)** بوصل النون من (إن) بإلياس، وتوجيه الألف واللام فيه إلى أنهما أدخلتا تعريفا للاسم الذي هو ياس، وذلك أن عبد الله كان يقول: إلياس هو إدريس، ويقرأ: **(وإن إدريس لمن المرسلين)**، ثم يقرأ على ذلك: **(سلام على إدراسين)**، كما قرأ الآخرون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾ فلا وجه على ما ذكرنا من قراءة عبد الله لقراءة من قرأ ذلك: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾ بقطع الآل من ياسين. ونظير تسمية إلياس بإل ياسين: ﴿وَشَجَرَةً تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠] ثم قال في موضع آخر: ﴿وَطُورِ سِينِينَ ٢﴾ [التين: ٢] وهو موضع واحد سمي بذلك.

واستفاض القرطبي أيضًا في ذلك فقال:

(﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾ قراءة الأعرج وشيبة ونافع وقرأ عكرمة وأبو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي: (**سلام على آل ياسين**) وقرأ الحسن: (**سلام على آل ياسين**) بوصل الألف كأنها ياسين دخلت عليها الألف واللام التي للتعريف والمراد إلياس عليه السلام وعليه وقع التسليم لكنه اسم عجمي والعرب تضطرب في هذه الأسماء الأعجمية ويكثر تغيرهم لها قال ابن جني: العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعبا فياسين وإلياس وإلياسين شيء واحد الزمخشري: وكان حمزة إذا وصل نصب وإذا وقف رفع وقرئ: ﴿عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ و(**إدريسين**) و(**إدرسين**) و(**إدراسين**) على أنها لغات في إلياس وإدريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى. النحاس: ومن قرأ (**سلام على آل ياسين**) فكأنه والله أعلم جعل اسمه إلياس وياسين ثم سلم على آله أي أهل دينه ومن كان على مذهبه وعلم أنه إذا سلم على آله من أجله فهو داخل في الإسلام كما قال النبي ﷺ: «**اللهم صل على آل أبي أوفى**» وقال الله تعالى: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [**غافر: ٤٦**] ومن قرأ ﴿إِلۡ يَاسِينَ﴾ فللعلماء فيه غير قول فروى هارون عن ابن أبي إسحاق قال: إلياسين مثل إبراهيم يذهب إلى أنه اسم له وأبو عبيدة يذهب إلى أنه جمع جمع التسليم على أنه وأهل بيته سلم عليهم وأنشد:

قدني من نصر الخبيبين قدي

يقال: قدني وقدي لغتان بمعنى حسب وإنما يريد أبا خبيب عبد الله بن الزبير فجمعه على أن من كان على مذهبه داخل معه وغير أبي عبيدة

يرويه: الخبيبين على التثنية يريد عبد الله ومصعبا ورأيت علي بن سليمان يشرحه بأكثر من هذا قال: فإن العرب تسمي قوم الرجل باسم الرجل الجليل منهم فيقولون: المهالبة على أنهم سموا كل رجل منهم بالمهلب قال: فعلى هذا ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾ سمى كل رجل منهم بإلياس وقد ذكر سيبويه في كتابه شيئًا من هذا إلى أنه ذكر أن العرب تفعل هذا على جهة النسبة فيقولون: الأشعرون يريدون به النسب المهدوي: ومن قرأ ﴿إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾ فهو جمع يدخل فيه إلياس فهو جمع إلياسي فحذفت ياء النسبة كما حذفت ياء النسبة في جمع المكسر في نحو المهالبة في جمع مهلبي كذلك حذفت في المسلم فقيل: المهلبون وقد حكى سيبويه الأشعرون والنميرون يريدون الأشعريين والنميريين السهيلي: وهذا لا يصح بل هي لغة في إلياس ولو أراد ما قالوه لأدخل الألف واللام كما تدخل في المهالبة و الأشعريين فكان يقول: (**سلام على الإلياسين**) لأن العلم إذا جمع ينكر حتى يعرف بألف ولام ولا تقول: سلام على زيدين بل على الزيدين بالألف واللام فإلياس عليه السلام فيه ثلاث لغات النحاس: واحتج أبو عبيد في قراءته ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾ وأنه اسمه كما أن اسمه إلياس لأنه ليس في السورة سلام على (**آل**) لغيره من الأنبياء ﷺ فكما سمي الأنبياء كذا سمي هو وهذا الاحتجاج أصله لأبي عمرو وهو غير لازم لأن بين قول أهل اللغة أنه إذا سلم على آله من أجله فهو سلام عليه والقول بأن اسمه (إلياسين) يحتاج إلى دليل ورواية فقد وقع في الأمر إشكال قال الماوردي: وقرأ الحسن (**سلام على ياسين**) بإسقاط الألف واللام وفيه وجهان: أحدهما: أنهم آل محمد □ قاله ابن عباس. والثاني: أنهم آل ياسين فعلى

هذا في دخول الزيادة في ياسين وجهان: أحدهما أنها زيدت لتساوي الآي كما قال في موضع: ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وفي موضع آخر ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ [التين: ٢] فعلى هذا يكون السلام على أهله دونه وتكون الإضافة إليه تشريفًا له الثاني: أنها دخلت للجمع فيكون داخلا في جملتهم فيكون السلام عليه وعليهم قال السهيلي: قال بعض المتكلمين في معاني القرآن: آل ياسين آل محمد ﷺ ونزع إلى قول من قال في تفسير ﴿يسٓ﴾ يا محمد وهذا القول يبطل من وجوه كثيرة: أحدها أن سياقة الكلام في قصة الياسين يلزم أن تكون كما هي في قصة إبراهيم ونوح وموسى وهارون وأن التسليم راجع عليهم ولا معنى للخروج عن مقصود الكلام لقول قيل في تلك الآية الأخرى مع ضعف ذلك القول أيضا فإن ﴿يسٓ﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿الٓمٓ﴾ ونحو ذلك القول فيها واحد إنما هي حروف مقطعة إما مأخوذة من أسماء الله تعالى كما قال ابن عباس وإما من صفات القرآن وإما كما قال الشعبي: لله في كل كتاب سر وسره في القرآن فواتح القرآن وأيضًا فإن رسول الله ﷺ قال: «**لي خمسة أسماء**» ولم يذكر فيها «يسٓ» وأيضًا فإن ﴿يسٓ﴾ جاءت التلاوة فيها بالسكون والوقف ولو كان اسما للنبي ﷺ لقال: ﴿يسٓ﴾ بالضم كما قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٦] وإذا بطل هذا القول لما ذكرناه فـ ﴿إِلۡ يَاسِينَ ۝١٣٠﴾ هو إلياس المذكور وعليه وقع التسليم وقال أبو عمرو بن العلاء: هو مثل إدريس وإدراسين كذلك هو في مصحف ابن مسعود **(وإن إدريس لمن المرسلين)** ثم قال: سلام على إدراسين ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣١ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٣٢﴾ تقدّم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾ كما يقال في إسماعيل: إسماعين. وهي لغة بني أسد. وأنشد بعض بني نمير في ضَبٍّ صَادَه.

يَقُولُ رَبّ السوق لما جينا هـذا وربِّ البيت إسْرَائينا

ويقال: ميكال، وميكائيل، وميكائين، وإبراهيم وإبراهام، وإسرائيل وإسرائين، وطور سيناء، وطور سينين. وهو موضع واحد، وكل هذا سائغ.

وقرأ آخرون: (**سلام على إدريس**)، وهي قراءة عبد الله بن مسعود. وآخرون: (**سَلاَمٌ عَلَى آلْ يَاسِين**) يعني: آل محمد ﷺ.

❋ ❋ ❋

س: وضح المعنى الإجمالي للآيات المباركات: ﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣﴾... إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - إن إلياس عليه السلام لرسولًا من الرسل الذين أرسلناهم لهداية عبادنا وإرشادهم ودعوتهم إلى الله عز وجل، وذلك إذ قال لقومه: ألا تجعلون بينكم وبين عذاب الله وقاية؟ ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤﴾ أتدعون صنمًا وتعبدونه، أتعبدون ربًّا غير الله عز وجل، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين، أتتركون عبادة الله ربكم ورب آبائكم الأولين؟

هكذا قال إلياس عليه السلام لقومه ولكن بماذا أجاب القوم؟!

إنهم قد أجابوا بما أجاب به غيرهم من أهل الكفر! لقد كذَّبوه فتوعدهم الله على هذا التكذيب بقوله: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ١٢٧﴾ أي: محضرون للحساب والعقاب والعذاب يوم القيامة، ولمحضرون في النار، لكن عباد الله الذي آمنوا بهذا النبي

الكريم وصدقوه واتبعوه فيما دعاهم إليه من توحيد الله ﷻ، فإن الله سيسلمهم وينجيهم من حضور العذاب.

أما قوله تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٢٩﴾ أي: ثناءً حسنًا فيمن جاؤوا من بعده.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾ سلام من الله ﷻ على إلياس، وأمنةٌ من الله عليه، وهكذا نجازي أهل الإحسان. لا يقف جزاؤنا على من ذكرناهم من الأنبياء فحسب، بل كل محسن يجازى ويكرم.

ثم شهادة حسنة لإلياس عليه السلام بالصدق والإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣﴾ يقول جلَّ ثناؤه: لمرسل من المرسلين ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤﴾.

يقول حين قال لقومه في بني إسرائيل: ألا تتقون الله أيها القوم، فتخافونه، وتحذرون عقوبته على عبادتكم ربا غير الله، وإلهًا سواه ﴿وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥﴾ يقول: وتدعون عبادة أحسن من قيل له خالق.

وقد اختلف في معنى بعل، فقال بعضهم: معناه: أتدعون ربًّا؟ وقالوا: هي لغة لأهل اليمن معروفة فيهم.

وأورد أقوالًا أخر في تفسير البعل، فقال: وقال آخرون: هو صنم كان لهم يُقال له بعل، وبه سميت بعلبك.

وقال آخرون: كان بَعْل: امرأة كانوا يعبدونها.

قال الطبري:

وللبعل في كلام العرب أوجه. يقولون لرب الشيء: هو بعله، يقال: هذا بعل هذه الدار، يعني ربها؛ ويقولون لزوج المرأة: بعلها؛ ويقولون لما كان من الغروس والزروع مستغنيا بماء السماء، ولم يكن سقيًا بل هو بعل، وهو العذي. وذكر أن الله بعث إلى بني إسرائيل إلياس بعد مهلك حزقيل بن بوزا.

وقال:

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ فقرأته عامة قراء مكة والمدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة: (**الله ربكم ورب آبائكم الأولين**) رفعًا على الاستئناف، وأن الخبر قد تناهى عند قوله: ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ نصبًا، على الرد على قوله: ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ على أن ذلك كله كلام واحد.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، مع استفاضة القراءة بهما في القراء، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب. وتأويل الكلام: ذلك معبودكم أيها الناس الذي يستحق عليكم العبادة: ربكم الذي خلقكم، ورب آبائكم الماضين قبلكم، لا الصنم الذي لا يخلق شيئًا، ولا يضر ولا ينفع.

وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ يقول: فكذب إلياس قومه، فإنهم لمحضرون: يقول: فإنهم لمحضرون في عذاب الله فيشهدونه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ في عذاب الله. ﴿إِلَّا

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٢٨﴾ يقول: فإنهم يحضرون في عذاب الله، إلا عباد الله الذين أخلصهم من العذاب ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٢٩﴾ يقول: وأبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين من الأمم بعده.

وقال الطبري:

وقوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣١﴾ يقول تعالى ذكره: إنا هكذا نجزي أهل طاعتنا والمحسنين أعمالًا وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾ يقول: إن إلياس عبد من عبادنا الذين آمنوا، فوحدونا، وأطاعونا، ولم يشركوا بنا شيئًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤﴾ أي: ألا تخافون الله في عبادتكم غيره؟

وقال:

وقوله: ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا﴾ أي: أتعبدون صنمًا؟ ﴿وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٢٦﴾ أي: هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

وقال:

قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ١٢٧﴾ أي للعذاب يوم الحساب.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٢٨﴾ أي: الموحدين منهم. وهذا استثناء منقطع من مثبت.

وقوله: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٢٩﴾ أي: ثناء جميلًا.

❁ ❁ ❁

(٣١٧) أحمر أسود

ذكر نبي الله لوط عليه السلام

قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٣ إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ١٣٤ إِلَّا عَجُوزًا فِي
ٱلۡغَٰبِرِينَ ١٣٥ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ١٣٦ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧
وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٣٨﴾ [الصافات: ١٣٣-١٣٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلۡغَٰبِرِينَ -مُّصۡبِحِينَ -أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلۡغَٰبِرِينَ)	الباقين في العذاب ـ الهالكين
(مُّصۡبِحِينَ)	في الصباح
(أَفَلَا تَعۡقِلُونَ)	أفلا تتفكرون وتتأملون وتعتبرون وتتدبرون

❁ ❁ ❁

س: وضـــح معنـــى الآيــــات المباركـــة: (وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٣﴾...أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - وإن نبي الله لوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لمرسلٌ من المرسلين أرسلناهم لهداية الخلق ودعوتهم إلى التوحيد إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة الطواغيت، وكذا لنهي قومه عن الفواحش التي كانوا يرتكبونها وهي إتيان الذكران من العالمين، فكذَّبوه واستخفوا به وراودوه عن ضيفه، ولكن سلمه الله وحفظه ونجاه، فلقد أمر بالخروج من البلاد ليلًا ومن آمن به من أهله فخرجوا وسلمهم الله ونجاهم ولكن امرأته بقيت مع القوم في العذاب، وأرسلت على القوم حجارة من سجيل منضود، فدمرتهم كما تقدم في عدة مواطن ثم يُلفت نظر المشركين المكذبين من أهل مكة بقوله تعالى: وإنكم يا أهل مكة لتمرون على ديار قوم لوط ومدائنهم التي دمرها الله وأبقى آثارها للاستدلال بذلك على عاقبة الظلم وكتذكرة لمن يخشى، إنكم يا أهل مكة لتمرون عليهم صباحًا وليلًا وأنتم مسافرون، فهي

في طريقكم إلى بلاد الشام، فأثناء رحلتكم إلى الشام ترونها أفلا تتفكرون وتتدبرون؟!!

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإن لوطًا المرسل من المرسلين.

﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ١٣٤﴾ يقول: إذ نجينا لوطًا وأهله أجمعين من العذاب الذي أحللناه بقومه، فأهلكناهم به. ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ١٣٥﴾ يقول: إلا عجوزا في الباقين، وهي امرأة لوط.

وقوله: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ١٣٦﴾ يقول: ثم قذفناهم بالحجارة من فوقهم، فأهلكناهم بذلك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٣٨﴾.

يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: وإنكم لتمرون على قوم لوط الذين دمرناهم عند إصباحكم نهارًا وبالليل.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ١٣٧﴾ قالوا: نعم والله صباحا ومساء يطئونها وطئًا، من أخذ من المدينة إلى الشام، أخذ على سدوم قرية قوم لوط.

وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٣٨﴾ يقول: أفليس لكم عقول تتدبرون بها وتتفكرون، فتعلمون أن من سلك من عباد الله في الكفر به، وتكذيب رسله، مسلك هؤلاء الذين وصف صفتهم من قوم لوط، نازل بهم من

عقوبة الله، مثل الذي نزل بهم على كفرهم بالله، وتكذيب رسوله، فيزجركم ذلك عما أنتم عليه من الشرك بالله، وتكذيب محمد عليه الصلاة والسلام.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه بعثه إلى قومه فكذبوه، فنجاه الله من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فإنها هلكت مع من هلك من قومها، فإن الله تعالى أهلكهم بأنواع من العقوبات، وجعل محلتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح، وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المسافرون ليلًا ونهارًا؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٣٨﴾ أي: أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها؟

❁ ❁ ❁

ترك آثارٍ للظالمين وبقايا يستدل بها على الانتقام من كل ظالم

س: كثيرًا ما يترك للظالمين آثارٌ يستدل بها على إهلاكهم، وعلى قدرة الله على كل ظالم. اذكر بعض ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن فرعون: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ **[يونس: ٩٢]**

وقوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝٤٥﴾ **[الحج: ٤٥]**.

وقوله تعالى في شأن سفينة نوح: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥].

قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان).

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ فقوله: ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾، فيه تهديد عظيم لمن يعمل عمل قوم لوط من الكفر وتكذيب نبيهم، وفواحشهم المعروفة، وقد وبخ تعالى من لم يعتبر بهم، ولم يحذر أن ينزل به مثل ما نزل بهم، كقوله في قوم لوط: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾.

وقوله فيهم: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥].

وقوله فيهم: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الحجر: ٧٦]. وقوله فيهم وفي قوم شعيب ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ [الحجر: ٧٩]، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

❁ ❁ ❁

ذكر نبي اللّه يونس عليه السلام

قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ١٤١ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ١٤٢ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ
١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٤٤ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ١٤٥
وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ١٤٦ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ
١٤٧ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ١٤٨﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤٨]

(٣٢٣) أحمر أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَبَقَ –ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ – فَسَاهَمَ –ٱلْمُدْحَضِينَ – فَٱلْتَقَمَهُ –وَهُوَ مُلِيمٌ –ٱلْمُسَبِّحِينَ – لَلَبِثَ –يَوْمِ يُبْعَثُونَ –فَنَبَذْنَٰهُ –بِٱلْعَرَآءِ –سَقِيمٌ –يَقْطِينٍ –إِلَىٰ حِينٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(أَبَقَ)	فرَّ - خرج عن غير إذنٍ من الله له بالخروج تباعد
(ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ)	السفينة العظيمة الممتلئة بالبضائع و الناس
(فَسَاهَمَ)	فقارع (أجرى قرعة مع غيره)
(ٱلْمُدْحَضِينَ)	المغلوبين (الذين) جاءت القرعة عليهم لا لهم)
(فَٱلْتَقَمَهُ)	ابتلعه
(وَهُوَ مُلِيمٌ)	و هو مذنب - مكتسب أعمالًا يُلام عليها
(ٱلْمُسَبِّحِينَ)	المُصلين - القائلين (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)
(لَلَبِثَ)	لمكث
(يَوْمِ يُبْعَثُونَ)	يوم يبعثون أحياءً من قبورهم يوم القيامة
(فَنَبَذْنَٰهُ)	قذفناه
(بِٱلْعَرَآءِ)	بالأرض الفضاء
(سَقِيمٌ)	عليل - مريض - ضعيف

﴿يَقۡطِينٖ﴾	قيل اليقطين الدباء (القرع) وقيل: كل نبات ينبت على الأرض وليس له ساق
﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾	إلى يوم مماتهم ووفاتهم - إلى انقضاء آجالهم

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾﴾.

ج: حاصل المعنى - والله أعلم - أن الله ﷻ يخبر عن نبيه الكريم يونس ابن متى عليه السلام، فيقول: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ الذي أرسلناهم لهداية الناس وأوحينا إليهم أنه لا إله إلا أنا فاعبدون، وأمرناهم بتبليغ ذلك للخلق.

ثمَّ يذكرنا الله ﷻ بشيء من أمره، فيقول: ﴿إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ واذكره إذ خرج من بلاده (نينوي) عن غير إذنٍ من الله له بالخروج، فركب السفينة المليئة الموقرة، فلعبت بهم الأمواج وأشرفوا على الغرق والهلاك فألقوا أمتعتهم لتخفيف أحمال السفينة ولم يُجد ذلك بشيء، فاستهموا على إلقاء واحد منهم، واقترعوا على ذلك فوقعت القرعة على يونس ﷺ، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ أي: كان من المغلوبين الذين لم تأت القرعة في صالحهم، بل وقعت القرعة عليه كي يُلقى في البحر، فألقى فيه فجاء حوت عظيم هائل فابتلعه ولم يُصبه بضررٍ مع أنه كان مُليمًا عليه السلام، أي أنه كان مُذنبًا

لخروجه من بلدته عن غير إذنٍ من ربّه ﷻ، ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ لولا أنه كان من المصلين في وقت رخائه وعافيته قبل البلاء ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ﴾ في بطن الحوت ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ إلى يوم بعث الموتى من قبورهم أحياء، وذلك إلى يوم القيامة.

فقوله: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ ويستفاد منه أن أعمال البر في وقت الرخاء تنفع عند حلول الشدائد، فالمسبحين هم المصلون والمتنفلون.

وقيل: لولا أنه قال في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾.

فمن فضل الله عليه أن الله ﷻ ألهم الحوت أن يتجه إلى الشاطئ ويقذف يونس عليه السلام، فقذف يونس عليه السلام على الشاطئ في الفضاء هناك حيث لا شيء يكِنُّهُ ولا يُظلُّهُ، فمنَّ الله عليه بإنبات شجرة من يقطين عليه يستدفئ بها وقد قيل في اليقطين: إنه القرع.

وقيل: إنه كل نبت لا ساق له.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وإن يونس لمرسل من المرسلين إلى أقوامهم ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ يقول: حين فر إلى الفلك، وهو السفينة، المشحون: وهو المملوء من الحمولة الموقر.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ كنا نحدث أنه الموقر من الفلك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: ﴿ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝١٤٠﴾ قال: الموقر. وقوله: ﴿فَسَاهَمَ﴾ يقول: فقارع.

وأورد بإسنادٍ حسن[1] عن قتادة: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ۝١٤١﴾ قال: فاحتبست السفينة، فعلم القوم أنما احتبست من حدث أحدثوه، فتساهموا، فقرع يونس، فرمى بنفسه، فالتقمه الحوت.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: ﴿فَسَاهَمَ﴾ قال: قارع.

وقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ۝١٤١﴾ يعني: فكان من المسهومين المغلوبين، يقال منه: أدحض الله حجة فلان فدحضت: أي أبطلها فبطلت، والدحض: أصله الزلق في الماء والطين، وقد ذكر عنهم: دحض الله حجته، وهي قليلة.

وقوله: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ يقول: فابتلعه الحوت؛ وهو افتعل من اللقم. وقوله: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ ۝١٤٢﴾ يقول: وهو مكتسب اللوم، يقال: قد ألام الرجل، إذا أتى ما يلام عليه من الأمر وإن لم يلم، كما يقال: أصبحت محمقا معطشا: أي عندك الحمق والعطش؛ ومنه قول لبيد:

سفها عذلت ولمت غير مليم ... وهداك قبل اليوم غير حكيم

فأما الملوم فهو الذي يلام باللسان، ويعذل بالقول.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ ۝١٤٢﴾: أي في صنعه.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: وهو مذنب، قال: والمليم: المذنب.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) وهناك آثارٌ أوردها الطبري تشهد لنفس المعنى تركتها عن عمدٍ لضعف أسانيدها.

يقول تعالى ذكره: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ﴾ يعني يونس ﴿كَانَ مِنَ﴾ المصلين لله قبل البلاء الذي ابتلي به من العقوبة بالحبس في بطن الحوت ﴿لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤﴾ يقول: لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة، يوم يبعث الله فيه خلقه محبوسا، ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء، فذكره الله في حال البلاء، فأنقذه ونجاه.

وقد اختلف أهل التأويل في وقت تسبيح يونس الذي ذكره الله به، فقال: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾ فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك، وقالوا مثل قولنا في معنى قوله: ﴿مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾ كان كثير الصلاة في الرخاء، فنجاه الله بذلك؛ قال: وقد كان يقال في الحكمة: إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا ما عثر، فإذا صرع وجد متكئًا.

وأورد أيضًا بإسنادٍ صحيح إلى عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾ قال: من المصلين.

وقيل: إنما أحدث الصلاة التي أخبر الله عنه بها، فقال: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾ في بطن الحوت.

وقال بعضهم: كان ذلك تسبيحًا، لا صلاة.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن عمران القطان، قال: سمعت الحسن يقول في قوله: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾ قال: فوالله ما كانت إلا صلاة أحدثها في بطن الحوت؛ قال عمران: فذكرت ذلك لقتادة، فأنكر ذلك وقال: كان والله يكثر الصلاة في الرخاء.

وأورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤﴾ لصار له بطن الحوت قبرًا إلى يوم القيامة.

قال الطبري:

وقوله: ﴿فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ يقول: فقذفناه بالفضاء من الأرض، حيث لا يواريه شيء من شجر ولا غيره؛ ومنه قول الشاعر:

ورفعت رجلا لا أخاف عثارها ... ونبذت بالبلد العراء ثيابي

يعني بالبلد: الفضاء.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ بأرض ليس فيها شيء ولا نبات.

قال الطبري: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ ۝١٤٥﴾: وهو كالصبي المنفوس: لحم نيء.

قال:

وقوله: ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝١٤٦﴾ يقول تعالى ذكره: وأنبتنا على يونس شجرة من الشجر التي لا تقوم على ساق، وكل شجرة لا تقوم على ساق كالدباء والبطيخ والحنظل ونحو ذلك، فهي عند العرب يقطين.

وأورد بسندٍ صحيح عن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ﴿شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝١٤٦﴾ فقالوا عنده: القرع؛ قال: وما يجعله أحق من البطيخ.

وأورد بسندٍ صحيح عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝١٤٦﴾ قال: كل شيء ينبت ثم يموت من عامه.

قال الطبري:

وقال آخرون: هو القرع.

وأورد بسندٍ صحيح عن عبد الله (هو ابن مسعود): ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦﴾ قال: القرع، وأورد الطبري عدة آثار بذلك.

وقال:

وقال آخرون: كان اليقطين شجرة أظلَّت يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ**:**

وقوله: ﴿إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١٤٠﴾ قال ابن عباس: هو الموقر، أي: المملوء بالأمتعة.

﴿فَسَاهَمَ﴾ أي: قارع ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ١٤١﴾ أي: المغلوبين. وذلك أن السفينة تَلَعَّبَت بها الأمواج من كل جانب، وأشرفوا على الغرق، فتساهموا على من تقع عليه القرعة يلقى في البحر، لتخف بهم السفينة، فوقعت القرعة على نبي الله يونس، عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات، وهم يضنون به أن يلقى من بينهم، فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يأبون عليه ذلك.

وأمر الله تعالى حوتًا من البحر الأخضر أن يشق البحار [(١)]، وأن يلتقم، يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلا يَهْشِمُ له لحما، ولا يكسر له عظمًا. فجاء ذلك الحوت وألقى يونس، عَلَيْهِ السَّلَامُ، نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها. ولما استقر يونس في بطن الحوت، حسب أنه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حي، فقام يصلي في بطن الحوت.

---

(١) وهذه التفصيلات التي أوردها الحافظ ابن كثير لا مستند لها من كتاب الله ﷻ، ولا عن رسوله ﷺ فيما صح عنه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن عباس، وسعيد بن جُبَيْر، والضحاك، وعطاء بن السائب، والسدي، والحسن، وقتادة: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾ يعني: المصلين.

وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك. وقال بعضهم: كان من المسبحين في جوف أبويه. وقيل: المراد: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾ هو قوله: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ **[الأنبياء:٨٧، ٨٨]** قاله سعيد بن جبير وغيره.

❁ ❁ ❁

فضل صنائع المعروف وقت العافية والرخاء

س: صنائع المعروف في أوقات الرخاء تنفع الشخص عند حلول الشدائد. دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤﴾.

وقد قال كثيرٌ من أهل العلم في تفسيرها، فلولا أنه كان من المصلين في وقت عافيته قبل حلول البلاء به، للبث في بطن الحوت إلى يوم القيامة.

ومنها حديث الثلاثة الذين انطبقت على فم غارهم صخرة، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، وها هو الحديث بذلك.

وفي الحديث[(١)]: «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**».

❀ ❀ ❀

س: هل ورد عن رسول الله ﷺ شيءٌ في الدُّباء (التي هي القرع)؟

ج: نعم قد ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يحب الدباء، بل وكان يأكل منها ويتتبعها من أطراف القصعة.

ففي الصحيحين[(٢)] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إِنَّ خَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) حسن بمجموع طرقه وشواهده: أخرجه عبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (٦٣٥)، وانظر مسند أحمد (١/٢٩٣ و ٣٠٧)، والحاكم في المستدرك (٦٣٠٣)، والطبراني في الكبير (١١٠٨٠) وغيرها.

(٢) البخاري (٢٠٩٢)، ومسلم (٢٠٤١).

إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُبْزًا من شعير وَمَرَقًا فِيهِ دُبَّاءٌ وَقَدِيدٌ، قال أنس: فَرَأَيْتُ رسول الله ﷺ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالَيِ الصحفة - قَالَ - فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ منذ يَوْمِئِذٍ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وذكر بعضهم في القرع فوائد، منها: سرعة نباته، وتظليلُ ورقه لكبره، ونعومته، وأنه لا يقربها الذباب، وجودة أغذية ثمره، وأنه يؤكل نيئا ومطبوخا بلبه وقشره أيضا. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يُحِبّ الدُّبَّاء، ويتتبعه من حَوَاشِي الصَّحْفَة.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: (وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾) متى كان هذا الإرسال، هل قبل أن يبتلعه الحوت أم بعد نجاته؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدها: أن ذلك بعد أن أخرج من بطن الحوت أرسله الله رسولًا إلى قومه مرة ثانية يدعوهم فآمنوا كلهم أجمعون.

الثاني: أن ذلك كان قبل أن يلقى في البحر ويلتقمه الحوت، وإيمانهم كان بعد خروجه من عندهم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قلت: ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولا أمر بالعود إليهم بعد خروجه من الحوت، فصدقوه كلهم وآمنوا به. وحكى البغوي أنه أرسل إلى أمة أخرى بعد خروجه من الحوت، كانوا مائة ألف أو يزيدون.

❁ ❁ ❁

س: قطعًا فإننا ـ والحمد لله ـ نوقن ونعلم بأن الله يعلم عدد الذين أرسل إليهم يونس عليه السلام. فما وجه قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧﴾.

ج: لأهل العلم أقوال:

أحدها: أن أو هنا بمعنى بل، والمراد وأرسلنا إلى قوم إذا نظر إليهم الناظر قال مُقرِّبًا إنهم مائة ألف كما يقول الشخص مستكثرًا جئتك ألف مرة ولكنهم في الحقيقة يزيدون على المائة ألف.

الثاني: أن من الناظرين من إذا نظر إليهم اعتبرهم مائة ألف، والحقيقة أنهم أكثر من ذلك.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فأرسلنا يونس إلى مائة ألف من الناس، أو يزيدون على مائة ألف. وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول: معنى قوله: ﴿أَوۡ﴾: بل يزيدون.

وقال:

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك: معناه إلى مائة ألف أو كانوا يزيدون عندكم، يقول: كذلك كانوا عندكم.

وإنما عنى بقوله: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧﴾ أنه أرسله إلى قومه الذين وعدهم العذاب، فلما أظلهم تابوا، فكشف الله عنهم. وقيل: إنهم أهل نينوى.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧﴾ أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل، قال: قال الحسن: بعثه الله قبل

أن يصيبه ما أصابه ﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ١٤٨﴾.

وقيل: إن يونس أرسل إلى أهل نينوى بعد ما نبذه الحوت بالعراء.

وقوله: ﴿فَـَٔامَنُواْ﴾ يقول: فوحدوا الله الذي أرسل إليهم يونس، وصدقوا بحقيقة ما جاءهم به يونس من عند الله.

وقوله: ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ١٤٨﴾ يقول: فأخرنا عنهم العذاب، ومتعناهم إلى حين بحياتهم إلى بلوغ آجالهم من الموت.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهكذا سلك ابن جرير هاهنا ما سلكه عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة:٧٤]، وقوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء:٧٧]، وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ٩﴾ [النجم:٩] أن المراد ليس أنقص من ذلك، بل أزيد.

وقوله: ﴿فَـَٔامَنُواْ﴾ أي: فآمن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، جميعهم. ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ١٤٨﴾ أي: إلى وقت آجالهم، كقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ٩٨﴾ [يونس:٩٨].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ ١٤٧﴾ قد مضى في (البقرة) محامل (أَوْ) في قوله تعالى: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] وقال الفراء: (أَوْ) بمعنى بل وقال غيره إنها بمعنى الواو ومنه قول الشاعر:

فلما اشتد أمر الحرب فينا ... تأملنا رياحا أو رزاما

أي: ورزامًا وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ

أَقۡرَبُۚ﴾ [النحل: ٧٧] وقرأ جعفر بن محمد (**إلى مائة ألف ويزيدون**) بغير همز فـ(يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾) في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ محذوف أي وهم يزيدون النحاس: ولا يصح هذان القولان عند البصريين وأنكروا كون (أَوۡ) بمعنى بل وبمعنى الواو لأن بل للإضراب عن الأول والإيجاب لما بعده وتعالى الله عز و جل عن ذلك أو خروج من شيء إلى شيء وليس هذا موضع ذلك والواو معناه خلاف معنى ﴿أَوۡ﴾ فلو كان أحدهما بمعنى الآخر لبطلت المعاني ولو جاز ذلك لكان وأرسلناه إلى أكثر من مائتي ألف أخصر وقال المبرد: المعنى وأرسلناه إلى جماعة لو رأيتموهم لقلتم هم مائة ألف أو أكثر وإنما خوطب العباد على ما يعرفون وقيل: هو كما تقول: جاءني زيد أو عمرو وأنت تعرف من جاءك منهما إلا أنك أبهمت على المخاطب وقال الأخفش والزجاج: أي أو يزيدون في تقديركم.

قال ابن عباس: زادوا على مائة ألف عشرين ألفًا.

❁ ❁ ❁

الإنكار على أهل الكفر القائلين بأن الملائكة بنات الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرًا

قال الله تعالى:

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ (١٥٠) أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ ٱللَّهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤)
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٥٧)
وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ
عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (١٦٠) فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ
بِفَٰتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ (١٦٣) ﴾ [الصافات: ١٤٩-١٦٣]

س: وضح معنى ما يلي:

(فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ –شَٰهِدُونَ –إِفۡكِهِمۡ – أَصۡطَفَى –أَفَلَا تَذَكَّرُونَ –سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ – فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ –ٱلۡجِنَّةِ –لَمُحۡضَرُونَ – سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ –بِفَٰتِنِينَ –صَالِ ٱلۡجَحِيمِ).

ج:

الكلمة	معناها
(فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ)	سلهم
(شَٰهِدُونَ)	حاضرون - شهودٌ ترون بأعينكم
(إِفۡكِهِمۡ)	كذبهم، والإفك أسوأ الكذب
(أَصۡطَفَى)	أختار
(أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)	أفلا تتعظون وتنزجرون
(سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ)	حجة موضحة أن ما تقولون حق
(فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ)	كتابٌ تنقلون منه ما تقولون والمراد: إن كان عندكم كتاب من عند الله فيه أن الله جعل الملائكة إناثًا واصطفاهم لنفسه فأتوا به
(ٱلۡجِنَّةِ)	قيل: الملائكة، وقيل: الجنة، قيل: قرابة، وقيل: مصاهرةً
(لَمُحۡضَرُونَ)	لمحاسبون - لمعذبون
(سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ)	تنزّه الله
(بِفَٰتِنِينَ)	بمضلين - بصارفين أحدًا من الهداية للضلالة
(صَالِ ٱلۡجَحِيمِ)	من كتب الله عليه أنه سيصلى الجحيم أي: سيدخل النار

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ١٤٩ ﴾. وكيف أمر النبي ﷺ أن يستفتيهم وهم كفار؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - فسلهم يا رسول الله - سل هؤلاء المشركين، كيف قسمتم هذه القسمة فجعلتم البنات لله واخترتم الذكور لأنفسكم، وهذه كقوله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢ ﴾ [النجم: ٢١-٢٢].

وكما قال تعالى: ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ٥٧ ﴾ [النحل: ٥٧].

فأهل الشرك وصفوا الملائكة بأنهم بنات الله، وصفوهم بأنهم إناث، قال تعالى: وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويُسألون.

ثم إن أهل الشرك، وبعد أن وصفوا الملائكة بأنهم إناث عبدوهم من دون الله ﷻ كما صدر عن بعض قبائل العرب وغيرهم كخزاعة وغيرها.

أمَّا كيف أُمر النبي ﷺ أن يسألهم؛ فهذا السؤال الصادر من رسول الله ﷺ لهم لتوبيخهم وتأنيبهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: سل يا محمد مشركي قومك من قريش.

وقال:

وقوله: ﴿ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ١٤٩ ﴾: ذكر أن مشركي قريش كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، وكانوا يعبدونها، فقال الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: سلهم، وقل لهم: ألربي البنات ولكم البنون؟

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ۝١٤٩﴾ لأنهم قالوا- يعني مشركي قريش - لله البنات ولهم البنون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي قال: كانوا يعبدون الملائكة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منكرًا على هؤلاء المشركين في جعلهم لله البنات، سبحانه، ولهم ما يشتهون، أي: من الذكور، أي: يَودّون لأنفسهم الجيد. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾ **[النحل:٥٨]** أي: يسوءه ذلك، ولا يختار لنفسه إلا البنين. يقول تعالى: فكيف نسبوا إلى الله تعالى القسم الذي لا يختارونه لأنفسهم؟ ولهذا قال: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ أي: سلهم على سبيل الإنكار عليهم: ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ۝١٤٩﴾ كقوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾ **[النجم:٢١-٢٢]**.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ۝١٤٩﴾ لما ذكر أخبار الماضين تسلية للنبي ﷺ احتج على كفار قريش في قولهم: إن الملائكة بنات الله فقال: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ وهو معطوف على مثله في أول السورة وإن تباعدت بينهم المسافة أي فسل يا محمد أهل مكة ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ﴾ وذلك أن جهينة وخزاعة وبني مليح وبني سلمة وعبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله وهذا سؤال توبيخ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ

﴾١٥٠﴿.

ج: المعنى - والله أعلم - سل يا رسول الله هل خلقنا الملائكة إناثًا وأهل الشرك هؤلاء كانوا يروننا ويطلعون علينا عند خلق الملائكة، فمن ثم وصفوهم بأنهم إناث؟!!

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره: أم شهد هؤلاء القائلون من المشركين: الملائكة بنات الله خلقي الملائكة وأنا أخلقهم إناثا، فشهدوا هذه الشهادة، ووصفوا الملائكة بأنها إناث.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ أي: كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم؟ كقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف:١٩] أي: يسألون عن ذلك يوم القيامة.

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل الشرك هؤلاء من شدة كذبهم وافترائهم، افتروا على الله الكذب وقالوا وَلَدَ اللهُ، فكذَّبهم الله في ذلك، وهم الكاذبون، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾، وكذَّبهم الله في آيات أخر، فقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤]، وقال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ

يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا...﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال تعالى: ﴿... وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف: ٤-٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا إن هؤلاء المشركين من كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ في قيلهم ذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ ﴾ أي: من كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ أي: صدر منه الولد ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ فذكر الله عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب، فأولًا جعلوهم بنات الله، فجعلوا لله ولدًا. وجعلوا ذلك الولد أنثى، ثم عبدوهم من دون الله. وكل منها كافٍ في التخليد في نار جهنم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - ويحكم، أو ويلكم يا أهل الشرك، أقد اختار الله ﷻ لنفسه البنات، وخصَّكم أنتم بالبنين ما الذي حدث لعقولكم حتى تصدروا هذا الحكم أفلا تنزجرون وتتركون هذا الباطل الذي أنتم فيه ألكم

حجة بيِّنة تكون لكم عذرًا عند ربكم تحتجون بها على ما ذكرتموه، فإن كانت لكم حجة من كتاب من عند الله نزل فيه أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله، فأتوا بهذا الكتاب؟؟

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: موبخًا هؤلاء القائلين لله البنات من مشركي قريش: ﴿أَصۡطَفَى﴾ الله أيها القوم ﴿ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣﴾؟ والعرب إذا وجهوا الاستفهام إلى التوبيخ أثبتوا ألف الاستفهام أحيانا وطرحوها أحيانا، كما قيل: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ﴾ بالقصر ﴿طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا﴾ **[الأحقاف: ٢٠]** يستفهم بها، ولا يستفهم بها، والمعنى في الحالين واحد، وإذا لم يستفهم في قوله: ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ﴾ ذهبت ألف اصطفى في الوصل، ويبتدأ بها بالكسر، وإذا استفهم فتحت وقطعت.

وقد ذكر عن بعض أهل المدينة أنه قرأ ذلك بترك الاستفهام والوصل. فأما قراء الكوفة والبصرة، فإنهم في ذلك على قراءته بالاستفهام، وفتح ألفه في الأحوال كلها، وهي القراءة التي نختار لإجماع الحجة من القراء عليها.

وقوله: ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ١٥٤﴾ يقول: بئس الحكم تحكمون أيها القوم أن يكون لله البنات ولكم البنون، وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم، فتجعلون له ما لا ترضونه لأنفسكم؟

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ١٥٤﴾ يقول: كيف يجعل لكم البنين ولنفسه البنات، ما لكم

كيف تحكمون؟

وقوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ يقول: أفلا تتدبرون ما تقولون؟ فتعرفوا خطأه فتنتهوا عن قيله.

وقوله: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ يقول: ألكم حجة تبين صحتها لمن سمعها بحقيقة ما تقولون؟

وقوله: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ يقول: فأتوا بحجتكم من كتاب جاءكم من عند الله بأن الذي تقولون من أن له البنات ولكم البنين كما تقولون.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال منكرًا عليهم: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ أي: أيّ شيء يحمله على أن يختار البنات دون البنين؟ كقوله: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ **[الإسراء: ٤٠]**؛ ولهذا قال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ أي: ما لكم عقول تتدبرون بها ما تقولون؟.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ أي: حجة على ما تقولونه.

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ أي: هاتوا برهانًا على ذلك يكون مستندًا إلى كتاب مُنزل من السماء عن الله: أنه اتخذ ما تقولونه، فإن ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل، بل لا يُجَوِّزُه العقل بالكلية.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالجنة؟

ج: لأهل العلم قولان في ذلك:

أحدهما: أنها الجنة.

الثاني: أنها الملائكة.

❁ ❁ ❁

س: كيف جعلوا بين الله ﷻ وتعالى عما يصفه المشركون، كيف جعلوا بينه وبين الجنة نسبًا؟

ج: لأهل العلم في إيضاح ذلك وجوه:

أحدها: أن أهل الشرك زعموا أن الله ﷻ وإبليس لعنه الله أخوان.

ذكره الطبري، ونقله بسندٍ ضعيف عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الثاني: أن أهل الشرك زعموا أن الله ﷻ خطب إلى سادات الجن، أي: إلى كبراء الجنة والسادة فيهم فزوجوه من سرواتهم، فولدت سرواتُ الجن الملائكة.

تعالى الله عن كل ذلك علوًّا كبيرًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

ج: الظاهر ـ والله أعلم ـ أن المراد: ولقد علمت الجنة (سواء اخترنا أنها الملائكة أم الجنة) إنهم لمحضرون يوم القيامة للحساب.

أما على القول بأن الجنّة: الشياطين فيكون قوله: ﴿لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ يحتمل معنى آخر، وهو لمحضرون في العذاب يوم القيامة، والله أعلم.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إنهم لمحضرون العذاب، لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة، إنما عني به الإحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع.

قلت (مصطفى): هذا متعلق بالجنة الذين افتروا على الله الكذب وتقوَّلوا على الله ﷻ بالباطل.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ تنزَّه ربنا رب العزة عما يصفه به هؤلاء المشركون، سواء الذين جعلوا له شريكًا في ملكه أم الذين ادعوا له الولد أم الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، أو الذين قالوا: إن الله ﷻ خطب إلى الجن فزوجوه من سرواتهم، أو غير هؤلاء، تعالى الله علوًّا كبيرًا وتمجد وتقدس عن كل هذا الذي يصفه به الواصفون الظالمون المشركون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩﴾ يقول تعالى ذكره تنزيهًا لله، وتبرئة له مما يضيف إليه هؤلاء المشركون به، ويفترون عليه، ويصفونه، من أن له بنات، وأن له صاحبة.

❁ ❁ ❁

س: من أي شيء حدث الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٠﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه بمعنى أن عباد الله المخلصين لا يصفون الله بتلك الأوصاف التي لا تليق به.

الثاني: أن عباد الله المخلصين لا يحضرون العذاب ولا يشهدونه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٠﴾ يقول: ولقد علمت الجنة أن الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله لمحضرون العذاب، إلا عباد الله الذين أخلصهم لرحمته، وخلقهم لجنته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٠﴾ استثناء منقطع، وهو من مثبت، إلا أن يكون الضمير في قوله: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩﴾ عائدًا إلى جميع الناس ثم استثنى منهم المخلصين، وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبي ومرسل.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٠﴾ فإنهم ناجون من النار.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ١٥٨ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٠﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وجعل أهل الشرك والكفر والضلال بين الله ﷻ وبين الجن نسبًا، فقالوا: إن الله ﷻ خطب من الجن فزوجوه، وولدت له الجنُّ الملائكة، وقال بعض أهل الغيِّ والضلال: إن الله والشيطان أخوان، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قالوا ذلك عن الجن، الجن منهم من آمن وعلم أنه مجموع ليوم القيامة للحساب.

ومنهم من هو كافر ويعلم أنه محضرٌ في العذاب يوم القيامة.

تنزه الله عما يقوله أهل الظلم علوًّا كبيرًا، وعما يصفونه به من أوصاف باطلة.

لكن عباد الله المخلصين الذين أخلصهم الله واصطفاهم قد وصفوه

بجميل الأوصاف التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ، فهؤلاء ناجون من النار وسالمون من العذاب بإذن الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - فإنكم يا أهل الشرك وآلهتكم التي تعبدونها من دون الله ﷻ لن تستطيعوا فتنة أحدٍ ولا صرفه ولا تحويله عن الإيمان إلى الكفر، إلا من سبق في علم الله أنه من أهل الشقاوة وقضى الله عليه بها، والعياذ بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿فَإِنَّكُمْ﴾ أيها المشركون بالله ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾﴾ من الآلهة والأوثان ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ يقول: ما أنتم على ما تعبدون من دون الله بفاتنين: أي بمضلين أحدًا ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ يقول: إلا أحدا سبق في علمي أنه صال الجحيم.

وقد قيل: إن معنى ﴿عَلَيْهِ﴾ في قوله: ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ بمعنى به.

وأورد الطبري عدة آثار حول هذا المعنى منها صحيح الإسناد، ومنها ما هو ضعيف.

ومما أورد قول إبراهيم النخعي بإسنادٍ صحيح عنه: ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ إلا من قدّر عليه أنه يصلى الجحيم.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾﴾ حتى بلغ: ﴿صَالِ الْجَحِيمِ

﴿١٦٣﴾ يقول: ما أنتم بمضلين أحدًا من عبادي بباطلكم هذا، إلا من تولاكم بعمل النار.

وبإسنادٍ حسن عن السدي: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢﴾ بمضلين ﴿إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ١٦٣﴾ إلا من كتب الله أنه يصلى الجحيم.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ١٦١ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ١٦٣﴾ يقول: لا تفتنون به أحدًا، ولا تضلونه، إلا من قضى الله أنه صال الجحيم، إلا من قد قضى أنه من أهل النار.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ١٦١﴾ (ما) بمعنى الذي وقيل: بمعنى المصدر أي فإنكم وعبادتكم لهذه الأصنام وقيل: أي فإنكم مع ما تعبدون من دون الله يقال: جاء فلان وفلان وجاء فلان مع فلان ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي على الله ﴿بِفَٰتِنِينَ ١٦٢﴾ بمضلين. النحاس: أهل التفسير مجمعون فيما علمت على أن المعنى ما أنتم بمضلين أحدًا إلا من قدر الله عز و جل عليه أن يضل وقال الشاعر:

فــــرد بنعمتـــــه كيـــــده عليـــه وكـــان لنـــا فاتنـــا

أي: مضلًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخاطبًا للمشركين: ﴿فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ١٦١ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ١٦٣﴾ أي: ما ينقاد لمقالكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة إلا من هو أضل منكم ممن ذُري للنار. ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾

[الأعراف:١٧٩]. فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات:٨، ٩] أي: إنما يضل به من هو مأفوك ومبطل.

❋ ❋ ❋

قال الله تعالى:

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ١٦٤ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ١٦٦
وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ١٦٧ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ
١٦٩ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ١٧٠ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ
لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ١٧٤ وَأَبۡصِرۡهُمۡ
فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ١٧٥ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ١٧٦ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ
ٱلۡمُنذَرِينَ ١٧٧ وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ١٧٨ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ١٧٩ سُبۡحَٰنَ
رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات: ١٦٤-١٨٢]

(٣٥١) أحمر أسود

س: وضح معنى ما يلي:

(مَقَامٌ مَّعْلُومٌ -ٱلصَّآفُّونَ -ٱلْمُسَبِّحُونَ-ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ -ٱلْمُخْلَصِينَ - فَتَوَلَّ عَنْهُمْ -حِينٍ- وَأَبْصِرْهُمْ - يُبْصِرُونَ - بِسَاحَتِهِمْ -فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ-رَبِّ ٱلْعِزَّةِ -وَسَلَٰمٌ).

ج:

الكلمة	معناها
(مَقَامٌ مَّعْلُومٌ)	مكان ومقام لا يتجاوزه أو مكان يعبد فيه ربَّه ﷻ
(ٱلصَّآفُّونَ)	الذين يقفون صفوفًا (في صلاتهم وغيرها)
(ٱلْمُسَبِّحُونَ)	الذين يصلون - الذين يقولون سبحان الله
(ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ)	كتابًا من عند الله كالذي أوتاه من قبلنا من اليهود
(ٱلْمُخْلَصِينَ)	الذين أخلصهم الله واصطفاهم المصطفين
(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ)	فأعرض عنهم
(حِينٍ)	وقت - قيل: مجيء الموت - وقيل: العذاب يوم القيامة - وقيل: حتى يقضي الله فيه بأمر
(وَأَبْصِرْهُمْ)	انتظرهم
(يُبْصِرُونَ)	يرون (ما يحلُّ بهم)
(بِسَاحَتِهِمْ)	بديارهم
﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾	بئس الصباح صباح هؤلاء الذين أنذرتهم رسلهم فلم يستجيبوا
(رَبِّ ٱلْعِزَّةِ)	صاحب العزة، صاحب القوة والغلبة والبطش

(وَسَلَٰمٌ)	أمانٌ من الله

س: وضح معنى الآيات المباركات: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

ج: هذه قولة تقولها الملائكة عليهم سلام الله، يقولون: وما منا من ملك إلا له مقام معلوم يقف فيه لعبادة ربِّه ﷻ، وكذا مقام معلوم يتحرك فيه ويتنقل لا يتجاوزه.

ثم تثني الملائكة، وتصف حالها ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ الذين نقف صفوفًا مستقلة عند ربنا ﷻ للصلاة، ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ المصلون، وكذا الذاكرون الله ﷻ بتسبيحه وتهليله وتمجيده وتكبيره.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ وهذا خبر من الله عن قيل الملائكة أنهم قالوا: وما منا معشر الملائكة إلا من له مقام في السماء معلوم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي قال في قوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ قال: الملائكة.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: الملائكة.

وقال الطبري في تأويل: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل ملائكته: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ لله لعبادته ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ له، يعني بذلك المصلون له.

وأورد الطبري من طريق الضحاك بن مزاحم يقول قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ كان مسروق بن الأجدع، يروي عن عائشة أنها قالت: قال نبي الله ﷺ: «**ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك**

ساجد أو قائم»، فذلك قول الله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ١٦٤ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾.

وأورد الطبري بإسنادٍ أصح عن مسروق عن عبد الله، قال: إن من السماوات سماء ما فيها موضع إلا فيه ملك ساجد، أو قدماه قائم، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾.

وقد يُعلُّ السند الأول من طريق الضحاك عن مسروق بهذا السند الثاني، ويُعلُّ من ثمَّ المرفوع بالموقوف.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥﴾ قال: صفوف في السماء ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾: أي المصلون، هذا قول الملائكة يثنون بمكانهم من العبادة.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن أبي نضرة، قال: كان عمر إذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه، فقال: يا أيها الناس استووا، إن الله إنما يريد بكم هدى الملائكة ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾ استووا، تقدم أنت يا فلان، تأخر أنت أي هذا، فإذا استووا تقدم فكبر.

قلت (مصطفى): ولا يُعرف لأبي نضرة سماع من عمر رضي الله عنه.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم قال تعالى مُنزهًا للملائكة مما نَسَبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ١٦٤﴾ أي: له موضع مخصوص في السماوات ومقامات العبادة لا يتجاوزه ولا يتعداه.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في صفوف الملائكة عند ربها.

ج: من ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جَابر بْن سَمُرَةَ(١) **قالَ:** خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَا لِى أَرَاكُمْ رَافِعِى أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ اسْكُنُوا فِى الصَّلاَةِ**». قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حَلَقًا، فَقَالَ: «**مَا لِى أَرَاكُمْ عِزِينَ**». قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «**أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا**». فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «**يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِى الصَّفِّ**».

ومن حديث حذيفة(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاَثٍ جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلاَئِكَةِ وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ**». وَذَكَرَ خَصْلَةً أُخْرَى.

❀ ❀ ❀

س: اذكر بعض الوارد في تسبيح الملائكة.

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ **[الشورى: ٥]**.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ...﴾ **[غافر: ٧]**.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ﴾ **[الزمر: ٧٥]**.

وقول الملائكة عن أنفسهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾ **[الصافات: ١٦٦]**.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ١٦٧ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦٨﴾

(١) مسلم حديث (٤٣٠).
(٢) مسلم (٥٢٢).

﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٦٩ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ١٧٠﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وإن كان أهل الشرك هؤلاء ليقولون قبل مبعث النبي ﷺ إليهم ليقولون: لو أننا أنزلت علينا كتب من عند الله ﷻ كالتي أنزلت على الذين من قبلنا اليهود والنصارى، لكنا عبادًا لله أفضل منهم وأحسن وأشد إخلاصًا لله، فلما جاءهم ذِكرُ أفضل من الذكر الذي سألوه كفروا به أي: فلما جاءهم الرسول ﷺ بما معه من القرآن كفروا به.

فتوعدهم الله بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ١٧٠﴾ أي: عاقبة كفرهم وتكذيبهم، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ١٦٧ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وكان هؤلاء المشركون من قريش يقولون قبل أن يبعث إليهم محمد ﷺ نبيًّا، ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٦٨﴾ يعني كتابًا أنزل من السماء كالتوراة والإنجيل، أو نبي أتانا مثل الذي أتى اليهود والنصارى ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ الذين أخلصهم لعبادته، واصطفاهم لجنته.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ١٦٧ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٦٩﴾ قال: قد قالت هذه الأمة ذاك قبل أن يبعث محمد ﷺ: لو كان عندنا ذكر من الأولين، لكنا عباد الله المخلصين؛ فلما جاءهم محمد ﷺكفروا به، فسوف يعلمون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: ﴿ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٦٨﴾ قال: هؤلاء ناس من مشركي العرب قالوا: لو أن عندنا كتابا من كتب الأولين، أو

جاءنا علم من علم الأولين قال: قد جاءكم محمد بذلك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكَفَرُوا بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝١٧٠﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم الذكر من عند الله كفروا به، وذلك كفرهم بمحمد ﷺ وبما جاءهم به من عند الله من التنزيل والكتاب، يقول الله: فسوف يعلمون إذا وردوا علي ماذا لهم من العذاب بكفرهم بذلك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ۝١٦٧ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝١٦٩﴾ أي: قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله، وما كان من أمر القرون الأولى، ويأتيهم بكتاب الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝٤٢﴾ **[فاطر:٤٢]**، وقال: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَـٰفِلِينَ ۝١٥٦ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ۝١٥٧﴾ **[الأنعام:١٥٦، ١٥٧]**؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿فَكَفَرُوا بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝١٧٠﴾، وعيد أكيد وتهديد شديد، على كفرهم بربهم -سبحانه وتعالى- وتكذيبهم -رسوله ﷺ.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عاد إلى الإخبار عن قول المشركين أي كانوا قبل بعثة محمد ﷺ إذا عيروا بالجهل قالوا: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦٨﴾ أي لو بعث إلينا نبي ببيان الشرائع لاتبعناه ولما خففت (إن) دخلت على الفعل ولزمتها اللام فرقًا بين

النفي والإيجاب والكوفيون يقولون (إن) بمعنى ما واللام بمعنى إلا وقيل: معنى ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾ أي: كتابًا من كتب الأنبياء ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ أي لو جاءنا ذكر كما جاء الأولين لأخلصنا العبادة لله

﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦ﴾ أي بالذكر، والفراء يقدره على حذف أي فجاءهم محمد ﷺ بالذكر فكفروا به وهذا تعجيب منهم أي فقد جاءهم نبي وأنزل عليهم كتاب فيه بيان ما يحتاجون إليه فكفروا وما وفوا بما قالوا: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ قال الزجاج: يعلمون مغبة كفرهم.

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ولقد مضى ما كتبناه على عبادنا، فقد كتبنا في اللوح المحفوظ إذ قدرنا المقادير أن عبادنا المرسلين هم المنصورون بالحجج على من ناوأهم وخالفهم.

وقدرنا فيما قدرنا، أي: العاقبة الحسنة لجنة الله ﷻ فإنهم هم الغالبون، فأعرض يا رسول الله عن هؤلاء المشركين حتى يأتي أمر الله فيهم إما الإذن بقتالهم بعد وقت من الأوقات، وإما بإماتتهم وإما بالانتقام منهم يوم القيامة.

وانتظر ماذا سيحل لهم فسوف يرون ما يحل بهم من العقاب والنكال.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد سبق منا القول لرسلنا إنهم لهم المنصورون: أي مضى بهذا

منا القضاء والحكم في أم الكتاب، وهو أنهم لهم النصرة والغلبة بالحجج.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ حتى بلغ: ﴿لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ قال: سبق هذا من الله لهم أن ينصرهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي، في قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ يقول: بالحجج.

وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين بالسعادة. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (**ولقد سبقت كلمتنا على عبادنا المرسلين**) فجعلت على مكان اللام، فكأن المعنى: حقت عليهم ولهم، كما قيل: على ملك سليمان، وفي ملك سليمان، إذ كان معنى ذلك واحدا.

وقوله: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ يقول: وإن حزبنا وأهل ولايتنا لهم الغالبون، يقول: لهم الظفر والفلاح على أهل الكفر بنا، والخلاف علينا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ أي: تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ **[المجادلة:٢١]**، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ **[غافر:٥١]**؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ أي: في الدنيا والآخرة. كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم، وكيف أهلك الله الكافرين، ونجى عباده المؤمنين.

﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ أي: تكون لهم العاقبة.

وقوله جل وعلا: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٤﴾﴾ أي: اصبر على أذاهم لك، وانتظر إلى وقت مؤجل، فإنا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر؛ ولهذا قال بعضهم: غيَّى ذلك إلى يوم بدر. وما بعدها أيضا في معناها.

وقوله: ﴿وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾ أي: أنظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال على مخالفتك وتكذيبك؛ ولهذا قال على وجه التهديد والوعيد: ﴿فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ﴾ يقول: أنظرهم فسوف يبصرون ما لهم بعد اليوم، قال: يقول: يبصرون يوم القيامة ما ضيعوا من أمر الله، وكفرهم بالله ورسوله وكتابه، قال: فأبصرهم وأبصر، واحد.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالحين في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٤﴾﴾؟

ج: قال بعض العلماء: الحين إلى الموت.

وقال آخرون: حتى يوم بدر.

وقال آخرون: حتى يأذن الله ﷻ لأهل الإيمان في قتال أهل الكفر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٨﴾ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أفيستعجل هؤلاء الكفار عذابنا؟ فهذا شأنهم، شأنهم العذاب كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾

[ص: ١٦]، قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الملك: ٢٥]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧].

فإذا نزل عذابنا بديارهم فبئس الصباح صباحهم، بئس ما يتصبحون به، ليس بصباحِ خيرٍ ولكن بئس الصباح.

فأعرض عنهم يا رسول الله إلى حين يقضي الله فيهم بأمره، وانظر ماذا سيحلُّ بهم فسوف يعلمون حقيقة ما سيحل بهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ يقول: فبنزول عذابنا بهم يستعجلونك يا محمد، وذلك قولهم للنبي ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الملك: ٢٥].

وقوله: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ يقول: فإذا نزل بهؤلاء المشركين المستعجلين بعذاب الله العذاب. العرب تقول: نزل بساحة فلان العذاب والعقوبة، وذلك إذا نزل به؛ والساحة: هي فناء دار الرجل، ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ يقول: فبئس صباح القوم الذين أنذرهم رسولنا نزول ذلك العذاب بهم فلم يصدقوا به.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ قال: بدارهم ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ قال: بئس ما يصبحون.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين، وخلهم وفريتهم على ربهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾﴾ يقول: إلى حين يأذن

الله بهلاكهم ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ يقول: وانظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من عقابنا في حين لا تنفعهم التوبة، وذلك عند نزول بأس الله بهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ أي: هم إنما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم، فإن الله يغضب عليهم بذلك، ويعجل لهم العقوبة، ومع هذا أيضًا كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ أي: فإذا نزل العذاب بمحلتهم، فبئس ذلك اليوم يومهم، بإهلاكهم ودمارهم.

قال السدي: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ يعني: بدارهم، ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ أي: فبئس ما يصبحون، أي: بئس الصباح صباحهم؛ ولهذا ثبت في الصحيحين(١) من حديث إسماعيل بن عُلَيَّة، عن عبد العزيز بن صُهَيْب عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: صَبَّح رسول الله ﷺ خيبر، فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم ورأوا الجيش، رجعوا وهم يقولون: محمد والله، محمد والخميس. فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر، خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**».

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) البخاري (٣٧١) و (٢٩٤٥)، ومسلم (١٣٦٥).

﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ قال قتادة: سوف يبصرون حين لا ينفعهم الإبصار، وعسى من الله للوجوب، وعبر بالإبصار عن تقريب الأمر أي عن قريب يبصرون وقيل: المعنى فسوف يبصرون العذاب يوم القيامة ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ كانوا يقولون من فرط تكذيبهم متى هذا العذاب أي لا تستعجلوه فإنه واقع بكم

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ أي العذاب قال الزجاج: وكان عذاب هؤلاء بالقتل ومعنى ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ أي بدارهم عن السدي وغيره والساحة والسحسة في اللغة فناء الدار الواسع، الفراء: ﴿نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ ونزل بهم سواء ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ أي: بئس صباح الذين أنذروا بالعذاب وفيه إضمار أي فساء الصباح صباحهم وخص الصباح بالذكر؛ لأن العذاب كان يأتيهم فيه.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: تنزه ربك رب العزة، صاحب القوة والبطش والغلبة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]، وكما قال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢]، وكما قال: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١]، فالعزة الغلبة والقهر، فتنزه ربنا القوي الذي لا يُغلب، تنزه ربنا عن كل ما يصفه به الواصفون الكذابون المشركون، تنزه ربنا عن كل ما لا يليق به، تنزه ربنا عن الشريك والند والمثيل والزوجة والولد.

﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ وأمانٌ من الله ﷻ على رسله الكرام، والحمد لله

رب العالمين.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره تنزيهًا لربك يا محمد وتبرئة له. ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ يقول: رب القوة والبطش ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ يقول: عما يصف هؤلاء المفترون عليه من مشركي قريش، من قولهم ولد الله، وقولهم: الملائكة بنات الله، وغير ذلك من شركهم وفريتهم على ربهم.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾: أي عما يكذبون يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان.

وقوله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ يقول: وأمنة من الله للمرسلين الذين أرسلهم إلى أممهم الذي ذكرهم في هذه السورة وغيرهم من فزع يوم العذاب الأكبر، وغير ذلك من مكروه أن ينالهم من قبل الله تبارك وتعالى.

وقوله: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ يقول تعالى ذكره: والحمد لله رب الثقلين الجن والإنس، خالصًا دون ما سواه؛ لأن كل نعمة لعباده فمنه، فالحمد له خالص لا شريك له، كما لا شريك له في نعمه عندهم، بل كلها من قبله، ومن عنده.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ينزه تعالى نفسه الكريمة ويقدسها ويبرئها عما يقوله الظالمون المكذبون المعتدون -تعالى وتقدس عن قولهم علوًّا كبيرًا- ولهذا قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾، أي: ذي العزة التي لا ترام، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ أي: عن قول هؤلاء المعتدين المفترين.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١﴾ أي: سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة؛ لسلامة ما قالوه في ربهم، وصحته وحقيته.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ أي: له الحمد في الأولى والآخرة في كل حال. ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة، ويستلزم إثبات الكمال، كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة، ويستلزم التنزيه من النقص -قرن بينهما في هذا الموضع، وفي مواضع كثيرة من القرآن؛ ولهذا قال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ أي على إرسال المرسلين مبشرين ومنذرين وقيل: أي على جميع ما أنعم الله به على الخلق أجمعين وقيل: أي على هلاك المشركين، دليله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝٤٥﴾ [الأنعام: ٤٥] قلت: والكل مراد والحمد يعم ومعنى ﴿يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾ يكذبون والتقدير عما يصفون من الكذب.

س: هل صح حديث في فضل قول: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ بخصوصها؟

ج: قد وردت في فضل ذلك عدة أحاديث، ولا أعلم منها حديثًا ثابتًا عن رسول الله ﷺ، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

تفسير سورة ص

قال الله تعالى:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن
قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ
ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ
٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا
سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ
هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلۡوَهَّابِ ٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ
١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ
وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ
١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا
صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥﴾ [ص: ١-١٥].

س: اذكر معنى ما يلي:

(صٓ – ذِي ٱلذِّكۡرِ – عِزَّةٖ – وَشِقَاقٖ – فَنَادَواْ – وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ – مُّنذِرٞ – عُجَابٞ – وَٱنطَلَقَ – ٱلۡمَلَأُ – وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ – ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ – ٱخۡتِلَٰقٌ – ٱلذِّكۡرُ – ذِكۡرَىٰ – فَلۡيَرۡتَقُواْ – ٱلۡأَسۡبَٰبِ – جُندٞ مَّا – ٱلۡأَحۡزَابِ – ٱلۡأَوۡتَادِ – وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ – أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ – فَحَقَّ عِقَابِ – صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ – فَوَاقٖ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(صٓ)	حرف من الأحرف التي بُدئت بها بعض السور لا يعلم معناها إلا الله
(ذِي ٱلذِّكۡرِ)	ذي الشرف - ذي التذكير
(عِزَّةٖ)	حمية جاهلية - عصبية للباطل - استكبار وامتناع
(وَشِقَاقٖ)	فراق للحق - خلاف وتباعد
(فَنَادَواْ)	استغاثوا - رفعوا أصواتهم
(وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ)	في وقت لا ينفع فيه الفرار ليس بحين فرارٍ ولا مهرب ليس بوقتٍ للفرار ولا للهروب
(مُّنذِرٞ)	مُحذرٌ - مخوفٌ - رسولٌ
(عُجَابٞ)	عجيب
(وَٱنطَلَقَ)	مشوا مُسرعين
(ٱلۡمَلَأُ)	الأشراف - الكبراء - علية القوم

﴿وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡ﴾	استمروا على عبادة أصنامكم وآلهتكم
(ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ)	النصرانية، وقيل: دين الآباء والأجداد
(ٱخۡتِلَٰقٌ)	كذبٌ وافتراء
(ٱلذِّكۡرُ)	القرآن
(ذِكۡرِي)	وحييّ الذي أوحيته - كتابي الذي أنزلته - القرآن
(فَلۡيَرۡتَقُواْ)	فليصعدوا وليترقوا
(ٱلۡأَسۡبَٰبِ)	الطرق الموصلة إلى السماوات وأبوابها، والسبب هو الشيء الذي يُتوصل به إلى المراد
(جُندٞ مَّا)	هم جندٌ
(ٱلۡأَحۡزَابِ)	المتحزبون على الشرك، والمتحزبون على محاربة الرسل
(ٱلۡأَوۡتَادِ)	جمع وتد، وهو الذي يثبت في الأرض تُربط به الأشياء، كان له أوتاد يعذب بها الناس، وأيضًا له أوتاد يربط بها الخيام للعب تحتها
(وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ)	أصحاب الشجر الكثير الملتف - أصحاب الغيضة وهم قوم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾	هؤلاء الأحزاب القوية الكافرة
(فَحَقَّ عِقَابِ)	وجب عليهم عذابي، وحلَّ بهم عقابي
(صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ)	النفخة الأولى في الصور - نفخة واحدة
(فَوَاقٖ)	إفاقة - رجوع - ترداد

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى (صٓ).

ج: لأهل العلم في ذلك عدة أقوال:

أولها وأظهرها: أن (صٓ) حرف من الحروف المقطعة التي بُدئت بها بعض سور الكتاب العزيز، العلم بها موكولٌ إلى الله ﷻ.

الثاني: أن معنى (صٓ) صادِ بعملك القرآن، أي: اعرض عملك على القرآن، وانظر أين أنت من القرآن.

الثالث: أنها قسمٌ أقسم الله به.

الرابع: أنها اسم من أسماء القرآن.

الخامس: أن معناها صدق الله.

وثمَّ أقوالٌ أُخر.

والظاهر لي والله أعلم أن القول الأول أولاها بالصواب كما ذكرت.

❁ ❁ ❁

شيء عن مكانة القرآن الكريم وشرفه وعلو منزلته

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١).

ج: الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾ واو القسم، أقسم الله ﷻ بالقرآن.

أما قوله: ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ فمن معانيه ذو الشرف والمكانة العالية السامية.

فللقرآن مكانة عالية سامية عند الله ﷻ، فقد قال تعالى: (وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤) **[الزخرف: ٤]**، ووصفه الله بأنه مجيد وكريم وعزيز وحكيم إلى غير ذلك من جميل الأوصاف.

ثم إنه شرفٌ لمن نزل عليه ولمن نزل إليهم كما قال تعالى: (وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ) **[الزخرف: ٤٤]** أي: شرف لك ولقومك.

وشرف لمن تعلمه وحمله وعمل به ودعا إليه، شرفٌ لهم في الدنيا وفي الآخرة.

ففي الدنيا يؤمون غيرهم في الصلوات ويقدمون به إذا اجتمعوا في القبور ويطيب به ذِكرهم في الدنيا، وهو لهم نور وبصيرة وهدى ورشاد وذكرٌ لهم في الآخرة يرتفعون به درجات.

وقد وردت في هذا الباب جملة من النصوص، منها قول النبي ﷺ: «**اقْرَأْ فُلاَنُ فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ عِنْدَ الْقُرْآنِ أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ**» (١).

ومنها ما أخرجه مسلم (٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**».

وفي صحيح مسلم (٣): «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ**».

وقوله ﷺ (٤): «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**».

وفي رواية: «**إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»، وفي الصحيحين (٥) من حديث أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ الَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ وَالَّذِى لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ**

(١) مسلم (٦/٨٢) والبخاري (٩/٥٧) مع الفتح.
(٢) مسلم (١٧/٢١) مع النووي.
(٣) مسلم (٦/٨٩) مع النووي.
(٤) البخاري (مع الفتح ٩/٧٤).
(٥) البخاري (مع الفتح ٩/٦٥)، ومسلم (مع النووي ٦/٨٣).

كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِى لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلاَ رِيحَ لَهَا».

وعند الإمام أحمد(١) بسندٍ حسن من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ﷻ أهلين من الناس**»، قال: قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته**».

وعند مسلم(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ**».

وعند أبي داود بسندٍ حسن(٣) من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِى الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**».

وعند الترمذي بسندٍ حسن(٤) من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لاَ أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**».

وفي صحيح مسلم(٥) من حديث عقبة بن عامر قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِى الصُّفَّةِ فَقَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ**

---

(١) أحمد (٣/١٢٧).

(٢) مسلم (٦/٨٤) مع النووي.

(٣) أبو داود (٢/١٥٣).

(٤) الترمذي مع التحفة (٨/٢٢٦)، وسنده حسن، لكن اختلف في رفعه ووقفه.

(٥) مسلم (٦/٨٩).

إلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ».

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «**أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ**».

وعنده من حديث أبي هريرة[(١)] **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلاَثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ؟**». قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «**فَثَلاَثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ**».

وثمَّ نصوص أُخر كثيرة في الباب.

وأرجع فأقول: و(ذكرٌ) أيضًا بمعنى: تذكير، فقد حمل أجمل أنواع التذكير وأفضلها وأحسنها، تذكيرٌ للعباد بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، فقوله: ﴿ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ ذي التذكير ذكركم الله به.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد مُجمل القولين:

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ذي التذكير لكم؛ لأن الله أتبع ذلك قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢﴾ فكان معلومًا بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذكرًا لعباده ذكرهم به، وأن الكفار من الإيمان به في عزة وشقاق.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا بيان من الله تعالى لحال القرآن، وحال المكذبين به معه ومع من

---

(١) مسلم (٦/٨٩).

جاء به، فقال: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ أي: ذي القدر العظيم والشرف، المُذَكِّر للعباد كل ما يحتاجون إليه من العلم، بأسماء الله وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكام الله الشرعية، ومن العلم بأحكام المعاد والجزاء، فهو مذكر لهم في أصول دينهم وفروعه.

وهنا لا يحتاج إلى ذكر المقسم عليه، فإن حقيقة الأمر، أن المقسم به وعليه شيء واحد، وهو هذا القرآن، الموصوف بهذا الوصف الجليل، فإذا كان القرآن بهذا الوصف، علم ضرورة العباد إليه، فوق كل ضرورة، وكان الواجب عليهم تَلَقِّيه بالإيمان والتصديق، والإقبال على استخراج ما يتذكر به منه.

فهدى الله من هدى لهذا، وأبى الكافرون به وبمن أنزله، وصار معهم ﴿فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢﴾ عزة وامتناع عن الإيمان به، واستكبار وشقاق له، أي: مشاقة ومخاصمة في رده وإبطاله، وفي القدح بمن جاء به.

فتوعدهم بإهلاك القرون الماضية المكذبة بالرسل، وأنهم حين جاءهم الهلاك، نادوا واستغاثوا في صرف العذاب عنهم ولكن ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣﴾ أي: وليس الوقت، وقت خلاص مما وقعوا فيه، ولا فرج لما أصابهم، فَلْيَحْذَرْ هؤلاء أن يدوموا على عزتهم وشقاقهم، فيصيبهم ما أصابهم.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ فيه وجهان من التفسير معروفان عند العلماء.

أحدهما: أن الذكر بمعنى الشرف، والعرب تقول فلان مذكور يعنون له ذكر أي: شرف. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ **[الزخرف: ٤٤]**

أي شرف لكم على أحد القولين.

الوجه الثاني: أن الذكر اسم مصدر بمعنى التذكير؛ لأن القرآن العظيم فيه التذكير والمواعظ، وهذا قول الجمهور واختاره ابن جرير.

❁ ❁ ❁

س: ما جواب القسم لقوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾؟

ج: جوابه - والله أعلم - مفهوم وإن كان لم يُنص عليه، فالمعنى: ص والقرآن ذي الشرف إنه لشريف وعظيم وذو مكانة وأنه من عند الله ﷻ، وما تنزلت به الشياطين، ولكن الذين كفروا في عزَّةٍ وشقاق.

* وإلى هذا المعنى أشار قتادة، فقد أخرج الطبري بسندٍ حسن عنه: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾ قال: هاهنا وقع القسم.

وأورد الطبري أقوالًا ولكنه اختار قول قتادة فقال: والصواب من القول في ذلك عندي، القول الذي قاله قتادة، وأن قوله: ﴿بَلِ﴾ لما دلت على التكذيب وحلت محل الجواب استغني بها من الجواب، إذ عرف المعنى، فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ ما الأمر، كما يقول هؤلاء الكافرون: بل هم في عزة وشقاق.

هذا، وهنالك أقوال أخر أوردها القرطبي رحمه الله تعالى واستفاض في ذكرها، فقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وجواب القسم محذوف، واختلف فيه على أوجه: فقيل جواب القسم ﴿صٓۚ﴾ لأن معناه حق فهي جواب لقوله: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ كما تقول: حقًّا والله نزل والله وجب والله فيكون الوقف من هذا الوجه على قوله: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ حسنًا وعلى ﴿فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾ تمامًا قاله ابن الأنباري وحكى

معناه الثعلبي عن الفراء وقيل: الجواب ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾ لأن ﴿بَلِ﴾ نفي لأمر سابق وإثبات لغيره قاله القتبي؛ فكأنه قال: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾ عن قبول الحق وعداوة لمحمد ﷺ أو ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ ما الأمر كما يقولون: من أنك ساحر كذاب؛ لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة بل هم في تكبر عن قبول الحق وهو كقوله: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾ [ق: ١ - ٢] وقيل: الجواب ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ [ق: ٣٦] كأنه قال: والقرآن لكم أهلكنا فلما تأخرت ﴿كَمۡ﴾ حذفت اللام منها كقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [الشمس: ١] ثم قال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ [الشمس: ٩] أي: لقد أفلح، قال المهدوي: وهذا مذهب الفراء. ابن الأنباري: فمن هذا الوجه لا يتم الوقف على قوله: ﴿فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾ وقال الأخفش: جواب القسم ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤﴾ [ص: ١٤] ونحو منه قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧﴾ [الشعراء: ٩٧]، وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ [الطارق: ١]، ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ﴾ [الطارق: ٤]. ابن الأنباري: وهذا قبيح لأن الكلام قد طال فيما بينهما وكثرت الآيات والقصص وقال الكسائي: جواب القسم قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ۝٦٤﴾ [ص: ٦٤] ابن الأنباري: وهذا أقبح من الأول لأن الكلام أشد طولًا فيما بين القسم وجوابه. وقيل الجواب: قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ [ص: ٥٤] وقال قتادة: الجواب محذوف تقديره ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ لتبعثن ونحوه.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

اعلم أن العلماء اختلفوا في تعيين الشيء الذي أقسم الله عليه في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾، فقال بعضهم: إن المقسم عليه مذكور، والذين

قالوا: إنه مذكور، اختلفوا في تعيينه وأقوالهم في ذلك كلها ظاهرة السقوط.

فمنهم من قال: إن المقسم عليه هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾

[ص: ٦٤]

ومنهم من قال: هو قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ **[ص: ٥٤]**.

ومنهم من قال: هو قوله تعالى: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ **[ص: ١٤]** كقوله: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾ **[الشعراء: ٩٧]**. وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ **[الطارق: ١-٤]**.

ومنهم من قال هو قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾، ومن قال هذا: قال: إن الأصل لكم أهلكنا ولما طال الكلام، حذفت لام القسم، فقال: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ بدون لام.

قالوا: ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾﴾ لما طال الكلام بين القسم والمقسم عليه، الذي هو قد أفلح من زكاها، حذفت منه لام القسم.

ومنهم من قال: إن المقسم عليه هو قوله: ﴿صٓ﴾ قالوا معنى ﴿صٓ﴾: صدق رسول الله والقرآن ذي الذكر. وعلى هذا فالمقسم عليه هو صدقه □.

ومنهم من قال: المعنى: هذه ﴿صٓ﴾ أي: السورة التي أعجزت العرب، ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾﴾، إلى غير ذلك من الأقوال التي لا يخفى سقوطها.

وقال بعض العلماء: إن المقسم عليه محذوف، واختلفوا في تقديره، فقال الزمخشري في «الكشاف»: «التقدير ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾﴾، إنه لمعجز»، وقدره ابن عطية وغيره فقال: «﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾﴾ ما الأمر كما

يقوله الكفار»، إلى غير ذلك من الأقوال.

قال مقيده -عفا الله عنه وغفر له-: الذي يظهر صوابه بدليل استقراء القرآن: أن جواب القسم محذوف وأن تقديره: (وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١) ما الأمر كما يقوله الكفار، وأن قولهم المقسم على نفيه شامل لثلاثة أشياء متلازمة.

الأول: منها أن النبي ﷺ مرسل من الله حقًّا وأن الأمر ليس كما يقول الكفار في قوله تعالى عنهم: (وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ) [الرعد: ٤٣].

والثاني: أن الإله المعبود جل وعلا واحد، وأن الأمر ليس كما يقوله الكفار في قوله تعالى عنهم: (أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥) [ص: ٥].

والثالث: أن الله جلَّ وعلا يبعث من يموت، وأن الأمر ليس كما يقوله الكفار في قوله تعالى عنهم: (وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ ﴾ وقوله: (زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ) [التغابن: ٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ ﴾ [سبأ: ٣].

أما الدليل من القرآن على أن المقسم عليه محذوف فهو قوله تعالى:(بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾؛ لأن الإضراب بقوله: (بَلِ)، دليل واضح على المقسم عليه المحذوف. أي: ما الأمر كما يقوله الذين كفروا، (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ) أي: في حمية وأنفة واستكبار عن الحق، (وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ أي: مخالفة ومعاندة.

وأما دلالة استقراء القرآن على أن المنفي المحذوف شامل للأمور الثلاثة المذكورة، فلدلالة آيات كثيرة: أما صحة رسالة الرسول ﷺ، وكون الإله المعبود واحدًا لا شريك له فقد أشار لهما هنا. أما كون الرسول مرسلًا حقًّا ففي قوله تعالى هنا: (وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ

هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ يعني أي: لا وجه للعجب المذكور. لأن يجيء المنذر الكائن منهم.

لا شك في أنه بإرسال من الله حقًّا.

وقولهم: (هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ إنما ذكره تعالى إنكارًا عليهم وتكذيبًا لهم. فعرف بذلك أن في ضمن المعنى والقرآن ذي الذكر إنك مرسل حقًّا ولو عجبوا من مجيئك منذرًا لهم، وزعموا أنك ساحر كذاب، أي: فهم الذين عجبوا من الحق الذي لا شك فيه، وزعموا أن خاتم الرسل وأكرمهم على الله ساحر كذاب.

وأما كون الإله المعبود واحدًا لا شريك له، ففي قوله هنا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾، لأن الهمزة في قوله: ﴿أَجَعَلَ﴾ للإنكار المشتمل على معنى النفي، فهي تدل على نفي سبب تعجبهم من قوله ﷺ: إن الإله المعبود واحد.

وهذان الأمران قد دلت آيات أخر من القرآن العظيم، على أن الله أقسم على تكذيبهم فيها وإثباتها بالقسم صريحًا كقوله تعالى مقسمًا على أن الرسول مرسل حقًّا:(يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يس: ١-٣]، فهي توضح معنى (صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾) إنك لمن المرسلين.

وقد جاء تأكيد صحة تلك الرسالة في آيات كثيرة كقوله تعالى: (تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ [البقرة: ٢٥٢]، وأما كونه تعالى هو المعبود الحق لا شريك له، فقد أقسم تعالى عليه في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: (وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾) ونحو ذلك من الآيات فدل ذلك على أن المعنى تضمن ما

ذكر أي: والقرآن ذي الذكر، إن إلهكم لواحد كما أشار إليه بقوله: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ ...﴾ الآية.

وأما كون البعث حقًا، فقد أقسم عليه إقسامًا صحيحًا صريحًا، في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣] أي الساعة. وقوله: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣].

وأقسم على اثنين من الثلاثة المذكورة وحذف المقسم عليه الذي هو الاثنان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: ولكن أهل الكفر والتكذيب وجحود القرآن في حمية واستكبار عن قبول الحق، حملهم ذلك على الشقاق والخلاف والمعاندة للحق - والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ يقول تعالى ذكره: بل الذين كفروا بالله من مشركي قريش في حمية ومشاقة، وفراق لمحمد وعداوة، وما بهم أن لا يكونوا أهل علم، بأنه ليس بساحر ولا كذاب.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ أي: في حميةٍ وفراق.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ قال: يعادون أمر الله ورسله وكتابه، ويشاقون، ذلك عزة وشقاق، فقلت له: الشقاق: الخلاف، فقال: نعم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾ أي: إن فـي هـذا القرآن لـذكرًا لمن يتذكر، وعبرة لمن يعتبر. وإنما لم ينتفع بـه الكافرون؛ لأنهم ﴿فِي عِزَّةٖ﴾ أي: استكبار عنه وحمية ﴿وَشِقَاقٖ ۝٢﴾ أي: مخالفة له ومعاندة ومفارقة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ﴾ أي: في تكبر وامتناع من قبول الحق كما قال جل وعز: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ﴾ **[البقرة: ٢٠٦]**، والعزة عند العرب: الغلبة والقهر يقال: من عز بز يعني: من غلب سلب ومنه: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ۝٢٣﴾ **[ص: ٢٣]** أراد غلبني وقال جرير:

يعـز علـى الطريـق بمنكبيـه كما ابترك الخليع على القداح

أراد يغلب ﴿وَشِقَاقٖ ۝٢﴾ أي: في إظهار خلاف ومباينة وهو من الشق كأن هذا في شق وذلك في شق.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: ولقد أهلكنا قرونًا كثيرة قبل كفار قريش فلما جاءهم بأسنا وحلَّ بهم عذابُنا نادى بعضهم بعضًا مستغيثين مستنجدين، لكنهم نادوا في وقتٍ ليس بوقت فرار ولا هروب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: كثيرًا أهلكنا من قبل هؤلاء المشركين من قريش الذين كذبوا رسولنا محمدًا ﷺ فيما جاءهم به من عندنا من الحق ﴿مِّن قَرۡنٖ﴾ يعني: من الأمم الذين كانوا قبلهم، فسلكوا سبيلهم في تكذيب رسلهم فيما أتوهم به من عند الله ﴿فَنَادَواْ﴾ يقول: فعجوا إلى ربهم وضجوا واستغاثوا

بالتوبة إليه، حين نزل بهم بأس الله وعاينوا به عذابه فرارًا من عقابه، وهربًا من أليم عذابه ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾ يقول: وليس ذلك حين فرار ولا هرب من العذاب بالتوبة، وقد حقت كلمة العذاب عليهم، وتابوا حين لا تنفعهم التوبة، واستقالوا في غير وقت الإقالة. وقوله: ﴿مَنَاصٍ ۝٣﴾ مفعل من النوص، والنوص في كلام العرب: التأخر، والمناص: المفر؛ ومنه قول امرئ القيس:

أمن ذكر سلمى إذ نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة وتبوص

يقول: أو تقدم يقال من ذلك: ناصني فلان: إذا ذهب عنك، وباصني: إذا سبقك، وناض في البلاد: إذا ذهب فيها، بالضاد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء فقال: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: من أمة مكذبة، ﴿فَنَادَوا﴾ أي: حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله. وليس ذلك بمُجدٍ عنهم شيئًا. كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝١٢﴾ **[الأنبياء: ١٢]** أي: يهربون، ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ۝١٣﴾ **[الأنبياء: ١٣]**.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه الكلمة وهي ﴿وَّلَاتَ﴾ هي (لا) التي للنفي، زيدت معها (التاء) كما تزاد في (ثم) فيقولون: (ثمت)، و (رب) فيقولون: (ربت). وهي مفصولة والوقف عليها. ومنهم من حكى عن المصحف الإمام فيما ذكره [ابن جرير] أنها متصلة بحين: (ولا تحين مناص). والمشهور الأول. ثم قرأ

الجمهور بنصب (حين) تقديره: وليس الحين حين مناص. ومنهم من جوز النصب بها، وأنشد:

تَـــذكَّرَ حُـــب ليلـــى لاتَ حينـــا وأضْحَى الشَّيْبُ قد قطع القرينـا

ومنهم من جوز الجر بها، وأنشد:

طَلَبُـــوا صُـــلْحَنَا ولاتَ أوانٍ فأجَبْنَـــا أن لـــيس حـــين بقـــاءِ

وأنشد بعضهم أيضًا:

ولاتَ سَـــــــــاعة مَنْــــــــدَم

بخفض الساعة، وأهل اللغة يقولون: النوص: التأخر، والبوص: التقدم. ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾ أي: ليس الحين حين فرار ولا ذهاب.

❀ ❀ ❀

س: الكفار إذا رأوا العذاب نادوا نداءات متنوعة. وضح ذلك.

ج: قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

نداؤهم إذا أحسوا بأوائل العذاب فقد ذكر تعالى في آيات من كتابه نوعين من أنواع ذلك النداء.

أحدهما: نداؤهم باعترافهم أنهم كانوا ظالمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ **[الأنبياء: ١١-١٥]**، وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ **[الأعراف: ٤-٥]**.

الثاني: من نوعي النداء المذكور نداؤهم بالإيمان بالله مستغيثين من ذلك العذاب الذي أحسوا أوائله، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ **[غافر: ٨٤-٨٥]** وهذا النوع الأخير هو الأنسب والأليق بالمقام، لدلالة قوله: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾ **[ص: ٣]** عليه.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾ الذي هو المسألة الثالثة، معناه: ليس الحين الذي نادوا فيه، وهو وقت معاينة العذاب، حين مناص، أي: ليس حين فرار ولا ملجأ من ذلك العذاب الذي عاينوه.

فقولـه: ﴿وَلَاتَ﴾ هـي لا النافيـة زيـدت بعدها تـاء التأنيـث اللفظيـة كمـا زيدت في ثم، فقيل فيها ثمت، وفي رب، فقيل فيها ربت.

وأشهر أقوال النحويين فيها، أنها تعمل عمل ليس وأنها لا تعمل إلا في الحين خاصة، أو في لفظ الحين ونحوه من الأزمنة، كالساعة والأوان، وأنها لا بد أن يحذف اسمها أو خبرها والأكثر حذف المرفوع منهما وإثبات المنصوب، وربما عكس، وهذا قول سيبوية وأشار إليه ابن مالك في الخلاصة بقوله:

في النكرات أعملت كليس « لا » … وقـد تلـى « لات » و « أن » ذا

ومـا لـلات فـي سوى حين عمل … وحـذف ذي الرفـع فشـا والعكس

والمنـاص مفعل من النـوص، والعرب تقول: ناصـه ينوصـه إذا فاتـه وعجز عن إدراكه، ويطلق المناص على التأخر؛ لأن من تأخر ومال إلى ملجأ ينقذه مما كان يخافه فقد وجد المناص.

والمنـاص والملجـأ والمفـر والموئـل معناهـا واحـد، والعـرب تقـول: استناص إذا طلب المناص، أي: السلامة والمفر مما يخافه، ومنه قول حارثة ابن بدر:

غمـر الجـراء إذا قصـرت عنانـه … بيـدي اسـتناص ورام جـري

والأظهر أن إطلاق النوص على الفوت والتقدم، وإطلاقه على التأخر والروغان كلاهما راجع إلى شيء واحد؛ لأن المناص مصدر ميمي معناه المنطبق على جزئياته، أن يكون صاحبه في كرب وضيق، فيعمل عملًا، يكون به خلاصه ونجاته من ذلك.

س: هل صح لهذه الآيات سبب نزول: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا...﴾؟

ج: لا أعلم لها سببن نزول صحيح.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وعجب الكفار من أهل مكة وغيرهم من الكفار أن بُعث إليهم رسولٌ بشري من البشر، فوصفوه بأنه ساحر كذاب، وقالوا متعجبين: أجعل المعبودات معبودًا واحدًا لا يُعبد غيره؟!! ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾.

تعجبوا من كون الله ﷻ يسمعهم جميعًا ويجيبهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وعجب هؤلاء المشركون من قريش أن جاءهم منذر ينذرهم بأس الله على كفرهم به من أنفسهم، ولم يأتهم ملك من السماء بذلك ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾﴾ يقول: وقال المنكرون وحدانية الله: هذا، يعنون محمدًا ﷺ، ساحر كذاب.

وقوله: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ يقول: وقال هؤلاء الكافرون الذين قالوا: محمد ساحر كذاب: أجعل محمد المعبودات كلها واحدًا، يسمع دعاءنا جميعنا، ويعلم عبادة كل عابد عبده منا ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ أي: إن هذا لشيء عجيب.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ قال: عجب المشركون أن دُعوا إلى الله وحده، وقالوا: يسمع لحاجاتنا

جميعًا إله واحد! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين في تعجبهم من بعثة الرسول بشرًا، كما قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ وقال هاهنا: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: بشر مثلهم، ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ أي: أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو؟! أنكر المشركون ذلك -قبحهم الله تعالى- وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول ﷺ إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن الملأ من أهل الكفر وهم الأشراف والكبراء انطلقوا مسرعين لإخوانهم الذين هم على شاكلتهم يحذرونهم من اتباع رسول الله ﷺ فيما دعاهم إليه من توحيد الله ﷻ ويقول: استمروا على عبادة آلهتكم لا تتركوها فها هنا أمرٌ يُخطط له ويبيت له، ويريده محمد ﷺ، يريد أن نكون له أتباع وأن تكون له السيادة علينا وأن يصرفنا عن عبادة آلهتنا التي نعبد، وما قد سمعنا بهذا في الملة النصرانية، فقد

كان النصارى أهل شرك، ثم قالوا: ما هذا الذي يدعونا إليه محمد ﷺ إلا كذب وافتراء.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وانطلق الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش، القائلين: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ بأن امضوا فاصبروا على دينكم وعبادة آلهتكم. فـ﴿أَنِ﴾ من قوله: ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ﴾ في موضع نصب يتعلق انطلقوا بها، كأنه قيل: انطلقوا مشيًا، ومضيًا على دينكم. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: ﴿**وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا على آلهتكم**﴾. وذكر أن قائل ذلك كان عقبة بن أبي معيط.

وقولـه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦﴾ أي: إن هذا القول الذي يقول محمد، ويدعونا إليه، من قول لا إله إلا الله، شيء يريده منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعًا ولسنا مجيبيه إلى ذلك.

وقوله: ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من البراءة من جميع الآلهة إلا من الله تعالى ذكره، وبهذا الكتاب الذي جاء به في الملة النصرانية، قالوا: وهي الملة الآخرة.

وقال آخرون: بل عنوا بذلك: ما سمعنا بهذا في ديننا دين قريش.

وقوله: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧﴾ يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هؤلاء المشركين في القرآن: ما هذا القرآن إلا اختلاق أي: كذب اختلقه محمد وتخرّصه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ﴾ وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين: ﴿ٱمۡشُواْ﴾ أي: استمروا على دينكم ﴿وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾ ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد.

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦﴾ قال ابن جرير: إن هذا الذي يدعونا إليه محمد ﷺ من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء، وأن يكون له منكم أتباع ولسنا مجيبيه إليه.

س: وضح معنى قولهم: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩﴾.

ج: هذا استفهام استنكاري من الكفار استنكروا نزول القرآن على رسول الله ﷺ من بينهم، فقالوا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ أي: القرآن، ﴿مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾ فتعجبوا من ذلك.

قال تعالى: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ﴾ أي: إنهم لا يكذبون رسول الله ﷺ فإنهم يعلمون أنه صادق، ولكنهم في شك من نزول الوحي عليه؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣﴾ [الأنعام: ٣٣]، أما قوله تعالى: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨﴾ أي: إنهم لم يذوقوا عذاب الله على الشرك الذي صدر منهم ولو ذاقوا العقوبة على الشرك ما تمادوا في شركهم.

أما قوله تعالى: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩﴾ فحاصله الاستنكار عليهم فيما طلبوا وسألوا واستنكروا، فالمعنى إن خزائن رحمة الله بيد الله ليست بأيديهم هو الذي يهب من يشاء ويمنع من يشاء لا مانع له ممن أراد، ولا راد لما قضى، فهو الذي يتفضل بالنبوة والعلم والوحي على من يشاء.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هؤلاء المشركين من قريش: أأنزل على محمد الذكر من بيننا فخص به، وليس بأشرف منا حسبًا. وقوله: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكࣲّ مِّن ذِكۡرِيۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين أن لا يكونوا أهل علم بأن محمدًا صادق، ولكنهم في شك من وحينا إليه، وفي هذا القرآن الذي أنزلناه إليه أنه من عندنا، ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨﴾ يقول: بل لم ينزل بهم بأسنا، فيذوقوا وبال تكذيبهم محمدًا، وشكهم في تنزيلنا هذا القرآن عليه، ولو ذاقوا العذاب على ذلك علموا وأيقنوا حقيقة ما هم به مكذبون، حين لا ينفعهم علمهم ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩﴾ يقول تعالى ذكره: أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحي الله إلى محمد خزائن رحمة ربك، يعنى: مفاتيح رحمة ربك يا محمد، العزيز في سلطانه، الوهاب لمن يشاء من خلقه، ما يشاء من ملك وسلطان ونبوة، فيمنعوك يا محمد، ما مَنَّ الله به عليك من الكرامة، وفضلك به من الرسالة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولهم: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾ يعني: أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه من بينهم كلهم كما قالوا في الآية الأخرى: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلࣲ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾ **[الزخرف: ٣١]**، قال الله تعالى: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضࣲ دَرَجَٰتࣲ﴾ **[الزخرف: ٣٢]**، ولهذا لما قالوا هذا الذي دل على جهلهم وقلة عقلهم في استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم، قال الله تعالى: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨﴾ أي: إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله ونقمته

سيعلمون غب ما قالوا، وما كذبوا به يوم يُدَعّون إلى نار جهنم دَعّا.

ثم قال مبينًا أنه المتصرف في ملكه الفعال لما يشاء الذي يعطي من يشاء ما يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده ويختم على قلب من يشاء، فلا يهديه أحد من بعد الله، وإن العباد لا يملكون شيئًا من الأمر وليس إليهم من التصرف في الملك ولا مثقال ذرة وما يملكون من قطمير؛ ولهذا قال تعالى منكرًا عليهم: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩﴾ أي: العزيز الذي لا يرام جنابه الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد.

وهذه الآية شبيهة بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥﴾ [النساء: ٥٣-٥٥]، وقوله: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ۝١٠٠﴾ [الإسراء: ١٠٠]، وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البشري وكما أخبر تعالى عن قوم صالح حين قالوا: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۝٢٥ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ۝٢٦﴾ [القمر: ٢٥-٢٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ﴾ هو استفهام إنكار والذكر ها هنا القرآن أنكروا اختصاصه بالوحي من بينهم فقال الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ﴾ أي: من وحيي وهو القرآن أي: قد علموا أنك لم تزل صدوقًا فيما

بينهم وإنما شكوا فيما أنزلته عليك هل هو من عندي أم لا؟ ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨﴾ أي: إنما اغتروا بطول الإمهال ولو ذاقوا عذابي على الشرك لزال عنهم الشك ولما قالوا ذلك، ولكن لا ينفع الإيمان حينئذ و(لَمَّا) بمعنى: لم وما زائدة كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، و﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩﴾ قيل: أم لهم هذا فيمنعوا محمدًا عليه السلام مما أنعم الله عز و جل به عليه من النبوة و(أَمْ) قد ترد بمعنى التقريع إذا كان الكلام متصلًا بكلام قبله كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [السجدة: ١ - ٣]، وقد قيل: إن قوله: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ متصل بقوله: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [ص: ٤] فالمعنى أن الله عز وجل يرسل من يشاء؛ لأن خزائن السماوات والأرض له.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ألهؤلاء المشركين المكذبين المستبعدين أن تنزل الرسالة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ألهم السلطان في السماوات والأرض يُعطوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ويأمروا بما شاءوا وينهوا عما شاءوا؟! فإذا كان ذلك لهم فليصعدوا في السماوات وليطرقوا أبوابها كي يصلوا إلى السماء السابعة إن استطاعوا فإن فكروا في ذلك، فإنهم بلا شك ولا ريب مهزومون، فقوله: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١﴾ حاصله أن هؤلاء المتحزبين على تكذيب رسول الله المعترضين على رسالته إذا فكروا في

سلوك الأسباب الموصلة إلى السماء سيهزموا بلا ريب ولا شك، فقوله: (هُنَالِكَ) أي: عند أبواب السماوات، ومن أهل العلم، وهم الأكثر ذكروا أن قوله: (هُنَالِكَ) أي: يوم بدر، وقال آخرون: (هُنَالِكَ) أي: يوم الأحزاب يوم الخندق.

وهذا منهم - والله أعلم - لكون غزو الفضاء لم يكن موجودًا في زمانهم ولم يكن متصورًا في زمانهم ولو كان متصور لكان هناك من حمل الآية الكريمة عليه، مع أنه قد أشير إليه أيضًا.

هذا، والآية الكريمة توضحها الآية الأخرى: (يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾) [الرحمن: ٣٣-٣٥]، والله أعلم.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم لهؤلاء المشركين الذين هم في عزة وشقاق ﴿مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ﴾ فإنه لا يعازني ويشاقني من كان في ملكي وسلطاني. وقوله: (فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾) يقول: وإن كان لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما، فليصعدوا في أبواب السماء وطرقها، فإن من كان له ملك شيء لم يتعذر عليه الإشراف عليه، وتفقده وتعهده.

واختلف أهل التأويل في معنى الأسباب التي ذكرها الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: عني بها أبواب السماء.

وقوله: (جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾) يقول تعالى ذكره: هم ﴿جُندٞ﴾ يعني: الذين في عزة وشقاق هنالك، يعني: ببدر مهزوم. وقوله:

﴿هُنَالِكَ ﴾ من صلة مهزوم وقوله: ﴿مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١﴾ من صلة قوله جند، ومعنى الكلام: هم جند من الأحزاب مهزوم هنالك، وما في قوله: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ ﴾ صلة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٌ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١﴾ قال: وعده الله وهو بمكة يومئذ أنه سيهزم جندًا من المشركين، فجاء تأويلها يوم بدر.

وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ ﴾ مغلوب عن أن يصعد إلى السماء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٌ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١﴾ أي: هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون ويكبتون كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين وهذه كقوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ٤٤ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾ وكان ذلك يوم بدر ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ٤٦﴾ **[القمر: ٤٤-٤٦]**.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ﴾ أي: فإن ادعوا ذلك ﴿فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠﴾ أي: فليصعدوا إلى السماوات وليمنعوا الملائكة من إنزال الوحي على محمد، يقال: رقي يرقى وارتقى إذا صعد ورقى يرقي رقيًا مثل رمى يرمي رميًا من الرقية قال الربيع بن أنس: الأسباب أرق من الشعر وأشد من الحديد ولكن لا ترى والسبب في اللغة كل ما يوصل به إلى المطلوب من حبل أو غيره وقيل: الأسباب أبواب السماوات التي

تنزل الملائكة منها قاله مجاهد و قتادة قال زهير:

ولـو رام أسـباب السمـاء بسـلم

وقيل: الأسباب السماوات نفسها أي: فليصعدوا سماءً سماءً، وقال السدي: (فِي ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠) في الفضل والدين وقيل: أي فليعلوا في أسباب القوة إن ظنوا أنها مانعة وهو معنى قول أبي عبيدة وقيل: الأسباب الحبال يعني إن وجدوا حبلًا أو سببًا يصعدون فيه إلى السماء فليرتقوا وهذا أمر توبيخ وتعجيز ثم وعد نبيه ﷺ النصر عليهم فقال: (جُندٌ مَّا هُنَالِكَ)، (مَّا) صلة وتقديره هم جند فـ (جُندٌ) خبر ابتداء محذوف (مَهْزُومٌ) أي: مقموع ذليل قد انقطعت حجتهم؛ لأنهم لا يصلون إلى أن يقولوا هذا لنا ويقال: تهزمت القربى إذا انكسرت وهزمت الجيش كسرته والكلام مرتبط بما قبل: أي: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ وهم جند من الأحزاب مهزومون فلا تغمك عزتهم وشقاقهم فإني أهزم جمعهم وأسلب عزهم وهذا تأنيس للنبي ﷺ وقد فعل بهم هذا في يوم بدر قال قتادة: وعد الله أنه سيهزمهم وهم في مكة فجاء تأويلها يوم بدر، و(هُنَالِكَ) إشارة لبدر وهو موضع تحزبهم لقتال محمد ﷺ وقيل: المراد بالأحزاب الذين أتوا المدينة وتحزبوا على النبي ﷺ وقد مضى ذلك في (الأحزاب) والأحزاب: الجند كما يقال: جند من قبائل شتى، وقيل: أراد بالأحزاب القرون الماضية من الكفار أي هؤلاء جند على طريقة أولئك.

❁ ❁ ❁

عقاب الله للمكذبين

س: وضـح معنـى قولـه تعـالى: (كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: وإن كان قومك قد كذبوك يا رسول الله، فإن قوم نوح من قبلهم قد كذَّبوا نبيهم نوحًا عليه السلام، وكذا كذبت قبيلة عادٌ نبيها هودًا عليه السلام، وكذا كذب فرعون – عليه لعنة الله – كذب نبي الله موسى عليه السلام فرعون الذي كانت له أوتاد يعذب بها الناس يربطهم فيها، وله أوتاد يلعب تحتها كتلك الأوتاد التي تثبت في الأرض وتنصب حولها الخيام.

وقيل في الأوتاد: إن المراد بها البنيان.

وكذا كذبت قبيلة ثمود نبيها صالحًا عليه السلام، كذا قوم لوط كذبوا لوطًا عليه السلام، وكذا أصحاب الأيكة وهي الشجر الكثير الملتف، كذبوا نبيهم شعيبًا عليه السلام، فهؤلاء قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد، وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة هم الأحزاب الكافرة الذين كانوا في الدنيا أقوياء جبابرة أولئك المتحزبون ضد رسل الله الكرام، كلهم كذب الرسل فحق عليهم عقابي ووجب عليهم عذابي.

* وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: كذبت قبل هؤلاء المشركين من قريش - القائلين: أجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟!- رسلها، قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد.

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله قيل لفرعون ذو الأوتاد، فقال بعضهم: قيل ذلك له لأنه كانت له ملاعب من أوتاد، يلعب له عليها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢﴾ قال: كان له أوتاد وأرسان، وملاعب يلعب له عليها.

وقال آخرون: بل قيل ذلك له كذلك لتعذيبه الناس بالأوتاد.

وقال آخرون: معنى ذلك: ذو البنيان، قالوا: والبنيان: هو الأوتاد.

وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الأوتاد، إما لتعذيب الناس، وإما للعب، كان يلعب له بها، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد، وثمود وقوم لوط، وقد ذكرنا أخبار كل هؤلاء فيما مضى قبل من كتابنا هذا. ﴿وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ﴾ يعني: وأصحاب الغيضة.

وكان أبو عمرو بن العلاء فيما حدثت عن معمر بن المثنى، عن أبي عمرو يقول: الأيكة: الحرجة من النبع والسدر، وهو الملتف منه، قال الشاعر:

أفمن بكاء حمامة في أيكة يرفض دمعك فوق ظهر المحمل

يعني: محمل السيف.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ١٣﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الجماعات المجتمعة، والأحزاب المتحزبة على معاصي الله والكفر به، الذين منهم يا محمد مشركو قومك، وهم مسلوك بهم سبيلهم.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ يقول: ما كل هؤلاء الأمم إلا كذب رسل الله؛ وهي في قراءة عبد الله كما ذكر لي: ﴿**إن كل لما كذب الرسل فحق عقاب**﴾ يقول: فوجب عليهم عقاب الله إياهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن هؤلاء القرون الماضية، وما حل بهم من

العذاب والنكال والنقمات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء وقد تقدمت قصصهم مبسوطة في أماكن متعددة.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾﴾ أي: كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالًا وأولادًا فما دافع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك؛ ولهذا قال: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ فجعل علة هلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾.

ج: الظاهر ـ والله أعلم ـ: أن المعنى وما ينتظر هؤلاء المشركون بعد أن اطلعوا على أخبار الأمم المكذبة المشركة التي تقدمتهم، ماذا ينتظر كفار قريش ومن تابعهم على كفرهم، ماذا عساهم أن ينتظروا، فلينتظروا صيحة واحدة، وهي صيحة النفخ في الصور ليس لها فتور ولا انقطاع بل هي مستمرة متواصلة، ليس لها ارتداد ولا رجوع، وليس للمشركين معها إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المشركون بالله من قريش ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ يعني بالصيحة الواحدة: النفخة الأولى في الصور ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾ يقول: ما لتلك الصيحة من فيقة، يعني: من فتور ولا انقطاع.

وأورد أقوالًا منها بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال في قوله: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾ قال: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة ما لها من فواق، يا لها من

صيحة لا يفيقون فيها كما يفيق الذي يغشى عليه وكما يفيق المريض تهلكهم، ليس لهم فيها إفاقة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥﴾ قال مالك عن زيد ابن أسلم: أي: ليس لها مثنوية أي: ما ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها أي: فقد اقتربت ودنت وأزفت وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله إسرافيل أن يطولها، فلا يبقى أحد من أهل السماوات والأرض إلا فزع إلا من استثنى الله عَزَّوَجَلَّ.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولـه تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ (يَنظُرُ) بمعنى: ينتظر ومنه قوله تعالى: (ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ) [الحديد: ١٣] (هَٰٓؤُلَآءِ) يعني: كفار مكة (إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ) أي: نفخة القيامة، أي: ما ينتظرون بعد ما أصيبوا ببدر إلا صيحة القيامة وقيل: ما ينتظر أحيائهم الآن إلا الصيحة التي هي النفخة في الصور كما قال تعالى: (مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ٤٩ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ) [يس: ٤٩-٥٠]، وهذا إخبار عن قرب القيامة والموت وقيل: أي ما ينتظر كفار آخر هذه الأمة المتدينين بدين أولئك إلا صيحة واحدة وهي النفخة وقال عبد الله بن عمرو: لم تكن صيحة في السماء إلا بغضب من الله عزَّ و جلَّ على أهل الأرض (مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥﴾ أي: من ترداد، عن ابن عباس مجاهد: ما لها رجوع، قتادة: ما لها من مثنوية، السدي: ما لها من إفاقة.

(٤٠١) أحمر أسود

قال الله تعالى:

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا
دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨
وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ
ٱلۡخِطَابِ ٢٠﴾ [ص: ١٦-٢٠]

س: اذكر معنى ما يلي:

(قِطَّنَا -يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ -ذَا ٱلۡأَيۡدِ -أَوَّابٌ -بِٱلۡعَشِيِّ -مَحۡشُورَةً- كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ -وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ- ٱلۡحِكۡمَةَ-وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ).

ج:

الكلمة	معناها
(قِطَّنَا)	كتابنا - ما كتبته علينا من العذاب أو الثواب نصيبنا من العذاب - حظنا من العذاب
(يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ)	يوم القيامة
(ذَا ٱلۡأَيۡدِ)	ذا القوة والبطش - ذا النعم (أنعم الله عليه بنعم عظيمة)
(أَوَّابٌ)	رجّاع - مكثرٌ من التسبيح والاستغفار
(بِٱلۡعَشِيِّ)	ما بين العصر إلى الليل وقت صلاة الضحى بعد إشراق الشمس
(مَحۡشُورَةً)	مُجتمعة - مجموعة
(كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ)	كلٌ له مُطيع رجَّاع، كلٌ معه مسبحٌ لله
(وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ)	قوينا ملكه بكثرة الجنود الذين أعدوا لحراسته أعطيناه هيبة عظيمة في قلوب الناس قويناه في مملكته وجعلنا له ملكًا كاملًا مما يحتاج إليه الملوك
(ٱلۡحِكۡمَةَ)	الفهم والفطنة والعقل – السداد في القول والعمل والنبوة

﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾	الفصل في القضايا والأحكام، وذلك بالتوفيق والفهم في القضايا والأحكام، وبالشاهدين واليمين، وبغير ذلك. وقيل: هو قول (أما بعد) في الخطب للفصل بين المقدمة والموضوع.

❁ ❁ ❁

س: من القائلون: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦﴾؟ وعلى أي وجهٍ قالوا هذا القول؟ وما معناه؟

ج: قائلوه هم الكفار، قالوه على سبيل الاستهزاء والاستخفاف والتكذيب، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨﴾ [يونس: ٤٨]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢].

أما عن معنى الآية: فإن أهل الشرك لما هُدِّدوا بالعذاب يوم القيامة قالوا: مستخفين بمن أخبرهم بذلك ومستبعدين لوقوعه ﴿رَبَّنَا﴾ أي: يا ربنا ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أحلل علينا في الدنيا عاجلاً غير آجل نصيبنا من العذاب قبل يوم القيامة؛ والله أعلم.

هذا، وإن كان هناك من أهل العلم من وجَّه الآية توجيهات أُخر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦﴾ يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش: يا ربنا عجل لنا كتبنا قبل يوم القيامة. والقط في كلام العرب: الصحيفة المكتوبة؛ ومنه قول الأعشى:

ولا الملـك النعمـان يـوم لقيتـه بنعمتـه يعطـي القطـوط ويـأفق

يعني بالقطوط: جمع القط، وهي الكتب بالجوائز.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أراد هؤلاء المشركون بمسألتهم ربهم تعجيل القط لهم، فقال بعضهم: إنما سألوا ربهم تعجيل حظهم من العذاب الذي أعد لهم في الآخرة في الدنيا، كما قال بعضهم: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ **[الأنفال: ٣٢]**.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦﴾ أي نصيبنا حظنا من العذاب قبل يوم القيامة، قال: قد قال ذلك أبو جهل: اللهم إن كان ما يقول محمد حقًّا ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ **[الأنفال: ٣٢]**... الآية.

وقال آخرون: بل إنما سألوا ربهم تعجيل أنصبائهم ومنازلهم من الجنة حتى يروها فيعلموا حقيقة ما يعدهم محمد ﷺ فيؤمنوا حينئذٍ به ويصدقوه.

وقال آخرون: مسألتهم نصيبهم من الجنة، ولكنهم سألوا تعجيله لهم في الدنيا.

وقال آخرون: بل سألوا ربهم تعجيل الرزق.

وقال آخرون: سألوا أن يعجل لهم كتبهم التي قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ **[الحاقة: ١٩]** ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ **[الحاقة: ٢٥]** في الدنيا، لينظروا بأيمانهم يعطونها أم بشمائلهم؟ ولينظروا من أهل الجنة هم، أم من أهل النار قبل يوم القيامة استهزاء منهم بالقرآن وبوعد الله.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن القوم سألوا ربهم تعجيل صكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر الذي وعد الله عباده أن

يؤتيهموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا استهزاء بوعيد الله.

وإنما قلنا إن ذلك كذلك؛ لأن القط هو ما وصفت من الكتب بالجوائز والحظوظ، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فكان معلومًا بذلك أن مسألتهم ما سألوا النبي ﷺ لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذي يتبع الأمر بالصبر عليه، ولكن لما كان ذلك استهزاء، وكان فيه لرسول الله ﷺ أذى، أمره الله بالصبر عليه حتى يأتيه قضاؤه فيهم، ولما لم يكن في قوله: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ بيان أي القطوط إرادتهم، لم يكن لما توجيه ذلك إلى أنه معني به القطوط ببعض معاني الخير أو الشر، فلذلك قلنا إن مسألتهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

وقوله: (﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦﴾ هذا إنكار من الله على المشركين في دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب، فإن القط هو الكتاب وقيل: هو الحظ والنصيب.

❁ ❁ ❁

النهي عن تمني البلاء

س: هل يشرع تمني نزول العذاب والبلاء في الدنيا حتى لا يعذب الشخص في الآخرة؟

ج: لا يشرع ذلك، بل المشروع سؤال الله ﷻ العافية أما أهل الكفر فلكونهم يستنكرون وقوع العذاب، وينكرون البعث فإنهم يقولون

مستخفين: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾.

* **وكما قالوا:** ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ **[الأعراف: ٧٠]**.

* **فهكذا** كانوا يستعجلون العذاب، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ **[العنكبوت: ٥٣]**.

* **وقال تعالى:** ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ **[الرعد: ٦]**.

وقد يفعل ذلك من قلَّ علمه من المسلمين.

ففي صحيح مسلم (١) عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَىْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟**». قَالَ: نَعَمْ كُنْتُ أَقُولُ اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِى بِهِ فِى الآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِى فِى الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ لاَ تُطِيقُهُ - أَوْ لاَ تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلاَ قُلْتَ: اللَّهُمَّ** ﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ **[البقرة: ٢٠١]**». قَالَ فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فَشَفَاهُ.

وفي رواية عند مسلم: «**لاَ طَاقَةَ لَكَ بِعَذَابِ اللَّهِ**»، فما المسنون وما المشروع إذن؟!

المسنون والمشروع سؤال الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

المســـنون قـــول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ **[البقرة: ٢٠١]**.

* فكم من شخصٍ سعيد في الدنيا والآخرة.

* **قال تعالى في شأن عيسى** عليه السلام: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾. **[آل عمران: ٤٥]**

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٨٨).

* وموسى عليه السلام ألقى الله عليه محبةً منه، ومع ذلك فهو في الآخرة من المقربين!!

* وسليمان عليه السلام كان نبيًّا ملكًا سُخِّرت له الجنُّ والإنس والطيرُ ومع ذلك إن له عند الله ﴿لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ص: ٢٥].

* وإبراهيم عليه السلام يسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل له لسان صدق في الآخرين، أي ثناءً حسنًا بعد الموت.

فمن ثَمَّ لا يشرع سؤال العذاب، بل يُسأل الأجر والثواب، والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة.

❀ ❀ ❀

س: اذكر بعض الوارد في شأن نبي الله داود عليه السلام، وكذا اذكر شيئًا من فضائله.

ج: أقول، وبالله تعالى التوفيق:

* إنه من الفئة المؤمنة التي ابتليت فخرجت من الابتلاء سالمة آمنة غانمة موفقةً.

* إنه من الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى!

* **هؤلاء الملأ الذين سألوا نبيًّا**(١) **لهم فقالوا:** ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

* لكن نبي الله داود عليه السلام لم يتول ولم ينكص على عقبيه، ولم يُغيِّر

---

(١) قيل: إن هذا النبي اسمه (شمويل)، ولكن لا نعلم دليلًا من الكتاب والسنة على ذلك.

ولم يُبدِّل.

* **إن نبينا محمدًا □ وصف هذا النبي الكريم بقوله:** «... **ولا يفر إذا لاقى»**[١].

وكيف يفرُّ، والفرار كبيرةٌ من أعظم الكبائر؟!! قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦ ﴾ **[الأنفال: ١٥، ١٦]**.

فكيف يُولي الدّبر إذن؟؟؟!!!

* **كيف ذلك والنبي □ يقول:** «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبقاتِ**» قالوا: وما هن يا رسول الله؟... فقال: «.... **وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ**»[٢]؟!

* لم يعترض هذا النبي الكريم قبل نبوته على تأمير طالوت عليهم ولم يحسد طالوت على ما آتاه الله من الفضل، أما غيره من بني إسرائيل فقد اعترضوا و﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ﴾.

[البقرة: ٢٤٧]

* أما أهل الإيمان ومنهم داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فلا يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، بل هم مباركون أينما كانوا، رؤساء أو مرءوسين.

* كذلك فإنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قد مرَّ من ابتلاء النهر بسلامٍ وأمان ووفاء وجاوزه مؤمنًا موقنًا بوعد الله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) صحيح، وسيأتي إن شاء الله.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٨٥٧)، ومسلم (حديث ٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

أما غيره فخالفوا أمر ملكهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وداود عليه السلام من هذه القلة المؤمنة الذين امتثلوا وصبروا فجاوز عليه السلام النهر مؤمنًا مع الفئة المؤمنة - فما جاوز النهر إلا مؤمنٌ - جاوزه في طائفةٍ من أهل الإيمان عددهم عددُ أصحاب بدرٍ من المؤمنين.

أخرج البخاري[(١)] **من حديث البراء** رضي الله عنه **قال:** حدثني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرًا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، بضعة عشر وثلاثمائة.

قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن.

* وماذا بعد أن جاوزا النهر، وماذا لما برزوا لجالوت وجنوده؟!

جاوزا النهر وبرزا لجالوت وجنوده فقالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

لكن داود عليه السلام لم يقل ذلك، بل كان من الطائفة المؤمنة التي تُؤمن بلقاء الله، فكان فيمن قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩].

* **كان فيمن قالوا - لما برزوا لجالوت وجنوده -:** ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠]!!

* فكان ماذا؟

---

(١) البخاري (حديث ٣٩٥٧).

* كان أن مكنه الله من قتل جالوت الكافر، فالحمد لله رب العالمين ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

فهكذا يصبر داود عَلَيْهِ السَّلَامُ على البلاء، وينجو من ابتلاءٍ تلو ابتلاء وهكذا تكون العاقبة للتقوى!!!

* لم يرتدّ على عقبيه لما فُرض عليه القتال!!

* لم يعترض على تأمير طالوت عليهم!!

* لم يشرب من النهر، بل صبر امتثالًا للأمر!!

* لم يضعف ولم يهن عن لقاء العدو، بل استعان بالله وصبر!!

* لم يترك نفسه لنفسه ولم يغتر بقوته، بل سأل الله العون وطلب منه الصبر والثبات والنصر على الأعداء!!

فصبرٌ يتلوه صبرٌ!! وثباتٌ يتبعه ثبات!!!

واستعانةٌ بالله بعد استعانةٍ! وسؤالُ الله النصر على الأعداء!!

ويقين بالله مع إيمانٍ وصبرٍ!

فبهذا ـ بعد توفيق الله ـ تناول الإمامة: بالصبر واليقين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، نعم تُنال الإمامة بالصبر واليقين.

* وقال تعالى في شأن الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] ابتلى الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأوامر ونواهٍ، فامتثل الأمر واجتنب ما نهاه عنه ربه عَزَّ وَجَلَّ، فجعله الله الناس إمامًا!!

قال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا

يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

* لقد آتاه الله الملك.

* بل لقد أصبح بعدُ خليفةً في الأرض!!

* قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص: ٢٦]!!

ولكنه لم يكن خليفةً ظالمًا ولا ملكًا جائرًا جاهلًا، بل ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وكذا فهو عالمٌ بأمور دنياه وسياسة رعاياه قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾.

[البقرة: ٢٥١]

فهو نبي كريمٌ، وملكٌ حكيمٌ وخليفةٌ عادلٌ، وعالمٌ عابدٌ عليه السلام!!

ثم ماذا كان منه عليه السلام أمام هذه النعم المترادفة والفضل الواسع والعطاء الزائد من الله عز وجل؟!!

لقد كان من الشاكرين!!

لقد امتثل أمر ربه إذ أمره فقال: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ: ١٣].

لقد كان من القليل الشاكر.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥﴾ [النمل: ١٥]، فقدم داود حمدًا لله على ما منَّ به وأنعم، وتفضَّل به وتكرَّم.

وبهذا تُزاد النعم، ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٧]، فالحمد لله رب العالمين.

وبضدها وبالجحود تزول: ﴿وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ **[إبراهيم: ٧].**

لفتة كريمة:

أمر الله ﷻ نبيه داود بالذي أمره به إذ قال: ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾ **[سبأ: ١١]**، وهذا مما يتعلق بأمور الدنيا.

والدروع السابغات تتقى بها سهام العدو، فصنعتها صنعة نافعة.

فلينظر قوم في أعمالهم، هل أعمالهم نافعةٌ وفيها خيرٌ وصلاحٌ أم ماذا يعملون؟؟

* والذي نلفت النظر إليه أن الله ﷻ بعد أن حث على عملٍ نافعٍ يتعلق كثيرًا بأمور الدنيا - وأمر داود عليه السلام بالدِّقة في هذا العمل بقوله: ﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾ - ذكَّر بأمر الآخرة والعمل لها فقال سبحانه: ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ **[سبأ: ١١]** أي: وأقبلوا على الله ﷻ بالأعمال الصالحة التي تقربكم إليه.

فيدخل في هذا الصلاةُ والصيام والصدقة وسائر أعمال البر عمومًا.

فعلى سبيل المثال:

يقول سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ **[الأعراف: ٢٦]**، أي: قد أنزلنا عليكم لباسًا تسترون به عوراتكم، وتتزينون به كذلك، ثم ذكَّر ربُّنا سبحانه وتعالى بلباس هو خيرٌ وأفضل، فقال سبحانه: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ **[الأعراف: ٢٦]**، فذكَّر ربنا سبحانه وتعالى بلباسٍ ينبغي أن نكتسي به وأن نتجلل به وأن تُعمَّر به قلوبنا، ألا وهو لباسُ التقوى.

* **ونحوه قول الله تبارك وتعالى:** ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ **[البقرة: ١٩٧]**، ثم أشار إلى

زاد آخر أهم وأعظم فقال: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

* ونحو هذا التذكير في قول الله تعالى لنبيه سليمان عليه السلام مع الجن، إذ قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣]، ثم ذكَّر الله سبحانه وتعالى نبيه سليمان عليه السلام بتقديم شكرٍ لذلك، فقال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

ألا فليذكر اللهَ الذاكرون، وليشكره الشاكرون.

ألا فليذكر اللهَ التجارُ في تجارتهم والصُّناعُ في صنائعهم و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾

[المنافقون ٩]

وعن عبادة نبي الله داود عليه السلام

وتعبُّدُ نبي الله داود عليه السلام من أفضل التعبد وأحبه إلى الله عز وجل، فصلاته أحب الصلاة إلى الله، وقيامه أحب القيام، وصيامه أحب الصيام، وتلاوته من أحب التلاوة وأحسنها وأجملها، ففي الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ**»(١).

وفي رواية في الصحيح أيضًا: «**فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ عليه السلام وَكَانَ يَصُومُ**

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٢٠)، ومسلم (حديث ١١٥٩).

يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلاَ يَفِرُّ إِذَا لاَقَى»[(١)].

وفي لفظ آخر في الصحيح[(٢)] أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّى أَقُولُ وَاللَّهِ لأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلأَقُومَنَّ اللَّيْلَ، مَا عِشْتُ. فقال له رسول الله ﷺ: «أَنْتَ الَّذِي تَقُول: وَاللَّهِ لأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلأَقُومَنَّ اللَّيْلَ، مَا عِشْتُ»، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى. قَالَ: «فَإِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَ أَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ». قُلْتُ: إِنِّى أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ». قُلْتُ: إِنِّى أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يا رسول الله. قَالَ: «فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ - عليه السلام - وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ».

فَقُلْتُ: إِنِّى أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «لاَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ».

وعبادة داود هذه إنما هي بتيسير الله له وتسهيله عليه، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة[(٣)] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ - عليه السلام - الْقُرْآنُ[(٤)]، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ

---

(١) البخاري (حديث ٣٤١٩).

(٢) البخاري (حديث ٣٤١٨)، ومسلم (حديث ١١٥٩).

(٣) البخاري (حديث ٣٤١٧).

(٤) قيل: المراد بالقرآن: القراءة، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: في رواية الكشميهني (القراءة) قال: والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته، وقيل المراد: الزبور، وقيل: التوراة، وقراءة كل نبي تطلق على كتابه الذي أوحى إليه، وإنما سماه قرآنا للإشارة إلى وقوع المعجزة به كوقوع المعجزة بالقرآن، أشار إليه صاحب (المصابيح) والأول أقرب، وإنما ترددوا بين الزبور والتوراة؛ لأن الزبور كله مواعظ، وكانوا يتلقون الأحكام من التوراة... (الفتح ٦/٥٢٤).

دَوَابُّهُ[(١)]، وَلاَ يَأْكُلُ إلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ».

❁ ❁ ❁

س: قد وهب الله ﷻ نبيه داود عليه السلام صوتًا حسنًا في غايةٍ من الحُسن، جميلًا في غايةٍ من الجمال، فكان إذا سبَّح أجابته الجبال، واجتمعت إليه الطيور، كل معه مسبحٌ، وكل معه مُرجعٌ في منظر عجيب، ومشهد مهيب!! سكينةٌ تتنزل!! ملائكة تحفُّ!! نبيٌ كريمٌ يُرتِّل!! والرب مطلعٌ وشاهدٌ وبصيرٌ!! فرجو التذكير بشيء من فضل تحسين الصوت بالقرآن.

ج: من ذلك ما يلي:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ٤].

* وقال النبي ﷺ: «زيِّنُوا القرآن بأصواتكم»[(٢)].

* وقال عليه الصلاة والسلام: «ما أذِنَ اللهُ لشيءٍ ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به»[(٣)].

* وفي رواية: «لم يأذن الله لشيء ما أذِنَ لنبيٍّ أن يتغنى بالقرآن»[(٤)].

* وفي ثالثة: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»[(٥)].

قلت (مصطفى): الكتاب الذي أنزله الله على داود عليه السلام هو الزبور كما هو معلوم، وقد قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝١٦٣﴾ [النساء: ١٦٣].

(١) سبحان من بارك لداود عليه السلام في وقته، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفي الحديث أن البركة قد تقع في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير.

(٢) صحيح لشواهده: وأخرجه أحمد (٢٨٣/٤) وغيره، وله شواهد.

(٣) البخاري (حديث ٧٥٤٤).

(٤) البخاري (مع الفتح ٦٨/٩).

(٥) أبو داود (١٥٥/٣) وهو عند البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وبه علة.

* **وقال □: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة...»** [(١)].

❁ ❁ ❁

وكان عليه السلام يأكل من عمل يده

وهذا من أطيب الكسب وأفضله.

* **قال النبي □: «ما أكل أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»** [(٢)] أخرجه البخاري من حديث المقدام رضي الله عنه مرفوعًا.

وفي الصحيح أيضًا من حديث أبي هريرة أن النبي □ قال: «خُفِّف على داود عليه السلام القرآن...»، فذكر الحديث، وفيه: **«ولا يأكل إلا من عمل يده»** [(٣)].

هذا مع أنه عليه السلام كان خليفة في الأرض، إلا إنه كان يأكل من عمل يده، قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [سبأ: ١١].

فقد كان عليه السلام يعمل دروعًا سابغات واسعة طويلة تقي من يلبسها سهام العدو ونبله [(٤)]، وتحفظه بإذن الله من ضربات السيوف.

وتعلم داود عليه السلام هذه الصنعة بتعليم الله له كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وكما قال تعالى: (

---

(١) مسلم (مع النووي ٦/٨٤).

(٢) البخاري (٢٢٠٧).

(٣) صحيح، وقد تقدم.

(٤) ونحوها القمصان الواقية التي يرتديها الرؤساء لوقايتهم طلقات الرصاص.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ۝٨٠﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وقد امتنَّ الله عليه بمعجزةٍ لم يؤتها غيره من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ألا وهي إلانة الحديد في يده يشكّله كيف يشاء، ويكيفه ويوجهه حيث يُريد، لا يحتاج إلى مطرقةٍ، ولا يحتاج إلى نار.

وعلّمه الله دقة الصنعة فقال له: ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١] أي: اجعل المسمار على قدر الثقب، فلا تجعل المسمار أغلظ من الثُّقب فيفصم الحديد عند طرق المسمار فيه، ولا تجعل الثقب أوسع من المسمار فلا يؤدي المسمار الغرض الذي من أجله صنع، بل اجعل قطر المسمار مماثلًا لقطر الثُّقب الذي سيُوضع فيه المسمار أو أقل قليلًا جدًا بالقدر الذي يسمح بدخول المسمار في الثقب، وهذا بلا شك من إتقان العمل.

الحاصل: أن نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يعمل بيده وكان يتقن العمل وهكذا الأنبياء عليهم الصلاة والصالحون.

فمنهم من كان يرعى الغنم، بل كل نبيٍّ قد رعى الغنم، قال عليه الصلاة والسلام: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الْغَنَمَ». فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ»(١).

* ومنهم من كان نجارًا كنوح وزكريا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري (حديث ٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

من فوائد

التذكير بقصص الأنبياء

س: ما فائدة التذكير بقصص الأنبياء عليهم السلام؟

ج: لذلك فوائد، منها:

للاتعاظ والاعتبار، وكما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١].

* وتُساق وتُذكر أيضًا لتثبيت الفؤاد وطمأنة القلوب، كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

* ونُذكّر بهذه القصص كي نتأسى بهم في صبرهم، وفي بَذْلهم وعطائهم وتبليغهم رسالات ربهم، قال تعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ).

[الأحقاف: ٣٥]

لقد أمرنا بالاقتداء بهؤلاء الأنبياء والصالحين واتباع سبيلهم قال تعالى:

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥].

❁ ❁ ❁

شيء من ذكر نبي اللّه داود عليه السلام

س: لماذا خُصَّ داود عليه السلام بالذّكر في قوله تعالى: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ....﴾؟

ج: أقول ـ والله تعالى أعلم ـ: إنه عليه السلام ذُكر دون غيره من الأنبياء في هذا المقام ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾، والله تعالى أعلم، لأمر يتناسب مع هذا المقام ألا وهو حسن قيامه عليه السلام، أعني حسن قيامه في صلاته من الليل، وحسن عبادته عمومًا، فكأن المعنى: اصبر على ما يقولون، وصلِ صلاة كصلاة داود عليه السلام، وتعبَّد ربك كما يتعبد فقد كان صابرًا على العبادة قويًّا في الطاعة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أحب القيام إلى الله قيام داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود عليه السلام**»(١).

فعليه يكون المعنى: اصبر على ما يقولون وصلِّ واجتهد في عبادتك... وهذا يتمشى مع سائر الوصايا في كتاب الله عند الشدائد.

فمن الوصايا التي كثيرًا ما نُوصَى بها لمواجهة الشدائد والصعاب الوصية بالصبر والصلاة، فهذا من خير ما تواجه به الشدائد والصعاب.

* **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة: ١٥٣]

* **وقال سبحانه:** ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ [البقرة: ٤٥]

* **وقال تعالى:** ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ [ق: ٣٩]، والمراد: صلاتي الفجر والعصر.

* وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [الطور: ٤٨، ٤٩].

* فكلها تتمشى مع ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [ص: ١٧] أي: اذكر صلاته وعبادته وخشيته لله ﷻ، وحسن تلاوته وترتيله، وقوته في العبادة واجتهاده فيها.

* قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعطي قوةً في العبادة وفقهًا في الإسلام.

❀ ❀ ❀

س: بم أوصى الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ أن يفعله أمام جحود الجاحدين وتكذيب المكذبين وإنكار المنكرين للبعث واستبعادهم له؟

ج: أوصاه بالصبر وبالصلاة فها هنا قال: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾ أي: تذكر صلاته، فصل كما كان يصلي.

❀ ❀ ❀

س: ما المستفاد من قوله تعالى: ﴿عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾؟

ج: المستفاد التذكير بعبوديته لله ﷻ.

* لقد وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه عبدٌ، فقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [ص: ١٧] نعم هو عبدٌ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وكذا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم لله عبيد.

* قال تعالى في شأن نبينا محمدٍ ﷺ: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠].

* وقال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء: ١].

* وقال سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا...﴾ [البقرة: ٢٣].

وثم أدلة أخر في هذا الصدد.

* وقال سبحانه وتعالى في شأن عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ٥٩].

* وقال عيسى عليه السلام عن نفسه أول ما تكلم في المهد ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾. [مريم: ٣٠]

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾.

ج: هذا تصبيرٌ من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتثبيت له وإرشاد وتبصير، فالمعنى اصبر يا رسول الله على ما يقوله قومك لك مستنكرين البعث والحساب وتذكر عبدنا داود عليه السلام القوي في العبادة المجتهد فيها، فاجتهد كما كان يجتهد، فقد كان قويًا في العبادة، ومع ما آتيناه من النعم كان رجاعًا إلى الله مكثرًا من الاستغفار والتسبيح والصلاة.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: اصبر يا محمد على ما يقول مشركو قومك لك مما تكره قيلهم لك، فإنا ممتحنوك بالمكاره امتحاننا سائر رسلنا قبلك، ثم جاعلو العلو والرفعة والظفر لك على من كذبك وشاقك سنتنا في الرسل الذين أرسلناهم إلى عبادنا قبلك فمنهم عبدنا أيوب وداود بن إيشا،

فاذكره (ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ)؛ ويعني بقوله: (ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ) ذا القوة والبطش الشديد في ذات الله والصبر على طاعته.

وقوله: (إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾) يقول: إن داود رجاع لما يكرهه الله إلى ما يرضيه أواب، وهو من قولهم: آب الرجل إلى أهله: إذا رجع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقب تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾.

ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم آمرًا له بالصبر على أذاهم ومبشرًا له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر.

(ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾.

يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: أنه كان ذا أيد والأيد: القوة في العلم والعمل.

قال ابن زيد والسدي: الأيد: القوة وقرأ ابن زيد: (وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾) **[الذاريات: ٤٧]**.

وقال مجاهد: الأيد: القوة في الطاعة.

وقال قتادة: أعطي داود قوة في العبادة وفقها في الإسلام، وقد ذكر لنا أنه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر.

وهذا ثابت في الصحيحين عن رسول الله □ أنه قال: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا ولا يفر إذا لاقى**»، وإنه كان أوابا، وهو الرجاع إلى الله عَزَّ وَجَلَّ في جميع أموره وشئونه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ) أمر نبيه بالصبر لما استهزءوا به، وهذه منسوخة بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾ لما ذكر من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالصبر على أذاهم وسلاه بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء ليتسلى بصبر من صبر منهم وليعلم أن له في الآخرة أضعاف ما أعطيه داود وغيره من الأنبياء وقيل: المعنى اصبر على قولهم واذكر لهم أقاصيص الأنبياء لتكون برهانًا على صحة نبوتك (ذَا ٱلۡأَيۡدِ) ذا القوة في العبادة وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا وذلك أشد الصوم وأفضله وكان يصلي نصف الليل وكان لا يفر إذا لاقى العدو وكان قويًّا في الدعاء إلى الله تعالى وقوله: (عَبۡدَنَا) إظهار لشرفه بهذه الإضافة.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض نعم الله عَزَّوَجَلَّ على نبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ج: من هذه النعم ما يلي:

ما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ إذ قال: (﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ (١) وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝١١﴾ [سبأ: ١٠-١١].

يذكر الله سبحانه وتعالى بعض نعمه على هذا النبي الكريم داود عَلَيْهِ السَّلَامُ،

(١) السرد: المسامير في الخلق، أما السابغات: فهي الدروع الكوامل الطوال الواسعة.

فمن ذلك:

* أن جعله الله نبيًّا كريمًا.

* ومن ذلك تسخير الجبال معه تسبح بتسبيحه، وتُرجع بترجيعه، وكذلك الطيور ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠].

* وكذلك إلانة الحديد له، فكما قال بعض العلماء: كان لا يحتاج إلى أن يُدخل الحديد نارًا، ولا أن يطرقه بمطرقةٍ، بل سهله الله عليه ولينه الله له، كالخيوط، وقيل كالطين، والله على كل شيء قدير، قادرٌ ربنا على أن يجعل الصعب سهلًا، والحديد لينًا، والنار بردًا وسلامًا. قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ١٠﴾ [سبأ: ١٠].

* وكذا علمه الله سبحانه وتعالى - والله خلق كل صانع وصنعته - صنعة الدروع السابغات. قال تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ﴾ [سبأ: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وعلمه الله الدِّقة في هذه الصنعة، ومنه نستفيد الدقة في الأعمال، قال تعالى: ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١] أي: اجعل الثقب على قدر المسمار.

* ومن نعم الله على هذا النبي الكريم أن مكنه من قتل جالوت، ثم إن الله سبحانه وتعالى آتاه الملك والحكمة وعلمه مما يشاء، آتاه الملك وجعله خليفة، كما قال سبحانه: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦].

* وجعل ملكه قويًّا، وجعله مهابًا، كما قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [ص: ٢٠].

* وآتاه الحكمة كما قال: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ٢٠﴾ [ص: ٢٠].

* ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، صناعة الدروع وغيرها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٥﴾.

[النمل: ١٥]

* وآتاه زبورًا، وهو الكتاب الذي أنزله الله عليه، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء: ١٦٣].

* وكذا آتاه الله سبحانه وتعالى صوتًا حسنًا عظيمًا.

* ومن نعم الله سبحانه وتعالى على هذا النبي الكريم أن رزقه ولدًا صالحًا، قال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠﴾ [ص: ٣٠].

* ومن نعمه عليه أيضًا أن منَّ عليه بالتوبة والمغفرة، وجعله من المقربين، قال تعالى: ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٢٥﴾ [ص: ٢٥].

* ثم إن الله سبحانه وتعالى بعد أن ذكر بعض مننه على داود عليه السلام حثه على العمل الصالح وأمره به، فحتى لا يشغل بعمل السابغات، الدروع الواقيات، قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١]، فحثه الله على العمل الصالح عمومًا، وحثه على الشكر خصوصًا بقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾.

وذلك حتى لا ينسى ذكر الله في خضم العمل في الحياة الدنيا.

❁ ❁ ❁

عمر داود عليه السلام

س: كم عُمر هذا النبي الكريم (داود) عليه السلام؟

ج: ورد عن رسول الله ﷺ بإسنادٍ صحيح[(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذن الله. فقال له ربه: يرحمك ربك يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملإ منهم جلوس، فسلم عليهم، فقال: السلام عليكم، فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال: هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم، وقال الله جل وعلا ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت. فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته، فقال: أي رب ما هؤلاء؟ فقال: هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان منهم مكتوب عمره بين عينيه، فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم لم يكتب له إلا أربعين سنة. قال: يا رب، ما هذا؟ قال: هذا ابنك داود. وقد كتب الله عمره أربعين سنة. قال: أي رب، زده في عمره. قال: ذاك الذي كتبت له. قال: فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة. قال: أنت وذاك اسكن الجنة، فسكن الجنة ما شاء الله، ثم أهبط منها، وكان آدم يعد لنفسه، فأتاه ملك الموت، فقال له آدم: قد عجلت، قد كتب لي ألف سنة. قال: بلى، ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته، فيومئذ أمر بالكتاب والشهود**».

❁ ❁ ❁

---

(١) ابن حبان بسندٍ صحيح لغيره (٢٠٨٢).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾.

ج: أقول - وبالله ﷻ التوفيق -: إن الله ﷻ وهب نبي الله داود عليه السلام صوتًا حسنًا في غايةٍ من الحسن جميلًا في غاية من الجمال، فكان إذا سبَّح أجابته الجبال واجتمعت إليه الطيور، كلٌّ معه مسبحٌ، وكلٌّ معه مُرجع في منظر عجيب ومشهدٍ مهيب!! سكينةٌ تتنزل!! ملائكة تحف!! نبي كريم يُرتل!! والربُّ مطلع وشاهد وبصير!!!

فالمعنى: أن الله ﷻ سخَّر الجبال بحصاها وبرمالها مع داود عليه السلام تسبح معه إذا سبح بالعشي وهو ما بين صلاة العصر إلى الليل، والإشراق عند شروق الشمس.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إنا سخرنا الجبال يسبحن مع داود بالعشي، وذلك من وقت العصر إلى الليل، والإشراق، وذلك بالغداة وقت الضحى.

ذكر أن داود كان إذا سبح سبحت معه الجبال.

وأورد الطبري من طريقين (١) عن سعيد بن أبي عروبة، عن أبي المتوكل (٢)، عن أيوب بن صفوان، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أن ابن عباس كان لا يصلي الضحى، قال: فأدخلته على أم هانئ، فقلت:

---

(١) والسند بهما يصح إلى سعيد بن أبي عروبة، ولأصله شواهد يصح بها.
(٢) عند الطبري في السند الآخر: «عن متوكل».

أخبري هذا بما أخبرتني به، فقالت أم هانئ: دخل علي رسول الله ﷺ يوم الفتح في بيتي، فأمر بماء فصب في قصعة، ثم أمر بثوب فأخذ بيني وبينه، فاغتسل، ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات، وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء، قريب بعضهن من بعض، فخرج ابن عباس، وهو يقول: لقد قرأت ما بين اللوحين، ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ وكنت أقول: أين صلاة الإشراق، ثم قال: بعدهن صلاة الإشراق.

وقد ورد من طرق أن ابن عباس كان يقول عن صلاة الضحى: صلاة الإشراق - والله أعلم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾) أي: إنه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار، كما قال تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠]، وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه إذا مر به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا تستطيع الذهاب بل تقف في الهواء وتسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعًا له.

أما قوله تعالى: (وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾، فمعناه: وسخرنا أيضًا مع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ الطير مجموعةً له إذا دعاها، كل معه مسبح وكل معه مُرجعٌ وكل له مطيع.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ يقول تعالى ذكره: وسخرنا الطير يسبحن معه

محشورة بمعنى: مجموعة له؛ ذكر أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا سبح أجابته الجبال، واجتمعت إليه الطير، فسبحت معه واجتماعها إليه كان حشرها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗ﴾: مسخرة.

وقوله: ﴿كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩﴾ يقول: كل ذلك له مطيع رجاع إلى طاعته وأمره. ويعني بالكل: كل الطير.

* **أما قوله تعالى:** ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠﴾، فهذه أيضًا مِنَّةٌ من الله ﷻ على داود عليه السلام، قوله: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ﴾ أي: قوَّيناه، وذلك- على ما ذكره العلماء بأمرين:

أحدهما: بالجنود، فقد كان حرس داود عليه السلام - على ما ذُكر - آلافًا مؤلفة.

والثاني: بالهيبة التي قذفها الله في قلوب الناس لداود عليه السلام.

وقد أورد **الطبري** أثرًا عن ابن عباس رضي الله عنهما - وهذا يغلب أنه من الإسرائيليات - حاصله يبين سبب الهيبة التي قذفت في قلوب الناس لداود عليه السلام، والظاهر لي أن هذه الهيبة إنما هي من الله ﷻ والنفس لا تطمئن إلى ثبوت ما ذكره **الطبري بسنده إذ قال:**

حدثني ابن حرب، قال: ثنا موسى، قال: ثنا داود، عن علباء بن أحمر، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رجلًا من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم، فاجتمعا عند داود النبي ﷺ فقال المستعدي: إن هذا اغتصبني بقرا لي، فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده، فسأل الآخر البينة، فلم يكن له بينة، فقال لهما داود: قوما حتى أنظر في أمركما؛ فقاما من

عنده، فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الرجل الذي استعدي عليه، فقال: هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت، فأوحى الله إلى داود في منامه مرة أخرى أن يقتل الرجل، وأوحى الله إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة من الله، فأرسل داود إلى الرجل: إن الله قد أوحى إلي أن أقتلك، فقال الرجل: تقتلني بغير بينة ولا تثبت؟! فقال له داود: نعم، والله لأنفذن أمر الله فيك؛ فلما عرف الرجل أنه قاتله، قال: لا تعجل علي حتى أخبرك، إني والله ما أخذت بهذا الذنب، ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته، فبذلك قتلت، فأمر به داود فقتل، فاشتدت هيبة بني إسرائيل عند ذلك لداود، وشدد به ملكه، فهو قول الله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ (١).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقب ذِكره الأثر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أنه شدد ملك داود، ولم يحصر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة من الناس له ولا على هيبة الناس له دون الجنود. وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ما ذكرنا، وجائز أن يكون كان بجميعها، ولا قول أولى في ذلك بالصحة من قول الله، إذ لم يحصر ذلك على بعض معاني التشديد خبر يجب التسليم له.

*** أما قوله تعالى:** ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾، فالحكمة الإصابة والسداد في القول والعمل، ووضع الشيء في موضعه الصحيح، والحكمة أيضًا تطلق على النبوة وتُطلق على السنة، وقد أوتي داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذلك كان نبيًّا كريمًا رُزق فهمًا طيبًا في الفصل في القضايا وكان مُسددًا في القول والعمل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكذا

(١) الطبري (٢٩٨٢١)، وعزاه ابن كثير إلى ابن أبي حاتم أيضًا.

منَّ الله عليه بـ ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾، فكلماته كانت تفصل بين الحق والباطل، وكانت تفصل وبسرعة بين الخصوم، وقد قال بعض العلماء: إن المراد بفصل الخطاب، هو ما يفصل به بين الخصوم إما بالشهود وإما بالأيمان، وإما بالفهم الصحيح للقضية، والقضاء الصحيح فيها.

وأورد ابن كثير أثرًا بإسنادٍ فيه ضعف: وعزاه إلى ابن أبي حاتم بسنده إلى أبي موسى رضي الله عنه قال: أول من قال: «أما بعد» داود عليه السلام وهو فصل الخطاب.

وأورد الطبري بسنده إلى الشعبي قال في قوله: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾ قول الرجل أما بعد.

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب، والفصل: هو القطع، والخطاب هو المخاطبة، ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما إلى صاحبه قطع المحتكم إليه الحكم بين المحتكم إليه وخصمه بصواب من الحكم، ومن قطع مخاطبته أيضًا صاحبه إلزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه إن كان مدعيا، فإقامة البينة على دعواه وإن كان مدعى عليه فتكليفه اليمين إن طلب ذلك خصمه. ومن قطع الخطاب أيضا الذي هو خطبة عند انقضاء قصة وابتداء في أخرى الفصل بينهما بأما بعد. فإذ كان ذلك كله محتملًا ظاهر الخبر ولم تكن في هذه الآية دلالة على أي ذلك المراد، ولا ورد به خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثابت، فالصواب أن يعم الخبر، كما عمه الله، فيقال: أوتي داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة

والخطب.

❁ ❁ ❁

(٤٣٣) أحمر أسود

قال الله تعالى:

﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ
مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ
وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ
أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ
كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا
هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩ ٢٤ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ
وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٢٥ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ
وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧ أَمۡ نَجۡعَلُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ
كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ
٢٩ ﴾ [ص: ٢١-٢٩]

س: وضح معنى ما يلي:

(ٱلۡخَصۡمِ –تَسَوَّرُواْ –ٱلۡمِحۡرَابَ –فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ –خَصۡمَانِ –بَغَىٰ –وَلَا تُشۡطِطۡ –وَٱهۡدِنَآ –سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ –أَكۡفِلۡنِيهَا –وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ –ظَلَمَكَ –بِسُؤَالِ –ٱلۡخُلَطَآءِ –فَتَنَّٰهُ –وَخَرَّ رَاكِعٗا –وَأَنَابَ– لَزُلۡفَىٰ –وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ –فَيُضِلَّكَ –نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ –بَٰطِلٗاۚ –ظَنُّ –ٱلۡفُجَّارِ –لِّيَدَّبَّرُوٓاْ –وَلِيَتَذَكَّرَ –أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ).

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلۡخَصۡمِ)	قوم بينهم خصومة
(تَسَوَّرُواْ)	تسلقوا أسوار المحراب
(ٱلۡمِحۡرَابَ)	أشرف شيء في المكان - مكان العبادة
(فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ)	فخاف منهم
(خَصۡمَانِ)	نحن خصمان بيننا خصومة
(بَغَىٰ)	تعدى - ظلم
(وَلَا تُشۡطِطۡ)	لا تجور - لا تميل - لا تحيد
(وَٱهۡدِنَآ)	دلنا - أرشدنا
(سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ)	الطريق المستقيم العدل الوسط الموصل إلى مرضاة الله ﷻ
(أَكۡفِلۡنِيهَا)	اتركها لي وأضمها إليَّ وأكون لها كفيلًا
﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾	غلبني بالحجة والبطش، إن تكلم كان أفصح مني بيانًا، وإن تضاربنا كان أشد مني وأقوى وأشد بطشًا وإن دعا ودعوت كان أكثر مني

(ظَلَمَكَ)بخ	بخسك حقك
(بِسُؤَالِ)	بطلب ضم نعجتك إلى نعاجه
(ٱلْخُلَطَآءِ)	الشركاء
(فَتَنَّهُ)	اختبرناه - ابتليناه
(وَخَرَّ رَاكِعًا)	هوى ساجدًا
(وَأَنَابَ ۩)	رجع وتاب
(لَزُلْفَىٰ)	لقربى - لمنزلة المقربين
(وَحُسْنَ مَـَٔابٍ)	مرجع حسن يلقاه يوم القيامة ومنقلب حسن - جزاء حسن - حسن مصير
(فَيُضِلَّكَ)	يحيد بك عن طريق الحق - يصرفك
(نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ)	تركوا العمل ليوم القيامة
(بَٰطِلًا ۚ)	عبثًا - بلا فائدة
(ظَنُّ)	تفكير - اعتقاد
(ٱلْفُجَّارِ)	الكفار المنتهكون لحرمات الله
(لِّيَدَّبَّرُوٓا۟)	ليتفكروا - ليتفهموا
(وَلِيَتَذَكَّرَ)	ليعتبر
(أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۞)	أصحاب العقول والأفهام الرشيدة

❁ ❁ ❁

س: هل الخصمان ملكان أم أنهما من البشر؟

ج: ليس عندي من النصوص ما يُرجح وجهًا على وجهٍ لكن عمومًا فتمثل الملائكة بصورة البشر واردٌ وعليه عدة أدلة من الكتاب والسنة.

فمن كتاب الله ﷻ:

* **قوله تعالى في شأن مريم عليها السلام:** ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ١٧﴾ **[مريم: ١٧]**.

* **وقوله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام:** ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ٦٩﴾ **[هود: ٦٩]**.

* **وقوله تعالى في شأن لوط عليه السلام:** ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ٧٧﴾ **[هود: ٧٧]** إلى قوله: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ﴾ **[هود: ٨١]**.

* **ومن سنة رسول الله ﷺ:**

* مجيء جبريل في صورة رجلٍ شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، وسؤاله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة[١]، على ما في حديث عمر رضي الله عنه في صحيح مسلم.

* وحديث الأبرص والأقرع والأعمى الذين ابتلاهم الله ﷻ[٢].

* وحديث الرجل الذي زار أخًا له في الله فأرصد الله له ملكًا على مدرجته[٣].

---

(١) مسلم (حديث رقم ٨).

(٢) البخاري (حديث ٥٠٠)، ومسلم (٢٢٧٥).

(٣) مسلم (حديث ٢٥٦٧).

وكثيرٌ جدًّا من الأحاديث في هذا الباب.

فالحاصل:

أولًا: أن الملائكة قد تأتي في صورة بشر، وتُكلِّم الناسَ، وكل هذا بإذن الله.

ثانيًا: أن من أهل العلم من نفي الخلاف في كون الخصمين من الملائكة.

هذا، وقد قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا خلاف بين أهل التفسير أنه يُراد به هاهنا ملكان.

فالله تعالى أعلم بالصواب.

وتردُ أسئلة على من قال إنهما ملكان:

السؤال الأول: كيف يتسورا المحراب وهما ملكان؟!

وجوابه أنهما صنعا ما يصنع البشر لإزالة الالتباس عنهما.

الثاني: كيف يكونا ملكين وبينهما خصومة؟!

وجوابه أن الله رخص لهما في قول ذلك للابتلاء والاختبار.

الحاصل أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى الخصمين، فمن ثَمَّ فزع منهم، ولا ضير في هذا على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

❁ ❁ ❁

س: ما الذي أفزع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ من الخصمين؟

ج: الذي أفزعه من الخصمين أنهما لم يأتيا البيوت من أبوابها، بل تسلقا السور حتى دخلا المحراب!! وكما هو معلوم فإن البيوت تؤتى من أبوابها، ويدخلها الداخل بعد استئذان، لقوله تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ

أَبْوَٰبِهَاۚ) [البقرة: ١٨٩]، ولقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ) [النور: ٢٧].

ولكن الخصمان لم يستأذنا في الدخول، ولم يأتيا البيت من بابه، بل أتوه من أعلى السور، فهذا الذي أفزع نبي الله داود عليه السلام!!

هل يخاف المؤمن

س: كيف فزع داود عليه السلام وهو نبي؟ فهل الخوف يتسرب إلى الأنبياء وأهل الإيمان؟

ج: نعم، قد يتسرب ذلك إليهم فالفزع الجبلي، والخوف الجبلي يتسربان حتى إلى أهل الصلاح.

* قال تعالى في شأن نبيه موسى عليه السلام لما رأى العصا وقد ألقيت، تهتز كأنها جان: (فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ). [القصص: ٣١]

* وقال نبي الله يعقوب عليه السلام لنبيه لما سألوه أن يترك يوسف معهم (وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾) [يوسف: ١٣]، وقال نبي الله موسى عليه السلام: (وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾) [الشعراء: ١٤].

* **وقال تعالى في شأن أهل الإيمان:** (وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ) [الأنفال: ٢٦].

* فلا ضير ولا حرج ولا عتب على داود عليه السلام إذ فزع منهم!!

❁ ❁ ❁

س: لا يشرع للمسلم أن يروِّع إخوانه المؤمنين بل عليه أن يطمئنهم

إذا خافوا ويُسري عنهم إذا فزعوا، دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك: قول الخصمين لداود عليه السلام لما رأوه قد فزع منهم: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ...﴾.

وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن مع إخوانه لا يروعهم ولا يزعجهم، بل يُذهب عنهم الروع والخوف قدر استطاعته.

* ولما تمثل الملك لمريم عليها السلام بشرًا سويًّا، وقالت له: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ [مريم: ١٨]، ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ [مريم: ١٩].

* **وأيضًا فإنها لما ألجأها المخاض إلى جذع النخلة فقالت:** ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾. [مريم: ٢٣-٢٤]

* والملائكة عليهم السلام يطمئنون إبراهيم عليه السلام فيقولون: ﴿لَا تَخَفۡ﴾ [هود: ٧٠].

* **ويطمئنون لوطًا لما قال هذا يوم عصيب فيقولون:** ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾ [هود: ٨١].

* أيضًا أخرج أبو داود (١) بإسنادٍ صحيح عَنْ عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ في مسيرٍ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى نبلٍ معه فأخذه فلما استيقظ الرجل فزع، فضحك القوم، فقال: «**ما يضحككم؟**»، فقالوا: لا، إلا

(١) أبو داود (٥٠٠٤)، وأحمد (٣٦٢/٥).

أنا أخذنا نبل هذا ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يُروِّع مسلمًا**».

* وأخرج أبو داود[(١)] وأحمد وعبد بن حميد وغيرهم بإسناد حسن من حديث عن عبد الله بن السائب بن يزيد عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يأخذن أحدكم متاع صاحبه جادًّا ولا لاعبًا، وإذا وجد أحدكم عصا صاحبه فليرددها عليه**».

* وفي الصحيحين[(٢)] كذلك من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «**إذا مرَّ أحدكم في مسجدنا ـ أو في سوقنا ـ ومعه نبلٌ فليمسك على نصالها**» أو قال: «**فليقبض بكفِّه أن يُصيب أحدًا من المُسلمين منها شيءٌ**».

* وفي الصحيح[(٣)] كذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**من أشار إلى أخيه بحديدةٍ فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه**».

❁ ❁ ❁

تذكير القضاة بالله

س: يجوز للخصوم أن يذكروا القاضي أن يحكم بينهم بالعدل، وكذا يشرع للقاضي أن يُذكِّرَ الخصوم. دلّل على ذلك.

---

(١) أبو داود (٥/٢٧٣)، وعبد بن حميد (٤٣٦)، وأحمد (٤/٢٢١).

(٢) البخاري (٧٠٧٥)، ومسلم (حديث ٢٦١٥).

(٣) مسلم (٢٦١٦).

ج: من الدليل على ذلك قول الخصمين لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾، فسبحان الله خصم يُذكر القاضي والحاكم والخليفة؟! نعم يُذكره لكنها تذكرةٌ بالمعروف، تذكرةٌ بالحكمة والموعظة الحسنة وما لهم لا يذكروه، و﴿ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥].

* وكذا أيضًا يُشرع للحاكم والقاضي أن يُذكِّر المتخاصمين بالله عَزَّ وَجَلَّ، ويحثهم على مراقبته وخشيته، وقد وردت بذلك جملة أدلة:

* فمن ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ من تذكير المتخاصمين، ففي الصحيحين(١) من حديث أمِّ سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أنْ يَكُونَ ألْحَنَ(٢) بحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فأقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوٍ مِمَّا أسْمَعُ مِنْهُ فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْهُ فَإنَّمَا أقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ**».

❀ ❀ ❀

* ومن ذلك ما أخرجه البخاري(٣) من حديث ابن عباس رَضِوَاللَّهُ عَنْهُمَا، أن هلال ابن أمية قذف امرأته فجاء فشهد(٤)، والنبي ﷺ يقول: «**إن الله يعلم أن أحدكما كاذبٌ فهل منكما تائبٌ**»، ثم قامت فشهدت.

* ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم(٥) من حديث عائشة رَضِوَاللَّهُ عَنْهَا،

(١) البخاري (حديث ١٧٨١)، ومسلم (حديث ١٧١٣).
(٢) ألحن: أي أعلم بالحجة، وأبلغ في الكلام.
(٣) (حديث ٥٣٠٧).
(٤) أي: شهد أربعة أيمان بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.
(٥) مسلم (حديث ١٥٥٧)، والبخاري (٢٧٠٥).

قالت: سمع رسول الله ﷺ صوت خُصُوم بالباب عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه(١) في شيء، وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: «**أين المتألي(٢) على الله لا يفعل المعروف؟**»، فقال: أنا يا رسول الله، فله أيُّ ذلك أحب.

❁ ❁ ❁

---

(١) يسترفقه: أي يطلب منه الرفق.

(٢) المتألي: الحالف.

قصة الخصوم الداخلين على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ

س: وضح معنى قوله تعالى: (﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾).

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ وهل بلغك خبر الخصوم الذين تسلقوا أسوار المحراب ودخلوا على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ محرابه رغم كثرة الحرس الذين يحرسونه، هل بلغك هذا الخبر وهذا النبأ؟ هل بلغك خبرهم إذ دخلوا على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلما دخلوا عليه خاف منهم وفزع؟ فحينئذ طمأنوه فقالوا له: لا تخف نحن خصمان بيننا خصومة جئنا نتحاكم عندك، وقد ظلم بعضنا بعضًا وتعدى عليه، فاقض بيننا بالحق ولا تجور ولا تحيد عن الحق وأرشدنا إلى الطريق الوسط طريق الحق الذي يُرضي عنا ربنا، دُلنا على طريق الحق كي نسلكه.

ثم بداية عرض القضية.

(إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً) تعريف الخصم بخصمه أمام القاضي، وقوله: (إِنَّ هَٰذَآ أَخِى) على ملتي وديني، فسبحان الله لم تنقطع الأخوة الإيمانية بالخصومة والمظلمة، وثمَّ ما هو أعظم من ذلك، ألا وهو أن الأخوة الإيمانية ما زالت باقية حتى مع القتل، قال تعالى: (فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

ألا فليتق الله المخاصم الفاجر الذي يقطع مع خصومته الأخوة ولا يرقب

في مؤمنٍ عهدًا ولا قرابة، ولا رحمًا بل ولا دينًا!!

ألا فليعلم المخاصم الفاجر أن فيه شعبةً من نفاقٍ وعلامةً من علاماته، ألا وهي الفجور في الخصومة «**وإذا خاصم فجر**»(١).

لكن الخصمان عند داود كانا على تقًى كما هو واضح من حديثهما إذ قالوا: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً﴾.

وهل هي نعاجٌ على الحقيقة؟ قال بذلك بعض أهل العلم ويشهد له ظاهر القرآن الكريم.

وقال آخرون: إنه أريد بالنعاج هنا النساء، فقوله: ﴿لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً﴾ أي: تسع وتسعون امرأة.

﴿وَلِيَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ على الخلاف المتقدم، قيل: إنها نعجة على الحقيقة، وقيل: إن المعنى: امرأة، والله أعلم بالصواب من ذلك.

ثم ماذا كان من أمر الخصم؟

كان أن قال صاحب التسعة والتسعين نعجة لأخيه ﴿أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ أي: أعطنيها- تنازل لي عنها وضمها إليَّ حتى أكفلها، أعطنيها أتمم بها المائة.

فسبحان الله الذي خلق الخلق على سجايا وطباعٍ!! وسبحان من قسم الأخلاق كما قسم الأرزاق!!!

تأخذ مني نعجتي وتكمل بها مائة وتتركني بلا نعجة واحدة؟!

هكذا يريد الخصم أن يضم إلى نعاجه التسعة والتسعين ما يتمم به المائة، ولو كان على حساب أخذه نعجة أخيه!!

ثم إن الخصم قال: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ أي: طلب مني نعجتي وغلبني

---

(١) البخاري (حديث ٣٤)، ومسلم (حديث ٥٨).

بالحجة والكلام، فهو إن بطش قهر وإن تكلم أوضح وأبان، فهو أعزّ مني وأقوى مني في الكلام.

فهكذا كم من حقوقٍ تذهب، وكم من ظلمٍ يقع، وكم من أموالٍ تضيع بسبب فصاحة اللسان، واستعمال تلك الفصاحة في الباطل والزور، ومن ثمَّ فقد حذر النبي ﷺ من مثل ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام فيما قد سبق من الحديث: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قطعتُ لَهُ من حَقِّ أخيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقطعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ**».

* وقد وصف النبي ﷺ من يُريد الذهاب بحقوق الناس بأسلوبه وخطابه وسجعه بأنه من إخوان الكهان، ففي الصحيحين أن رسولَ الله ﷺ قضى في امرأتين من هُذيل اقتتلتا، فرمت إحداهما الأخرى بحجرٍ فأصاب بطنها وهي حاملٌ فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النبي ﷺ فقضى: أنَّ دية ما في بطنها غُرَّة عبد أو أمة، فقال وليُّ المرأةِ التي غرمت: كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهلَّ فمثل ذلك يطلُّ[(١)]، فقال النبي ﷺ: «**إنما هذا من إخوان الكهان**»[(٢)].

❊ ❊ ❊

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ

---

(١) أي: ينبغي أن تهدر ديته.

(٢) البخاري (حديث ٥٧٥٨)، ومسلم (حديث ١٦٨١).

﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩ (٢٤) فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ (٢٥)﴾.

ج: هذا قضاء نبي الله داود عليه السلام بعد عرض هذه القضية قضية شخصية، شخص له تسع وتسعون نعجة، وآخر له نعجة واحدة، فطلبها منه كي يضمها إلى نعاجه وغلبه بالحجة والبيان، هنالك قضى نبي الله داود عليه السلام، بعد أن استمع إلى صاحب الشكوى، فقال: ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾ (١) أي: بطلب ضم نعجتك إلى نعاجه.

ثم بُيِّنت حقيقة لعل متعظًا يتعظ ومعتبرًا يعتبر ومتفطنًا يتفطن!!! ألا وهي ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾.

أما الخلطاء فمن العلماء من قال: إنهم الأصحاب، ومنهم من قال: إنهم الشركاء.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: وأكثر العلماء على أن الخلطاء صورتهم أن يأتي كلُّ واحدٍ بغنمه، فيجمعها راعٍ واحد، والدلو والمراح واحد.

فالحاصل أن كثيرًا من الخلطاء - من الشركاء - يبغي بعضهم على بعض.

يجور بعضهم على بعض، ويتطاول بعضهم على بعض ويمد بعضهم يده إلى مال بعض ويأخذه بغير حقه.

فليتفطن لذلك الذين يستثمرون أموال الناس؛ فإنهم يبدؤون في أول أمرهم على استقامةٍ وصلاح، ثم إذا رزقهم الله عز وجل فبدلًا من أن يقدموا

---

(١) أي بسؤاله أي بطلبه، ونحوه في حذف الهاء ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [**فصلت: ٤٩**]، أي: من دعائه بالخير.

شكرًا فإنهم يتخوضون في أموال المسلمين، وتمتد أعينهم إليها ويأخذونها بغير حقها، بل يأكلونها بالباطل وليتفطن كل شريك، وليتفطن كلُّ من له مال قد اختلط بمال غيره.

إن نبينا محمدًا ﷺ قد قال يوم النحر بمكة: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ كحرمةٍ يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا....**»(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

فهذه نصوص تنهى عن أكل أموال الناس بالباطل وتحذر من ذلك أشد التحذير، ولكن مَنْ الممتثل لذلك؟ ما امتثل لذلك وما سمع وأطاع إلا القليل، ألا وهم أهل الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

نعم أهل الإيمان قلة.

* **قال تعالى:** ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].

* **وقال تعالى:** ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

* **وقال تعالى:** ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣].

فهذا الإخبار بقلة أهل الإيمان حتى لا يستوحش السالكون طريق الهداية لقلة سالكيه.

---

(١) البخاري (حديث ٤٤٠٦)، ومسلم (ص ١٣٠٦) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا.

هذا الإخبار لمواساة أهل الإيمان ولإيناسهم!!

ولنرجع إلى ما كان من أمر نبي الله داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾.

* **أما قوله تعالى:** ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ أي: فعفونا عنه وصفحنا له عن أن نؤاخذه بخطيئته وذنبه ذلك.

* **وقوله:** ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ وإن له عندنا للقربى يوم القيامة، قال ذلك الطبري رحمه الله، وأورد قول قتادة في تفسير: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ قال: الذنب.

* **أما قوله:** ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ أي: حسن مرجع ومنقلب، وحسن مصير يوم القيامة.

* **قلت (مصطفى):** ومن هنا لا ينبغي أن يقنط أحدٌ من رحمة الله أبدًا، بل على المرء أن يُقدم توبة على الدوام، ويستغفر الله، ويكثر من الاستغفار ما دام حيًّا، ولا ييأس من روح الله فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

إن نبي الله الكليم موسى عليه السلام قتل نفسًا، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ **[القصص: ١٦]**، وكذا فلا ينبغي أن يغتر عبدٌ بعمل صالح عمله، ولا أن يقترف السيئات متكلًا على سعة عفو الله ومغفرته، فالله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير.

وقد قال سبحانه: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ **[الحجر: ٤٩-٥٠]**.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ أي: وإن له يوم القيامة لقربة

يقربه الله ﷻ بها وحسن مرجع وهو الدرجات العاليات في الجنة لنبوته وعدله التام في ملكه كما جاء في الصحيح: «**المقسطون عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يقسطون فِى أَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»(١).

❁ ❁ ❁

س: ماذا عن معنى ﴿وَظَنَّ﴾؟! وهل فتن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ولماذا اختبر عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ وكيف كانت تلك الفتنة؟! واستغفر ربه من ماذا؟!

ج: أما كلمة (وَظَنَّ) فأحيانًا تأتي بمعنى علم وأيقن، ومن ذلك قوله تعالى: (قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ) [البقرة: ٢٤٩].

وقول المؤمن يوم القيامة: (إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾) [الحاقة: ٢٠] أي: أيقنتُ.

ولكن هل هي في هذا الموطن (وَظَنَّ دَاوُۥدُ) بهذا المعنى: علم وأيقن؟!! قد قال بذلك بعض العلماء، منهم قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ(٢)، والله أعلم.

* أما سائر التساؤلات التي ذُكرت فلا أعلم دليلًا صريحًا صحيحًا في الإجابة عليها، إنما هي أقوال فريقٍ من العلماء، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وكثيرٌ منها يبدو أنه مأخوذ من الإسرائيليات، وكثير منها لا يصح سنده إلى قائله، فنسوقها على وجه الإجمال مستغفرين الله ﷻ أولًا وآخرًا، غير جازمين بصحة ما نقوله؛ إذ ليس عليه دليل من الكتاب أو

(١) مسلم (١٨٢٧) بنحوه.

(٢) أخرج ذلك الطبري (٢٩٨٤٨) بسند حسن عن قتادة، وهو اختيار الطبري أيضًا.

السنة الصحيحة مُنزهين نبي الله داود ﵇ عن كل شائنةٍ وكل عيبٍ، فهو نبي كريم جعله الله خليفةً في الأرض له في الآخرة زلفى وحسن مآب، لنا فيه أسوةٌ، وهو لنا على الإجمال قدوة، فهو ممن قال الله فيهم: (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ) [الأنعام: ٩٠].

* ثم إن الحامل لنا على إيراد ما سنورده مجملًا ثم ببعض التفصيل هو أن جماهير المفسرين أوردوه في تفاسيرهم وتناقلوه عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم، فلما لم يكن من شأننا هجران ما ذكره جمهور السلف الصالح، فمن ثمَّ أوردته، وأوردت بعض وجوه التعقب التي ذكرها بعض العلماء عليه، والله المستعان على كل شيء، وهو الموفق للحق والصواب، وهو أعلم بكتابه وأعلم بمراده، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فنقول وبالله التوفيق:

* إن حاصل ما ذكره عددٌ من المفسرين في هذا الصدد، وفحواه: أن نبي الله داود ﵇ سمع الثناء الحسن على أنبياء الله الكرام عليهم الصلاة والسلام: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فسأل ربه سبحانه وتعالى ثناءً مثل هذا الثناء، فقيل لداود ﵇: إنهم ابتلوا فصبروا، فسأل أن يبتلى كما ابتلوا ﵈، فمرت الأيام ودارت حتى نسي السؤال الذي كان سأل، ثم إنه ذات يوم ابتلي، فوقع بصره على امرأة حسناء فوقعت في قلبه، فسأل عنها فوجد أنها ذات زوج، فطلب من زوجها أن يطلقها حتى يتزوجها، فمن ثمَّ كان هذا هو البلاء الذي ابتلي به، واستغفر منه، وخرَّ راكعًا وأناب!

* وزاد البعض زيادات، ألا وهي: أنه أرسل زوجها للقتال، ومن ثمَّ إذا قُتِل زوجها تزوجها.

وهذا ظن لا يليق بنبي كريم كداود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

هذا حاصل ما ذُكر في هذه القصة.

* أما الخبر الوارد في ذلك عن رسول الله ﷺ فهو خبر ضعيف جدًّا لا يصح عن رسول الله ﷺ، ألا وهو ما أخرجه الطبري[(١)] من طريق يزيد الرقاشي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ دَاوُدَحِينَ نَظَرَ إِلَى المَرْأَةِ فَأَهَمَّ، قطعَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَوْصَى صَاحِبَ البَعْثِ، فَقَالَ: إِذَا حَضَرَ العَدُوُّ، فقرِّبَ فُلانًا بَيْنَ يَدَيِ التَّابُوتِ...**» الحديث، فهو ضعيف جدًّا من أجل يزيد الرقاشي: ضعيف جدًّا، بل متروك.

* **وقد قاله الطبري أيضًا في تفسير قوله تعالى:** ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾.

واختلف في سبب البلاء الذي ابتلي به نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال بعضهم: كان سبب ذلك أنه تذكر ما أعطى الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من حسن الثناء الباقي لهم في الناس فتمنى مثله، فقيل له: إنهم امتحنوا فصبروا، فسأل أن يُبتلى كالذي ابتلوا، ويعطى كالذي أعطوا إن هو صبر.

ثم أورد الطبري آثارًا في هذا الصدد لا يخلو أثر منها من مقالٍ، ثم هي موقوفات ومقطوعات، منها ما أورده عن الحسن: أن داود جزأ الدهر أربعة أجزاء: يومًا لنسائه، ويومًا لعبادته، ويومًا لقضاء بني إسرائيل، ويومًا لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه، ويبكهم ويبكونه، فلما كان يوم بني إسرائيل قال: ذاكروا، فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبًا؟ فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك. فلما كان يوم عبادته أغلق

---

(١) الطبري (٢٩٨٥٩).

أبوابه، وأمر أن لا يدخل عليه أحد، وأكبّ على التوراة، فبينما هو يقرؤها، فإذا حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن قد وقعت بين يديه، فأهوى إليها ليأخذها، قال: فطارت، فوقعت غير بعيد، من غير أن تؤيسه من نفسها، قال: فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل، فأعجبه خلْقها وحُسنها، قال: فلما رأت ظله في الأرض جللت نفسها بشعرها، فزاده ذلك أيضًا إعجابًا بها، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا، مكانٍ إذا سار إليه لم يرجع، قال: ففعل فأصيب، فخطبها فتزوجها.

قال: وقال قتادة: بلغنا أنها أمّ سليمان، قال: فبينما هو في المحراب إذ تسور الملكان عليه، وكان الخصمان إذا أتوه يأتونه من باب المحراب، ففزع منهم حين تسوروا المحراب، فقالوا: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ حتى بلغ: ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: لا تمل ﴿وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾﴾ أي: أعدله وخيره ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾، وكان لداود تسع وتسعون امرأة ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ قال: وإنما كان للرجل امرأة واحدة ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ أي: ظلمني وقهرني، فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ﴾ فعلم داود أنما صُمد له: أي عني به ذلك ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ قال: وكان في حديث مطر أنه سجد أربعين ليلة، حتى أوحى الله إليه: إني قد غفرت لك، قال: رب وكيف تغفر لي وأنت حكم عدل، لا تظلم أحدًا؟ قال: إني أقضيك له، ثم استوهبه دمك أو ذنبك، ثم أثيبه حتى يرضى، قال: الآن طابت نفسي-وعلمت أنك قد غفرت لي.

قلت (مصطفى): ولعل هذا مأخوذٌ من الإسرائيليات.

وأورد الطبري رحمه الله تعالى أثرين عن ابن مسعود وابن عباس ﭭ، وفي كل منهما مقال فحواهما: أنهما قالا ما زاد داود ﷺ على أن قال: انزل لي عنها[(١)].

هذه هي القصة على وجه الإجمال، وبعض الوارد فيها، وقد أشرنا إلى ضعف أسانيد الآثار الواردة فيها، وها هي طائفة أُخرى من أقوال أهل العلم يرحمهم الله:

قال القاسمي في محاسن التأويل:

للمفسرين في هذا النبأ أقوال عديدة ووجوه متنوعة مرجعها إلى مذهبين: مذهب من يرى أنها تشير تعريضًا إلى وزر ألمَّ به داود ﷺ ثم غفر له. ومذهب من يرى أنها حكومة في خصمين لا إشعار لها بذلك.

فممن ذهب إلى الأول ابن جرير. فإنه قال هذا مَثَل ضربه الخصم المتسورون على داود محرابه. وذلك أن داود كانت له - فيما قيل - تسع وتسعون امرأة. وكانت للرجل الذي أغزاه حتى قتل امرأة واحدة. فلما قُتل نكح - فيما ذكر - داود امرأتَه. ثم لما قضى للخصمين بما قضى علم أنه ابتلي. فسأل غفران ذنبه وخرَّ ساجدًا لله، وأناب إلى رضا ربه، وتاب من خطيئته.

هذا ما قاله ابن جرير. ثم أسند قصته مطولة من رواياتٍ عن ابن عباس والسدي وعطاء والحسن وقتادة ووهب ومجاهد. ومن طريقٍ عن أنس مرفوعًا. ويشبه سياق بعضها ما ذكر في التوراة المتداولة الآن.

---

(١) الطبري (أثر ٢٩٨٣٨)، (٢٩٨٣٩)، (٢٩٨٤٠).

قال السيوطي في الإكليل:

القصة التي يحكونها في شأن المرأة، وأنها أعجبته، وأنه أرسل زوجها مع البعث حتى قتل، أخرجها ابن أبي حاتم من حديث أنس مرفوعًا، وفي إسناده ابن لهيعة - وحاله معروف، عن ابن صخر عن يزيد الرقاشي، وهو ضعيف. وأخرجها من حديث ابن عباس موقوفًا. انتهى.

أقول: أما المرفوع إلى النبي ﷺ فيها، فلم يأت من طريق صحيح. وأما الموقوف من ذلك على الصحب والأتباع رضي الله عنهم، فمعولهم في ذلك ما ذكر في التوراة من هذا النبأ، أو الثقة بمن حكى عنها. وينبني على ذلك ذهابهم إلى تجويز مثل هذا على الأنبياء. وقد ذهبت طائفة إلى تجويز ما عدا الكذب في التبليغ. كما فُصِّل في مطولات الكلام.

قال ابن حزم رحمه الله:

وهو قول الكرامية من المرجئة، وابن الطيب الباقلاني من الأشعرية، ومن اتبعه. وهو قول اليهود والنصارى. ثم رد هذا القول رحمه الله ردًا متينًا.

وأما المذهب الثاني: فهو ما جزم به ابن حزم في «الفِصَل» وعبارته: ما حكاه تعالى عن داود عليه السلام قول صادق صحيح، لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافاتٍ ولدها اليهود. وإنما كان ذلك الخصم قومًا من بني آدم، بلا شك، مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم. بغى أحدهما على الآخر على نص الآية. ومن قال إنهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله عز وجل، وقوَّله ما لم يقل، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذب الله عز وجل، وأقر على نفسه الخبيثة

أنه كذب الملائكة؛ لأن الله تعالى يقول: (۞وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ)، فقال هو: لم يكونوا قط خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة، ولا كان للآخر نعجة واحدة، ولا قال له أكفلنيها. فاعجبوا لِمَا يقحم فيه أهل الباطل أنفسهم. ونعوذ بالله من الخذلان. ثم كل ذلك بلا دليل، بل الدعوى المجردة. وتالله! إن كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشَّق امرأة جاره، ثم يعرِّض زوجها للقتل عمدًا، ليتزوجها. وعن أن يترك صلاته لطائر يراه. هذه أفعال السفهاء المتهوكين الفساق المتمردين. لا أفعال أهل البر والتقوى. فكيف برسول الله داود ﷺ الذي أوحى إليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه؟ لقد نزَّهه الله ﷻ عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله. فكيف أن يستضيف إلى أفعاله؟ وأما استغفاره وخروره ساجدًا، ومغفرة الله له، فالأنبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة. والاستغفار فعل خير لا يُنكَر من مَلَكٍ ولا من نبي. ولا من مذنب ولا من غير مذنب. فالنبي يستغفر الله لمذنبي أهل الأرض. والملائكة كما قال تعالى: (وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧) [غافر: ٧]، وأما قوله تعالى عن دواد عليه السلام: (وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ)، وقوله: (فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ)، فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما آتاه الله ﷻ من سعة الملك العظيم فتنة. فقد كان رسول الله ﷺ يدعو في أن يثبت الله قلبه على دينه. فاستغفر الله تعالى من هذا الظن، فغفر الله تعالى له هذا الظن. إذ لم يكن ما آتاه الله تعالى من ذلك فتنة. انتهى كلام ابن حزم، وهو وقوف على ظاهر الآية، مجردًا عن إشارة وإيماء.

وقال البرهان البقاعي في تفسيره:

وتلك القصة وأمثالها من كذب اليهود.

ثم قال: وأخبرني بعض من أسلم منهم أنهم يتعمدون ذلك في حق داود ﷺ؛ لأن عيسى ﷺ من ذريته، ليجدوا سبيلًا إلى الطعن فيه. انتهى.

ثم قال: وقوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ أي: الوقوع في الحديث عن إسناد الظلم إلى أحد بدون سماع لكلامه. وهذه الدعوى تدريب لداود ﷺ في الأحكام. وذكرها للنبي ﷺ تدريب له في الأناة في جميع أموره على الدوام. ولما ذكر هذا، ربما أوهم شيئًا في مقامه ﷺ، فدفعه بقوله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾، فالقصة لم يجز ذكرها إلا للترقية في رتب الكمال. وأول دليل على ما ذكرته، أن هذه الفتنة إنما هي بالتدريب في الحكم، لا بامرأة ولا غيرها. وأن ما ذكروه من قصة المرأة باطل وإن اشتهر. فكم من باطل مشهور، ومذكور هو عين الزور. انتهى.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - ويزيد وإن كان من الصالحين-لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضًا. انتهى.

وقال القاضي عياض في «الشفا»:

وأما قصة داود ﷺ فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره فيه الإخباريون على أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله

على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذى نص الله عليه قوله: (وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾) وقوله فيه ﴿أَوَّابٌ﴾ فمعنى (فَتَنَّٰهُ) اختبرناه. و(أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾) قال قتادة: مطيع وهذا التفسير أولى، قال ابن عباس وابن مسعود: ما زاد داود على أن قال للرجل: انزل عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وهذا هو الذى ينبغي أن يعول عليه من أمره وقد قيل خطبها على خطبته، وقيل: بل أحب بقلبه أن يستشهد، وحكى السمرقندي أن ذنبه الذي استغفر منه قوله: (لَقَدۡ ظَلَمَكَ) فظلمه بقول خصمه، وقيل: بل لما خشى على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا، وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود من ذلك ذهب أحمد ابن نصر وأبو تمام وغيرهما من المحققين، قال الداودي: ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل: إن الخصمين اللذين اختصما إليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الآية. وقيل: بل لما خشي على نفسه وظن من الفتنة لما بسط له من الملك والدنيا. انتهى.

وقال ابن القيم في أواخر كتابه «الجواب الكافي» في مباحث العشق:

وقد أرشد ﷺ المتحابين إلى النكاح كما في سنن ابن ماجه مرفوعًا: «**لم ير للمتحابين مثل النكاح**»[(١)] ، ونكاحه لمعشوقه هو دواء العشق الذي جعله الله دواءه شرعا وقدرا وبه تداوى نبي الله داود ﷺ، ولم يرتكب نبي الله محرما وإنما تزوج المرأة وضمها إلى نسائه لمحبته لها وكانت توبته

(١) في سنده ضعف.

بحسب منزلته عند الله وعلو مرتبته ولا يليق بنا المزيد على هذا. انتهى.

وقال ابن العربي ـ كما نقل عنه القرطبي ـ:

وأما قولهم إنها لما أعجبته أمر بتقديم زوجها للقتل في سبيل الله فهذا باطل قطعا فإن داود لم يكن ليريق دمه في غرض نفسه وإنما كان من الأمر أن داود قال لبعض أصحابه: انزل لي عن أهلك وعزم عليه....

قلت (مصطفى): والذين يميلون إلى تصحيح أصل هذه القصة تتلخص حججهم في أمور:

أحدها: كثرة القائلين بمضمون هذه القصة من السلف.

الثاني: ما ورد عن بعض السلف من تفسير النعجة بالمرأة، ولذلك شواهد من لغة العرب.

الثالث: أن قوله تعالى: (فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ)، وقوله تعالى: (فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ) يدل على أن شيئًا ما قدر صدر من داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

❁ ❁ ❁

سجدة ص

س: هل يشرع السجود عند قراءتنا هذه الآية: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ...﴾؟

ج: ابتداءً قد أخرج البخاري (١) من طريق مجاهدٍ قال: قلتُ لابن عباس: أنسجد في «ص» فقرأ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام: ٨٤]، حتى أتى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فقال ابن عباس ﷺ: نبيكم ﷺ ممن أُمِرَ أن يقتديَ بهم.

وعند البخاري (٢) من طريق عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: ليس «ص» من عزائم السجود، ورأيتُ النبي ﷺ يسجد فيها.

وفي رواية للبخاري (٣) من طريق مجاهد قال: سألت ابن عباس: من أين سجدت؟ فقال: أو تقرأ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٨٤-٩٠]، فكان داود ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به، فسجدها داود فسجدها رسول الله ﷺ.

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٢١).
(٢) البخاري (حديث ٣٤٢٢).
(٣) البخاري (مع الفتح ٨/٥٤٤).

ولمزيد إفادة في هذا الصدد، أقول وبالله التوفيق:

هذه مواطن قد ورد فيها سجود التلاوة، فمن ذلك:

سجدة الانشقاق:

أخرج البخاري ومسلم[(١)] من طريق أبي رافع قال: صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ الْعَتَمَةَ فَقَرَأَ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١﴾ **[الانشقاق: ١]** فَسَجَدَ فَقُلْتُ لَهُ فقال: سَجَدْتُ خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ ﷺ فَلاَ أَزَالُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّى أَلْقَاهُ.

وسجدة العلق:

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١﴾ **[الانشقاق: ١]**، و﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ **[العلق: ١]**[(٢)].

ومن ذلك سجدة النجم:

أخرج البخاري ومسلم[(٣)] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قرأ النبي ﷺ: (النجم) بمكة فسجد فيها، وسجد من معه غير شيخ أخذ كفًّا من حصًى - أو تُراب - فرفعه إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا فرأيته بعد ذلك قُتل كافرًا.

ويجوز أن يترك السجود في النجم، ففي الصحيحين[(٤)] من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قرأتُ على النبي ﷺ والنجم فلم يسجد فيها.

* هذا وقد نقل الطحاوي في «شرح معاني الآثار»[(٥)] أن السجود المتفق عليه عشر سجدات، قال: منهن في (الأعراف) وموضع السجود فيها منها

---

(١) البخاري (مع الفتح ٢/٢٥٠)، ومسلم (مع النووي ٥/٧٨).

(٢) مسلم (صـ ٤٠٦).

(٣) البخاري (مع الفتح ٢/٥٥١)، ومسلم (مع النووي ٥/٧٤).

(٤) البخاري (مع الفتح ٢/٥٥٤)، ومسلم (٥/٧٥).

(٥) «شرح معاني الآثار» (١/٣٥٩).

قولـــه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾.

[الأعراف: ٢٠٦].

ومنهن (الرعد) وموضع السجود عند قولـه ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: ١٥].

ومنهن (النحل) وموضع السجود منها عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٤٩] إلى قوله ﴿يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

ومنهن في سورة (بني إسرائيل) وموضع السجود منها عند قوله تعـالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧] إلـى قولـه: ﴿خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٩].

ومنهن سورة (مريم) وموضع السجود منها عند قوله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨].

ومنهن سورة (الحج) فيها سجدة في أولها عند قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ١٨] إلى آخر الآية.

ومنهن سورة (الفرقان) وموضع السجود منها عند قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٦٠] إلى آخر الآية.

ومنهن سورة (النمل) فيها سجدة عند قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ [النمل: ٢٥] إلى آخر الآية.

ومنهن (ألم تنزيل السجدة) فيها سجدة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [السجدة: ١٥] إلى آخر الآية.

ومنهن ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ وموضع السجود منها فيه اختلاف، فقال بعضهم: موضعه ﴿تَعۡبُدُونَ ۝٣٧﴾ **[فصلت: ٣٧]**، وقال بعضهم: موضعه ﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩ ۝٣٨﴾ **[فصلت: ٣٨]**.

❁ ❁ ❁

س: إذا لم تُعتمَد هذه القصة المشار إليها، فما وجه الفتنة التي قال الله عنها: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾؟

وما وجه الاستغفار وسجود التوبة الذي صدر منه؟ وما الذي غفره الله له؟

ج: من العلماء من أجاب على ذلك بما حاصله أن العلم بذلك موكول إلى الله ﷻ.

ومنهم من قال: إنه استغفر لكونه أغلق الباب دون الناس حتى وصل الأمر بالخصوم إلى أن يتسوروا المحراب.

وهذا ليس فيه كبير مأخذٍ على نبي الله داود، ولا صغير مأخذٍ؛ إذ النفس لها حق كما أن للرعية حق، وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لاَ يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهْوَ غَضْبَانُ**»(١).

فكذا المُتعب المرهق من حق نفسه عليه عند القضاء أن يكون هادئ البال مستقر الحال لا يقضي وهو متعب مرهق.

* ومن العلماء من قال إن الذي صدر من داود عليه السلام أنه قضى لأحد الخصمين قبل أن يستمع إلى الآخر، ومن المعلوم أن القاضي يلزمه أن

---

(١) البخاري (حديث ١٧٥٨)، ومسلم (١٧١٧).

يستمع وجهة نظر الآخر، ورده على ما وُجِّه إليهم من تُهمٍ.

وأجاب بعضهم على ذلك بأن سكوت الخصم يُعدُّ إقرارًا منه لقول الآخر، فالله أعلم.

* ولنرجع إلى ما كنا بصدده ألا وهو ذكر نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فنقول وبالله التوفيق:

إن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: (فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ) فأيًّا كان هذا الذي صدر من نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد غفره الله له، والحمد لله رب العالمين.

فمن ثمَّ فلا يُنال أبدًا من نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كما تفعل طوائف اليهود! ولا يُنال من نبي الله داود أبدًا كما يفعل القُصَّاص ويسترسلون في القصص، فنبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ نبيٌّ كريم له عند الله زلفى وحسن مآب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: يا داود إن الذي جعلك خليفة في الأرض هو الله هو الذي مكنك من قتل جالوت!

* هو الذي آتاك الملك والحكمة!!

* هو الذي اصطفاك فـ(ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ). [الحج: ٧٥]

* هو الذي اجتباك (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ) [آل عمران: ١٧٩].

* هو الذي علمك مما يشاء!!

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ **[آل عمران: ٢٦]**.

فليـذكر الحكـام والملـوك والـوزراء والأمـراء وذوو المناصـب والوجاهات ذلك كله وليكن منهم على بالٍ وليقدموا له شكرًا.

*** ثم قال تعالى آمرًا هذا النبي الكريم - وغيره له تبع -:** ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ **[ص: ٢٦]**، والحق ما أنزله الله في كتابه وعلى ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام.

فهذا فرض واجب على كل خليفة وقاضٍ، ليس بفضلٍ ولا نافلة.

قـال الله تعـالى لنبيـه محمـد ﷺ: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾ **[المائدة: ٤٩]**.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨﴾ **[الجاثية: ١٨]**.

إنـه لحق على ولاة الأمر وكلّ من تقلد منصبًا أن يتقي الله في منصبه وفي رعاياه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ **[الحج: ٤١]**.

واجبٌ على الخليفة والحاكم أن ينتصر للمظلوم من الظالم، وأن يأخذ للضعيف حقه ممن بغى عليه.

واجب على الخليفة أن ينهى عن الفساد في الأرض ويأخذ على أيدي الشراذم والأراذل العابثين بالأعراض المغتصبين للأموال، سفكة الدماء، قطاع الطرق، ومروجي المخدرات والمسكرات.

واجب عليه أن يقيم الصلاة، وأن يؤتي الزكاة، ويحمل الناس على طاعة أمر الله ورسوله ﷺ، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

واجب عليه أن يطلب العون من الله، فالله المستعان على كل حال.

*** ثم يُحذر الله نبيه داود عليه السلام فيقول له:** ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] نعم اتباع الهوى - الذي منه ميلُ النفس إلى ما تشتهيه، مع الإعراض عن كتاب الله - يضل عن سبيل الله، أيًّا كان هذا المتبع لهواه، وإن كان من أذكى الناس وأعقل الناس وخير الناس!!

وماذا بعد الضلال عن سبيل الله؟ ماذا بعد ترك الحكم بين الناس بالحق؟!

بعد والعياذ بالله العذاب الشديد المؤلم الموجع ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

نعم لهم عذاب شديد بما تركوا العمل ليوم القيامة.

فعياذًا بالله من الضلال عن سبيل الله! وعياذًا بالله من العذاب الشديد يوم الحساب!

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

هذه وصية من الله ﷻ لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله. وقد توعد تعالى من ضل عن سبيله، وتناسى يوم الحساب، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ) يقول تعالى ذكره: وقلنا لداودٍ: يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكما بين أهلها.

كما حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي (إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً﴾ ملكه في الأرض (فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ) يعني: بالعدل والإنصاف ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ يقول: ولا تؤثر هواك في قضائك بينهم على الحق والعدل فيه، فتجور عن الحق (فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ يقول: فيميل بك اتباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحق عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه، فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله.

وقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين يميلون عن سبيل الله، وذلك الحق الذي شرعه لعباده، وأمرهم بالعمل به، فيجورون عنه في الدنيا، لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضلالهم عن سبيل الله بما نسوا أمر الله، يقول: بما تركوا القضاء بالعدل، والعمل بطاعة الله (يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ من صلة العذاب الشديد.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن العوام: عن عكرمة، في قوله: (عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ قال: هذا من التقديم والتأخير، يقول: لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا.

❁ ❁ ❁

دفع شبهة

س: معلومٌ أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يحكمون بالحق، فلماذا خصَّ داود عليه السلام بقوله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾؟

ج: أجاب على ذلك الشنقيطي بقوله:

ومعلوم أن نبي الله داود، لا يحكم بغير الحق، ولا يتبع الهوى، فيضله عن سبيل الله، ولكن الله تعالى، يأمر أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، وينهاهم، ليشرع لأممهم.

ولذلك أمر نبينا ﷺ، بمثل ما أمر به داود، ونهاه أيضًا عن مثل ذلك، في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [المائدة: ٤٢]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [المائدة: ٤٩]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ﴾ [الأحزاب: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤﴾ [الإنسان: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقد قدمنا الكلام على هذا، في سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢﴾ [الإسراء: ٢٢].

وبينا أن من أصرح الأدلة القرآنية الدالة على أن النبي يخاطب بخطاب، والمراد بذلك الخطاب غيره يقينًا قوله تعالى: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ومن المعلوم أن أباه ﷺ توفي قبل ولادته، وأن أمه ماتت وهو صغير، ومع ذلك فإن الله يخاطبه بقوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا﴾ ومعلوم أنه لا يبلغ عنده الكبر أحدهما، ولا

كلاهما لأنهما قد ماتا قبل ذلك بزمان.

فتبين أن أمره تعالى لنبيه ونهيه له في قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾: إنما يراد به التشريع على لسانه لأمته، ولا يراد به هو نفسه ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾.

ج: يبين الله سبحانه وتعالى أنه ما خلق الخلق عبثًا ولا لهوًا ولا باطلًا، إنما خلقهم لحكمة أرادها، خلقهم وسيجازي المحسنين المطيعين على إحسانهم وطاعتهم، وسيعاقب المسيئين المتمردين على تمردهم وعتوهم وفسادهم.

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾ **[ص: ٢٧]**

وأوضح الله سبحانه وتعالى أنه لا يستوي المصلح مع المفسد، ولا العادل مع الظالم الجائر، وأيضًا فلا يستوي المسلم مع المجرم، قال تعالى: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨﴾ **[ص: ٢٨]**.

كلا، فلا يستوي تقي وفاجر، ولا مؤمن وفاسق ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ

فَاسِقًاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة: ١٨]، ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

[القلم: ٣٥-٣٦]

ألا فليتدبر هذا الكتاب العزيز، وليتلى وليعمل بما فيه، فلهذا أُنزل، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، جعلنا الله وقارئ هذه الرسالة من أولي الألباب، أصحاب العقول النيِّرة، آمين، اللهم آمين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ عبثًا ولهوًا، ما خلقناهما إلا ليعمل فيهما بطاعتنا، وينتهى إلى أمرنا ونهينا.

﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ يقول: أي ظن أنا خلقنا ذلك باطلا ولعبا، ظن الذين كفروا بالله فلم يوحدوه، ولم يعرفوا عظمته، وأنه لا ينبغي أن يعبث، فيتيقنوا بذلك أنه لا يخلق شيئًا باطلًا. ﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ يعني: من نار جهنم. وقوله: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يقول: أنجعل الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمر الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يقول: كالذين يشركون بالله ويعصونه ويخالفون أمره ونهيه.

﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ يقول: الذين اتقوا الله بطاعته وراقبوه، فحذروا معاصيه ﴿كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ يعني: كالكفار المنتهكين حرمات الله.

وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وهذا القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يقول: ليتدبروا حجج

الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة القراء: ﴿لِيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ بالياء، يعني: ليتدبر هذا القرآن من أرسلناك إليه من قومك يا محمد.

وقرأه أبو جعفر وعاصم **(لتدبروا آياته)** بالتاء، بمعنى: لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك.

وأولى القراءتين عندنا بالصواب في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان

صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ يقول: وليعتبر أولو العقول والحجا ما في الكتاب من الآيات، فيرتدعوا عما هم عليه مقيمين من الضلالة، وينتهوا إلى ما دلهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ أي: الذين لا يرون بعثا ولا معادا وإنما يعتقدون هذه الدار فقط، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ أي: ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم.

ثم بين تعالى أنه من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمن والكافر فقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ أي: لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر. وهذا

الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا. وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين أن هناك دارًا أخرى لهذا الجزاء والمواساة. ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة، قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ أي: ذوو العقول وهي الألباب، جمع لب، وهو العقل.

❊ ❊ ❊

ذِكر نبي اللّه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ
ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ
بِٱلۡحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣ وَلَقَدۡ فَتَنَّا
سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ٣٤ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا
يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ
أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨
هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠ ﴾
[ص: ٣٠-٤٠]

(٤٧٣) أحمر أسود

س: اذكر معنى ما يلي:

(أَوَّابٌ - عُرِضَ عَلَيۡهِ - بِٱلۡعَشِيِّ - ٱلصَّٰفِنَٰتُ - ٱلۡجِيَادُ - حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ - ذِكۡرِ رَبِّي - تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ - فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ - فَتَنَّا - جَسَدٗا - أَنَابَ - رُخَآءً - حَيۡثُ أَصَابَ - بَنَّآءٖ - وَغَوَّاصٖ - مُقَرَّنِينَ - ٱلۡأَصۡفَادِ - عَطَآؤُنَا - فَٱمۡنُنۡ - أَمۡسِكۡ - بِغَيۡرِ حِسَابٖ - زُلۡفَىٰ - وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ).

ج:

الكلمة	معناها
(أَوَّابٌ)	مُسبِّح - مطيع لله - رجاع مستغفر
(عُرِضَ عَلَيۡهِ)	مرَّت عليه ورآها
(بِٱلۡعَشِيِّ)	من العصر إلى الليل
(ٱلصَّٰفِنَٰتُ)	الخيول (أثناء قيامها على ثلاثة أرجل وثني الرجل الرابعة حتى تكون على طرف الحافر)
(ٱلۡجِيَادُ)	قيل: السراع - وقيل: جمع جواد
(حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ)	حب الخيل والمال
(ذِكۡرِ رَبِّي)	قيل: صلاة العصر، وقيل: عموم الذِّكر
﴿تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾	اختفت الشمس وتغيَّبت بمغيبها
(فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ)	قولان: أحدهما: عقرها وضرب أعناقها، أي: قطع أرجلها ورقابها، والسوق: جمع ساق، والأعناق: جمع عنق.
(فَتَنَّا)	اختبرنا - ابتلينا

(جَسَدًا)	شيطانًا (عند أكثر العلماء) تمثل بصورة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ - وقيل: نصف الإنسان (الذي رزقه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ)
(أَنَابَ)	رجع واستغفر - ورجع إليه ملكه
(رُخَآءً)	ليِّنة - طيبة - رخوةً (من الرخاوة). وقيل: ليست بعاصفة وليست ببطيئة. وقيل: معناها مطيعة لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ
(حَيْثُ أَصَابَ ﴿)	حيث أراد - إلى المكان الذي يُريده
(بَنَّآءٍ)	يعمل في البناء
(وَغَوَّاصٍ)	عمله الغوص في البحار
(مُقَرَّنِينَ)	مربوطون - موثقون
(ٱلْأَصْفَادِ)	السلاسل (سلاسل الحديد) - قيود الحديد
(عَطَآؤُنَا)	ما أعطيناه لك - ما مكّناك منه - ما تفضلنا به عليك - فضلنا عليك
(فَٱمْنُنْ)	تفضل على من شئت - حُل (فُك) من الوثاق والقيود من شئت - أعط من شئت
(أَمْسِكْ)	امنع من شئت - احْرِم من شئت - احبس من شئت - في القيود (من الشياطين)
(بِغَيْرِ حِسَابٍ)	لا حساب عليك ولا مؤاخذة عليك بدون حساب (لن نحاسبك)

(زُلْفَىٰ)	قربة - (منزلة المقربين)
(وَحُسْنَ مَـَٔابٍ)	حسن مرجع ومصير - مصير حسن ومرجع حسن

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (ووهبنا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾).

ج: هذا امتنان من الله ﷻ على نبيه داود عليه السلام، وتذكيرٌ له بهذه المنة، يمن الله عليه بأنه وهبه ورزقه ولدًا صالحًا نبيًّا كريمًا مطيعًا وهو سليمان عليه السلام، فقد كان سليمان أيضًا مطيعًا لله مستغفرًا مكثرًا من التسبيح والاستغفار عالمًا كذلك.

قال تعالى: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾) [ص: ٣٠].

وقال تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ) [النمل: ١٥].

ومما لا شك فيه أن الرجل ينتفع بولده الصالح في الدنيا وبعد الممات.

ومن ثَمَّ فإن عباد الرحمن يقولون: (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾) [الفرقان: ٧٤].

وقد قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ...»[1].

وعند أحمد في «المسند»[2] **بسندٍ حسنٍ عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ﷻ ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا ربِّ أنَّى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك».**

---

(١) مسلم (حديث ١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أحمد في «المسند» (٢/٥٠٩).

نعمة عظيمة من الله أن يرزق الشخص ولدًا صالحًا تُسخر له الريح والجن والإنس، والطير، وتعمل له الشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات.

ثم مع ذلك كله يكون سببًا في رفعة درجاته في الآخرة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَـٰنَۚ﴾ ابنه ولدًا ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ﴾ يقول: نعم العبد سليمان ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾ يقول: إنه رجاع إلى طاعة الله تواب إليه مما يكرهه منه. وقيل: إنه عني به أنه كثير الذكر لله والطاعة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا أنه وهب لداود سليمان، أي: نبيًّا كما قال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَـٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ **[النمل: ١٦]** أي: في النبوة وإلا فقد كان له بنون غيره، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر.

وقوله: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾ ثناء على سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

❁ ❁ ❁

وهل قتل سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الخيل

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلۡجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ۝٣٣﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - إذ عُرضت من العصر إلى الليل على سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الخيول السريعة التي من شأنها أنها صافنات تقف على ثلاثة أرجل وتثنى الرابعة مهيئة مستعدة جميلة قوية، سريعة، فطفق عَلَيْهِ السَّلَامُ ينظر إليها معجبًا بها حتى غربت الشمس ولم يكن قال أذكاره التي كان يقولها، وقال بعض العلماء: فاتته صلاة العصر، فلما كان ذلك استدرك عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: إني أحببت حبًّا شديدًا الخيل، فالخيل هي الخير - وشغلني وألهاني حبها عن ذِكر الله عَزَّ وَجَلَّ حتى غابت الشمس واحتجبت واختفت، ثم قال: ردوا عليَّ خيلي فردوها عليه، فلما ردّوها عليه، بدأ يمسح سيقانها ورقابها، واختلف العلماء في مسح السوق والأعناق، هل هو ضرب رقابها وقطع أرجلها بالسيف أم أنه مسحٌ باليد.

فقال فريق من العلماء: إنه قتلها بعد أن قطع أرجلها، أي: قطع سيقانها ثم قتلها قربةً إلى الله، قالوا: وكان ذلك سائغًا في شريعتهم، كسر وقتل ما يشغل عن ذِكر الله من هذه الدواب والآلات، قالو: فأبدله الله خيرًا من ذلك ريحًا تجري بأمره رخآء حيث أصاب...

وقال آخرون من أهل العلم: إن المراد بذلك أنه مسح رقابها وأرجلها حبًّا لها ولم يقتلها، وليس هناك ما يفيد أنه قتلها من سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أنه قطع أرجلها، ثم كيف يقطع أرجلها؟ وكيف يقتلها وفي ذلك إتلاف للمال وإتلاف للخيل المعدَّة للجهاد في سبيل الله.

قالوا: فلما لم يوجد نصٌّ صريح يُفيد أنه قطع أرجلها وقتلها - عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولم يكن للمحتج حجة إلا الاستدلال بالآية الكريمة، والآية

الكريمة محتملة للأمرين، وثمَّ أمر مدفوع بنصوص أخر، صِرنا إلى الأمر الذي لا يدفع بنصوص أخر، ألا وهو أنه مسحها بيده، كذا قالوا ما هذا حاصله، فالله أعلم.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إنه تواب إلى الله من خطيئته التي أخطأها، إذ عرض عليه بالعشي الصافنات؛ فـ(إذ) من صلة أواب، والصافنات: جمع الصافن من الخيل، والأنثى: صافنة، والصافن منها عند بعض العرب: الذي يجمع بين يديه، ويثني طرف سنبك إحدى رجليه، وعند آخرين: الذي يجمع يديه. وزعم الفراء أن الصافن: هو القائم، يقال منه: صفنت الخيل تصفن صفونًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ يعني: الخيل، وصفونها: قيامها وبسطها قوائمها.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ قال: الخيل أخرجها الشيطان لسليمان، من مرج من مروج البحر. قال: الخيل والبغال والحمير تصفن.

والصفن: أن تقوم على ثلاث، وترفع رجلًا واحدة حتى يكون طرف الحافر على الأرض.

وفي رواية عن ابن زيد قال: ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ الخيل، وكانت لها أجنحة.

قال الطبري: وأما الجياد فإنها السراع، واحدها جواد.

قال: وقوله: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾

وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة الظاهر عليه من ذكره: فلهي عن الصلاة حتى فاتته، فقال: إني أحببت حب الخير. ويعني بقوله: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ أي: أحببت حبًّا للخير، ثم أضيف الحب إلى الخير. وعني بالخير في هذا الموضع الخيل، والعرب فيما بلغني تسمي الخيل: الخير، والمال أيضًا يسمونه الخير.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾: أي المال والخيل، أو الخير من المال.

وقوله: ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ يقول: إني أحببت حب الخير حتى سهوت عن ذكر ربي وأداء فريضته. وقيل: إن ذلك كان صلاة العصر.

وأورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة: ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ عن صلاة العصر.

وقال الطبري:

وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢﴾ يقول: حتى توارت الشمس بالحجاب، يعني: تغيبت في مغيبها.

وقوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ﴾ يقول: ردوا علي الخيل التي عرضت عليَّ، فشغلتني عن الصلاة، فكروها عليَّ.

وقوله: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣﴾ يقول: فجعل يمسح منها السوق، وهي جمع الساق، والأعناق.

واختلف أهل التأويل في معنى مسح سليمان بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها، فقال بعضهم: معنى ذلك أنه عقرها وضرب أعناقها، من قولهم: مسح علاوته: إذا ضرب عنقه.

وأورد بسندٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ قال: قال الحسن: قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك، قال قولهما فيه، يعني: قتادة والحسن قال: فكسف عراقيبها، وضرب أعناقها.

وأورد الطبري من وجه آخر عن الحسن، وبه يصح النقل عن الحسن (وهو البصري) قال: أمَرَ بها فعُقرت.

قال الطبري:

وقال آخرون: بل جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حبًّا لها.

وأورد الطبري بسندٍ فيه مقال عن ابن عباس قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ يقول: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبًّا لها، واختار الطبري قول ابن عباس هذا فقال: وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية؛ لأن نبي الله ﷺ لم يكن إن شاء الله ليعذب حيوانًا بالعرقبة، ويهلك مالًا من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذي يقطع به أنه لم يتركها عمدًا بل نسيانًا كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه[(١)]، من ذلك عن جابر قال: جاء عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش، ويقول: يا

---

(١) البخاري (٥٩٦)، ومسلم (٦٣١).

رسول الله، والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب. فقال رسول الله ﷺ: «والله ما صليتها» فقال: فقمنا إلى بُطْحَان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب.

ويحتمل أنه كان سائغًا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال. والخيل تراد للقتال. وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعًا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسايفة والمضايقة، حيث لا يمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الحسن البصري: قال: لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك. ثم أمر بها فعقرت. وكذا قال قتادة.

وقال السدي: ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: جعل يمسح أعراف الخيل، وعراقيبها حبًّا لها.

وهذا القول اختاره ابن جرير قال: لأنه لم يكن ليعذب حيوانًا بالعرقبة ويهلك مالًا من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها. وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر؛ لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبًا لله ﷻ بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة؛ ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله تعالى ما هو خير منها وهي الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل.

وأورد بإسناد[١] **يصح لشواهده عن أبي قتادة وأبي الدهماء:** وكانا يكثران السفر نحو البيت - قالا أتينا على رجل من أهل البادية، فقال البدوي: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني مما علمه الله تعالى وقال: «**إنك لا تدع شيئًا اتقاء الله - ﷻ - إلا أعطاك الله خيرًا منه**».

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمفسرون اختلفوا في معنى الآية فمنهم من قال: مسح على أعناقها وسوقها إكرامًا لها وقال: أنت في سبيل الله فهذا إصلاح، ومنهم من قال: عرقبها ثم ذبحها وذبح الخيل وأكل لحمها جائز.

❁ ❁ ❁

س: هل كانت لهذه الخيل أجنحة؟

ج: ليس هنالك أخبار صحيحة تُفيد ذلك، وإن كان ذلك قد نُقل عن عددٍ من السلف.

صحَّ عن ابن زيدٍ وغيره أن الصافنات الخيل، وكانت لها أجنحة.

وأخرج أبو داود[٢] من طريق محمد بن عوف حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِى مَرْيَمَ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أيوبَ قَالَ حَدَّثَنِى عُمَارَةُ بْنُ غَزِيَّةَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِى سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ وَفِى سَهْوَتِهَا سِتْرٌ فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟**». قَالَتْ: بَنَاتِى. وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا الَّذِى**

---

(١) أحمد في المسند (٥/٧٨، ٧٩).

(٢) أبو داود (٤٩٣٢)، وفي سنده يحيى بن أيوب الغافقي متكلم فيه.

أَرَى وَسْطَهُنَّ؟». قَالَتْ: فَرَسٌ. قَالَ: «وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟». قَالَتْ: جَنَاحَانِ. قَالَ: «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ». قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ، قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ ﷺ.

❁ ❁ ❁

فتنة سليمان عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - ولقد ابتلينا سليمان عليه السلام واختبرناه لسببٍ من الأسباب لم يوضح هاهنا، ابتليناه بذهاب ملكه مدة من الزمن، وألقينا على كرسي المُلك جسدًا، قيل: شيطانًا يحكم مكان سليمان عليه السلام، ثم تاب سليمان ﷺ ورجع إلى الله ﷻ، وردَّ الله ﷻ عليه ملكه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد ابتلينا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا شيطانًا متمثلًا بإنسان، ذكروا أن اسمه صخر. وقيل: إن اسمه آصف. وقيل: إن اسمه آصر. وقيل: إن اسمه حبقيق.

وقال رحمه الله: وقوله: ﴿ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ سليمان، فرجع إلى مُلكه من بعد ما زال عنه ملكه فذهب.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: اختبرناه بأن سلبناه الملك مرة، ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قال ابن عباس، ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم: يعني: شيطانًا. ﴿ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ أي: رجع إلى ملكه وسلطانه وأبهته.

❁ ❁ ❁

س: ما هذا الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان عليه السلام، ولماذا ألقي هذا الجسد؟ وكيف أبعد؟

ج: ذهب جمهور أهل العلم إلى أن هذا الجسد هو شيطان تمثل في صورة إنسان، أما لماذا ألقي على كرسي سليمان عليه السلام، فيبدو من السياق، خاصة من قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾، ومن قوله: ﴿ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ أن ذلك لشيء صدر من سليمان عليه السلام لا يليق بمقام النبوة، ولم يُفصح عن هذا الشيء في آيةٍ علمتها، ولا في حديث ثبت لديَّ عن رسول الله ﷺ، وكذا كيف أُبعد وكيف رجع لسليمان عليه السلام مُلكه؟ فلم أقف على آية ولا حديث بذلك.

هذا، وإن كان قد ورد في الموقوفات عن بعض الصحابة رضي الله عنهم، وعن بعض التابعين رحمهم الله ما مفاده أن شيطانًا جلس على كرسي المُلك زمانًا يحكم بما هو مُستنكر ومستغرب إلى أن تاب سليمان عليه السلام مما صنع توبة عظيمة فرد الله إليه ملكه، وهذه الموقوفات وآثار التابعين غالب الظن أنها مُتلقاة من الإسرائيليات.

هذا، وقد ذهب بعض العلماء المتأخرين - وهم قِلةٌ - ولم أر لهم كبير سلف في هذا الرأي الذي ذهبوا إليه، ذهبوا إلى أن هذا الجسد هو نصف الإنسان الذي ابتلي به سليمان عليه السلام، فقد قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة منهن ولدًا يجاهد في سبيل الله، فقيل: قل: إن شاء الله،

فلم يقل (وغالب الظن أنه نسي)، فلم تلد امرأة منهن إلا واحدة ولدت شق إنسان (أي: نصف إنسان)، وقد جاء بذلك الأخير خبرٌ عن النبي ﷺ، لكن لا تعلُّق له بالآية الكريمة فيما روي عن رسول الله ﷺ أما الخبر، فهو ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة، عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ نَبِىُّ اللَّهِ لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهُنَّ تَأْتِى بِغُلاَمٍ يُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ أَوِ الْمَلَكُ قُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِىَ. فَلَمْ تَأْتِ وَاحِدَةٌ مِنْ نِسَائِهِ إِلاَّ وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ غُلاَمٍ»**. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«وَلَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. لَمْ يَحْنَثْ وَكَانَ دَرَكًا لَهُ فِى حَاجَتِهِ»**.

وهذه بعض الآثار والموقوفات التي أشرت إليها إجمالًا أذكر بعضها، وأعقب بمشيئة الله ـ بأقوال أهل العلم، والله المستعان.

أخرج الطبري[2] بسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ قال: حدثنا قتادة أن سلمان أمر ببناء بيت المقدس، فقيل له: ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد، قال: فطلب ذلك فلم يقدر عليه، فقيل له: إن شيطانًا في البحر يقال له صخر شبه المارد، قال: فطلبه، وكانت عين في البحر يردها في كل سبعة أيام مرة، فنزح ماؤها وجعل فيها خمر، فجاء يوم وروده فإذا هو بالخمر، فقال: إنك لشراب طيب، إلا أنك تصبين الحليم، وتزيدين الجاهل جهلًا، قال: ثم رجع حتى عطش عطشًا شديدًا، ثم أتاها فقال: إنك لشراب طيب، إلا أنك تصبين الحليم،

(١) مسلم (١٦٥٤)، والبخاري (٣٤٢٤).

(٢) وهو حسنٌ عن قتادة.

وتزيدين الجاهل جهلًا، قال: ثم شربها حتى غلبت على عقله، قال: فأري الخاتم أو ختم به بين كتفيه، فذل، قال: فكان ملكه في خاتمه، فأتى به سليمان، فقال: إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت. وقيل لنا: لا يسمعن فيه صوت حديد، قال: فأتى ببيض الهدهد، فجعل عليه زجاجة، فجاء الهدهد، فدار حولها، فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه، فذهب فجاء بالماس، فوضعه عليه، فقطعها به حتى أفضى إلى بيضه، فأخذ الماس، فجعلوا يقطعون به الحجارة، فكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخلها بخاتمه؛ فانطلق يومًا إلى الحمام، وذلك الشيطان صخر معه، وذلك عند مقارفة ذنب قارف فيه بعض نسائه، قال: فدخل الحمام، وأعطى الشيطان خاتمه، فألقاه في البحر، فالتقمته سمكة، ونزع ملك سليمان منه، وألقي على الشيطان شبه سليمان؛ قال: فجاء فقعد على كرسيه وسريره، وسلط على ملك سليمان كله غير نسائه؛ قال: فجعل يقضي بينهم، وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا: لقد فتن نبي الله؛ وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب في القوة، فقال: والله لأجربنه؛ قال: فقال له: يا نبي الله، وهو لا يرى إلا أنه نبي الله، أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة، فيدع الغسل عمدًا حتى تطلع الشمس، أترى عليه بأسًا؟ قال: لا، قال: فبينا هو كذلك أربعين ليلة

حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة، فأقبل فجعل لا يستقبله جني ولا طير إلا سجد له، حتى انتهى إليهم ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قال: هو الشيطان صخر.

وأخرج الطبري من طريقين عن ابن أبي نجيح[(١)] عن مجاهد قوله: ﴿عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قال: شيطانًا يقال له آصف، فقال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك. فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر، فساح سليمان وذهب ملكه، وقعد آصف على كرسيه، ومنعه الله نساء سليمان، فلم يقربهن، وأنكرنه؛ قال: فكان سليمان يستطعم فيقول: أتعرفوني أطعموني أنا سليمان، فيكذبونه، حتى أعطته امرأة يومًا حوتًا يطيب بطنه، فوجد خاتمه في بطنه، فرجع إليه ملكه، وفر آصف فدخل البحر فارًّا.

وبسندٍ صحيح عند الطبري عن سعيد بن جبير: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قال: شيطانًا.

وبسندٍ فيه كلام يسير عن السدي في قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ قال: لقد ابتلينا ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قال: الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يومًا؛ قال: كان لسليمان مائة امرأة، وكانت امرأة منهن يقال لها: جرادة، وهي آثر نسائه عنده، وآمنهن عنده، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه، ولم يأتمن عليه أحد من الناس غيرها؛ فجاءته يومًا من الأيام، فقالت: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك، فقال لها: نعم، ولم يفعل، فابتلي وأعطاها خاتمه، ودخل المخرج، فخرج الشيطان في صورته، فقال لها: هاتي الخاتم، فأعطته، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان بعد، فسألها أن تعطيه خاتمه،

(١) وفي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير خلاف.

فقالت: ألم تأخذه قبل؟ قال: لا وخرج مكانه تائهًا قال: ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يومًا. قال: فأنكر الناس أحكامه، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماؤهم، فجاءوا حتى دخلوا على نسائه، فقالوا: إنا قد أنكرنا هذا، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله، وأنكرنا أحكامه. قال: فبكى النساء عند ذلك، قال: فأقبلوا يمشون حتى أتوه، فأحدقوا به، ثم نشروا التوراة، فقرءوا قال: فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه، ثم طار حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر، فابتلعه حوت من حيتان البحر. قال: وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع، وقد اشتد جوعه، فاستطعمهم من صيدهم، قال: إني أنا سليمان، فقام إليه بعضهم فضربه بعصًا فشجه، فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه، فقالوا: بئس ما صنعت حيث ضربته، قال: إنه زعم أنه سليمان، قال: فأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم، ولم يشغله ما كان به من الضرر، حتى قام إلى شط البحر، فشق بطونهما، فجعل يغسل...، فوجد خاتمه في بطن إحداهما، فأخذه فلبسه، فرد الله عليه بهاءه وملكه، وجاءت الطير حتى حامت عليه، فعرف القوم أنه سليمان، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا، فقال: ما أحمدكم على عذركم، ولا ألومكم على ما كان منكم، كان هذا الأمر لا بد منه، قال: فجاء حتى أتى ملكه، فأرسل إلى الشيطان فجيء به، وسخر له الريح والشياطين يومئذٍ، ولم تكن سخرت له قبل ذلك، وهو قوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ قال: وبعث إلى الشيطان، فأتي به، فأمر به فجعل في صندوق من حديد، ثم أطبق عليه

فأقفل عليه بقفل، وختم عليه بخاتمه، ثم أمر به، فألقي في البحر، فهو فيه حتى تقوم الساعة، وكان اسمه حبقيق.

*** وبسندٍ صحيح[(١)] عن مبارك عن الحسن:** ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قال: شيطانًا.

*** وأخرج الطبري أيضًا بأسانيد فيها ضعف عن ابن عباس قوله:**

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قال: هو صخر الجني تمثَّل على كُرسيه جسدًا.

ولكن له شواهد يصح بها عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(٢)].

*** وقد أورد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى جلَّ هذه الأقوال، وقال:**

وهذه كلها من الإسرائيليات ومن أنكرها ما قاله ابن أبي حاتم:

حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبي شيبة وعلي ابن محمد قالوا: حدثنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ قال: أراد سليمان أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه - وكانت الجرادة امرأته وكانت أحب نسائه إليه - فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي. فأعطته إياه. فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين فلما خرج سليمان من الخلاء قال لها: هاتي خاتمي. قالت: قد أعطيته سليمان. قال: أنا سليمان. قالت: كذبت لست سليمان فجعل لا يأتي أحدًا فيقول له: «أنا سليمان»، إلا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه

---

(١) ومبارك مدلسٌ وقد عنعن، لكن من العلماء من يرى أن روايته عن الحسن، في غير المرفوع تُتحمل، والله أعلم.

(٢) وسيأتي الأثر المطوَّل عن ابن عباس في ذلك.

بالحجارة. فلما رأى ذلك عَرَفَ أنه من أمر الله ﷻ. قال: وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله أن يرد على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان. قال: فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن: أتنكرن من سليمان شيئًا؟ قلن: نعم إنه يأتينا ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك. فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن أن أمره قد انقطع فكتبوا كتبًا فيها سحر وكفر، فدفنوها تحت كرسي سليمان ثم أثاروها وقرءوها على الناس. وقالوا: بهذا كان يظهر سليمان على الناس فأكفر الناس سليمان عليه السلام فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطانُ بالخاتم فطرحه في البحر فتلقته سمكة فأخذته. وكان سليمان يحمل على شط البحر بالأجر فجاء رجل فاشترى سمكًا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فدعا سليمان فقال: تحمل لي هذا السمك؟ فقال: نعم. قال: فبكم؟ قال بسمكة من هذا السمك. قال: فحمل سليمان عليه السلام السمك ثم انطلق به إلى منزله فلما انتهى الرجل إلى بابه أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فأخذها سليمان فشق بطنها، فإذا الخاتم في جوفها فأخذه فلبسه. قال: فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين وعاد إلى حاله وَهَرب الشيطان حتى دخل جزيرة من جزائر البحر فأرسل سليمان في طلبه وكان شيطانًا مريدًا فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يومًا نائمًا فجاءوا فبنوا عليه بنيانًا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا أنماط معه من الرصاص قال: فأخذوه فأوثقوه وجاءوا به إلى سليمان، فأمر به فنقر له تخت من رخام ثم أدخل في جوفه ثم سد بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله: ﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ

﴿٣٤﴾ قال: يعني الشيطان الذي كان سلط عليه.

* هكذا أورد الحافظ ابن كثير عازيًا هذا الأثر لابن أبي حاتم، وهذا سند يُحسَّن، ولكن فيه كما أشار الحافظ ابن كثير أمرٌ مستبشع جدًّا ومستنكر جدًّا فضلًا على سائر المستغربات فيه.

ألا وهو قول نسوة سليمان - في شأن الشيطان - إنه يأتينا ونحن حيض، فمعاذ الله أن يتلسط شيطان على نساء نبي كريم بهذه الطريقة، ثم هو أيضًا معارض بما في أثر مجاهد المتقدم.

*** ومن ثم فقد استنكره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ استنكارًا شديدًا، فقال بعد إيراده الأثر:**

إسناده إلى ابن عباس قوي ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس - إن صح عنه - من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فالظاهر أنهم يكذبون عليه ولهذا كان في السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله منه تشريفًا وتكريمًا لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف، كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب - والله أعلم بالصواب.

قلت: والأمر كما أشار الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه الله فسيح جناته.

وهذا مزيدٌ من أقوال العلماء - رحمهم الله - في هذا الصدد.

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنَابَ ٣٤﴾.

ج: فيها وجهان للعلماء:

أحدهما: ثم رجع إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ مُلكُه.

الثاني: ثم استغفر سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ مما كان قد وقع منه - والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ٣٥﴾.

ج: ذلك قول سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، بعد أن ردَّ الله إليه ملكه سأل ربَّه عَزَّ وَجَلَّ قائلًا: يا رب استر عليَّ ما صدر مني ولا تؤاخذني به، وامحه أيضًا، وتفضل عليَّ يا رب بملكٍ لا يكون لأحدٍ من البشر من بعدي ملكٌ مثله، فأنت الوهاب تهب لمن تشاء ما تشاء.

* هذا هو المعنى الذي أختاره من أقوال أهل العلم والذي تشهد له الأدلة، أما الطبري فذهب مذهبًا آخر، وأورد عن قتادة ما يؤيد به قوله ألا وهو أن المراد بقوله: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ أي: لا يسلبه مني أحدٌ، وأرى هذا المعنى بعيدًا عن الأدلة وعن سياق الآية الكريمة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ يقول تعالى ذكره: قال سليمان راغبًا إلى ربه: رب استر علي ذنبي الذي أذنبت بيني وبينك، فلا تعاقبني به ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ لا يسلبنيه أحدٌ كما سلبنيه قبل هذه الشيطان.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ

بَعۡدِيٓۖ﴾ يقول: ملكًا لا أسلبه كما سلبته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾ يقول: إنك وهاب ما تشاء لمن تشاء، بيدك خزائن كل شيء تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت.

وأورد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يُتعقب به قول الطبري فقال:

﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾ قال بعضهم: معناه: لا ينبغي لأحد من بعدي، أي: لا يصلح لأحد أن يسلبنيه كما كان من قضية الجسد الذي ألقي على كرسيه لا أنه يحجر على من بعده من الناس. والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكًا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله، وهذا هو ظاهر السياق من الآية وبه وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ.

وأورد ما أخرجه البخاري[(١)] من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلاَةَ، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ:** ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾».

قَالَ رَوْحٌ: فَرَدَّهُ خَاسِئًا.

وأورد ما أخرجه مسلم في صحيحه[(٢)] عنه قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ**». ثُمَّ قَالَ: «**أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ**». ثَلاَثًا.

---

(١) البخاري (٤٨٠٨)، ومسلم (٥٤١).

(٢) مسلم (حديث ٥٤٢).

وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِى الصَّلاَةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ. قَالَ: «**إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِى وَجْهِى فَقُلْتُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قُلْتُ أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ وَاللَّهِ لَوْلاَ دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ صِبْيَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ**».

وعند أحمد في المسند[1] **من طريق عبد الله بن الديلمي قال:** دخلت على عبد الله بن عمرو، وهو في حائط له بالطائف يُقال له: (الوهط)... فذكر الحديث وفيه وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن سليمان سأل الله تعالى ثلاثًا، فأعطاه اثنتين، ونحن نرجوا أن تكون لنا الثالثة: سأله حكمًا يصادف حكمه، فأعطاه إياه، وسأله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه إياه، وسأله: أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد، خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه، فنحن نرجوا أن يكون الله تعالى قد أعطانا إياها**».

قلت (مصطفى): فهذه الأدلة تشير إلى صحة ما ذُكر من أن سليمان عليه السلام سأل ربه مُلكًا لا ينبغي لأحدٍ غيره من البشر ممن يأتون بعده، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن سليمان عليه السلام لما دعا ربَّه عز وجل:

---

(١) مسند أحمد (١٧٦/٢)، والنسائي (٣١٧/٨)، وغيرهما من طرق عن الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد عنه به... وسنده صحيح.

﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٣٥﴾ استجاب الله ﷻ دعاءه، وكان من صور إجابة هذا الدعاء أن الله ﷻ سخر له الريح تجري بأمره، يأمرها سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فتسير ريحًا مطيعة لينة رخوةً إلى المكان الذي يريده منها عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فاستجبنا له دعاءه، فأعطيناه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ مكان الخيل التي شغلته عن الصلاة ﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً﴾ يعني: رخوة لينة، وهي من الرخاوة.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: واختلف أهل التأويل في معنى الرخاء، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه.

وأورد أقوال بعض أهل العلم في ذلك أنها طيبة وليست بعاصفة ولا بطيئة.

قال: وقال آخرون: معنى ذلك مطيعة لسليمان، وقال في قوله: ﴿حَيۡثُ أَصَابَ﴾ يقول: حيث أراد من قولهم، أصاب الله بك خيرًا، أي: أراد الله بك خيرًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ۝٣٦﴾ قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: لما عقر سليمان الخيل غضبًا لله ﷻ عوضه الله ما هو خير منها وأسرع الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر.

وقوله: ﴿حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦﴾ أي: حيث أراد من البلاد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٣٨ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ۝٤٠﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وسخرنا الشياطين لسليمان ﷺ يأمرها فتأتمر بأمره، وينهاها فتنتهي عما نهاها عنه، فريق منها يعمل في البناء فيبنون له ما يشاء من الأبنية كما قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ **[سبأ: ١٣]**، ومنها فريق يعمل في الغوص، يغوصون في قيعان البحار يستخرجون له اللؤلؤ وسائر أنواع الحلي، وما يريده من قيعان البحار، وآخرون - وهم المتمردون على الطاعة الخارجون عنها - قد رُبطوا وحبسوا في القيود والسلاسل والأغلال تعذيبًا لهم وتأديبًا، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝١٢﴾ **[سبأ: ١٢]**.

أما قوله: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾ أي: الذي أعطيناك إياه إذ سألت ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدك. ﴿فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ تفضل على من شئت وأعطه ما شئت أو احرم من شئت وامنع من شئت العطاء. ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩﴾ بلا حساب عليك ولا مؤاخذة عليك، وكل هذا ليس بمتسبب في حرمانه في الآخرة من الجزاء الحسن، بل ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا﴾ في الآخرة ﴿لَزُلْفَى﴾ لقربة، منزلة المقربين ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ ومآب حسنٌ ومرجع حسن ومصيرٌ حسن، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ**:**

وقوله: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧﴾ يقول تعالى ذكره: وسخرنا له

الشياطين سلطناه عليها مكان ما ابتليناه بالذي ألقينا على كرسيه منها يستعملها فيما يشاء من أعماله من بناء وغواص؛ فالبناة منها يصنعون محاريب وتماثيل، والغاصة يستخرجون له الحلي من البحار، وآخرون ينحتون له جفانًا وقدورًا، والمردة في الأغلال مقرنون.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧﴾ قال: يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، وغواص يستخرجون الحلي من البحر ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ۝٣٨﴾ قال: مردة الشياطين في الأغلال.

وقوله: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٣٩﴾ اختلف أهل التأويل في المشار إليه بقوله: ﴿هَٰذَا﴾ من العطاء، وأي عطاء أريد بقوله: عطاؤنا، فقال بعضهم: عني به الملك الذي أعطاه الله.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة في قوله: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٣٩﴾ قال: قال الحسن: الملك الذي أعطيناك فأعط ما شئت وامنع ما شئت.

قال:

وقال آخرون: بل عني بذلك تسخيره له الشياطين، وقالوا: ومعنى الكلام: هذا الذي أعطيناك من كل بناء وغواص من الشياطين، وغيرهم عطاؤنا.

وأورد أيضًا بإسناد حسن عن قتادة: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٣٩﴾ قال: هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم فى وثاقك وفي عذابك أو سرح من شئت منهم تتخذ عنده يدًا، اصنع ما شئت.

وقال آخرون: بل ذلك ما كان أوتي من القوة على الجماع.

واختار الطبري القول الأول، فقال:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن والضحاك[(١)] من أنه عني بالعطاء ما أعطاه من الملك تعالى ذكره، وذلك أنه جلَّ ثناؤه ذكر ذلك عقيب خبره عن مسألة نبيه سليمان صلوات الله وسلامه عليه إياه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فأخبر أنه سخر له ما لم يسخر لأحد من بني آدم، وذلك تسخيره له الريح والشياطين على ما وصفت، ثم قال له عزَّ ذكره: هذا الذي أعطيناك من الملك، وتسخيرنا ما سخرنا لك عطاؤنا، ووهبنا لك ما سألتنا أن نهبه لك من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك ﴿فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩﴾.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩﴾ فقال بعضهم: عني بذلك: فأعط من شئت ما شئت من الملك الذي آتيناك، وامنع من شئت منه ما شئت، لا حساب عليك في ذلك.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قال الحسن: ﴿فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩﴾ الملك الذي أعطيناك، فأعط ما شئت وامنع ما شئت، فليس عليك تبعة ولا حساب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أعتق من هؤلاء الشياطين الذين سخرناهم لك من الخدمة، أو من الوثاق ممن كان منهم مقرنًا في الأصفاد من شئت واحبس من شئت فلا حرج عليك في ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسن أيضًا عن قتادة: ﴿فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩﴾ يقول:

---

(١) وقد تركت الكلام في إسناديهما.

هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم في وثاقك وفي عذابك، وسرح من شئت منهم تتخذ عنده يدًا، اصنع ما شئت لا حساب عليك في ذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: هذا الذي أعطيناك من القوة على الجماع عطاؤنا، فجامع من شئت من نسائك وجواريك ما شئت بغير حساب، واترك جماع من شئت منهن.

وقال آخرون: بل ذلك من المقدم والمؤخر. ومعنى الكلام: هذا عطاؤنا بغير حساب، فامنن أو أمسك. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: ﴿**هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب**﴾.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول في قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وجهان: أحدهما: بغير جزاء ولا ثواب، والآخر: منة ولا قلة.

والصواب من القول في ذلك ما ذكرته عن أهل التأويل من أن معناه: لا يحاسب على ما أعطى من ذلك الملك والسلطان. وإنما قلنا في ذلك هو الصواب لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه.

وقوله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ يقول: وإن لسليمان عندنا لقربة بإنابته إلينا وتوبته وطاعته لنا، وحسن مآب: يقول: وحسن مرجع ومصير في الآخرة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾ أي: منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر وطائفة غواصون في

البحار يستخرجون مما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨﴾ أي: موثقون في الأغلال والأكبال ممن قد تَمَرّد وعصى وامتنع من العمل وأبى أو قد أساء في صنيعه واعتدى.

وقوله: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩﴾ أي: هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا فأعط من شئت واحرم من شئت، لا حساب عليك، أي: مهما فعلتَ فهو جائز لك احكم بما شئت فهو صواب.

❁ ❁ ❁

س: كيف يسأل سليمان عليه السلام ربَّه أن يؤتيه ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده؟ أليس في هذا طلب للدنيا؟

ج: أقول، وبالله التوفيق:

أولًا: طلب الدنيا ليس بممنوع إذا كان سيوجَّه إلى طاعة الله عز وجل وإلى مرضاته، وقد أثنى الله عز وجل على أهل الإيمان إذ يقولون: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١]، وقد كان المسيح عيسى عليه السلام وجيهًا في الدنيا كما أنه سيكون وجيهًا أيضًا في الآخرة.

ثانيًا: قد يُقال إن سليمان عليه السلام طلب ذلك لدفع ما قد يتسرب إلى أهل الجهل والغباوة من أن الله عز وجل كرهه وطرده عن ملكه نقمةً منه عليه، فطلب مزيدًا من نعم الله عز وجل لدفع هذا الالتباس الذي قد يتولد عند بعض أهل الجهل.

الثالث: أنه طلب ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، وكان من ذلك تسخير الشياطين حتى لا يتسلط شيطان على ملكه مرة ثانية.

الرابع: أنه سأل ربه ذلك إذ لكل نبيٍّ خاصية وكرامة ومنزلة يُعرف بها في الدنيا، فكان هذا ما طلبه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، لا للتعالي على خلق الله، ولا للبطر والأشر.

* هذا، وقد طرح الطبري رحمه الله تعالى مثل هذا السؤال، وأجاب عليه، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

إن قال لنا قائل: وما وجه رغبة سليمان إلى ربه في الملك، وهو نبي من الأنبياء، وإنما يرغب في الملك أهل الدنيا المؤثرون لها على الآخرة؟

أم ما وجه مسألته إياه، إذ سأله ذلك ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وما كان يضره أن يكون كل من بعده يؤتى مثل الذي أوتي من ذلك؟ أكان به بخل بذلك، فلم يكن من ملكه، يعطي ذلك من يعطاه، أم حسد للناس، كما ذكر عن الحجاج بن يوسف؛ فإنه ذكر أنه قرأ قوله: ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ فقال: إن كان لحسودًا، فإن ذلك ليس من أخلاق الأنبياء!

وأجاب الطبري على كل ذلك بقوله:

قيل: أما رغبته إلى ربه فيما يرغب إليه من الملك، فلم تكن إن شاء الله به رغبة في الدنيا، ولكن إرادة منه أن يعلم منزلته من الله في إجابته فيما رغب إليه فيه، وقبوله توبته، وإجابته دعاءه.

وأما مسألته ربه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فإنا قد ذكرنا فيما مضى قبل قول من قال: إن معنى ذلك: هب لي ملكًا لا أسلبه كما سلبته قبل. وإنما معناه عند هؤلاء: هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي أن يسلبنيه. وقد يتجه ذلك أن يكون بمعنى: لا ينبغي لأحد سواي من أهل زماني، فيكون حجة وعلمًا لي على نبوتي وأني رسولك إليهم مبعوث، إذ كانت

الرسل لا بد لها من أعلام تفارق بها سائر الناس سواهم. ويتجه أيضًا؛ لأن يكون معناه: وهب لي ملكًا تخصني به، لا تعطيه أحدًا غيري تشريفًا منك لي بذلك، وتكرمة، لتبين منزلتي منك به من منازل من سواي، وليس في وجه من هذه الوجوه مما ظنه الحجاج في معنى ذلك شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن سؤاله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده ليكون محله وكرامته من الله ظاهرًا في خلق السماوات والأرض؛ فإن الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ لهم تنافس في المحل عنده فكلٌّ يحب أن تكون له خصوصية يستدل بها على محله عنده ولهذا: لما أخذ النبي ﷺ العفريت الذي أراد أن يقطع عليه صلاته وأمكنه الله منه أراد ربطه ثم تذكر قول أخيه سليمان: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ فرده خاسئًا، فلو أعطي أحد بعده مثله ذهبت الخصوصية فكأنه كره ﷺ أن يزاحمه في تلك الخصوصية بعد أن علم أنه شيء هو الذي خص به من سخرة الشياطين وأنه أجيب إلى ألا يكون لأحد بعده والله أعلم.

❁ ❁ ❁

بعض الفوائد من قصة داود وسليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ

س: اذكر بعض الفوائد من قصة داود وسليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

ج: ذكر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة من ذلك، فقال:

فصل

فيما تبين لنا من الفوائد والحكم في قصة داود وسليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ

فمنها: أن الله تعالى يقص على نبيه محمد ﷺ أخبار من قبله، ليثبت فؤاده وتطمئن نفسه، ويذكر من عباداتهم وشدة صبرهم وإنابتهم، ما يشوقه إلى منافستهم، والتقرب إلى الله الذي تقربوا له، والصبر على أذى قومه، ولهذا - في هذا الموضع - لما ذكر الله ما ذكر من أذية قومه وكلامهم فيه وفيما جاء به، أمره بالصبر، وأن يذكر عبده داود فيتأسى به.

ومنها: أن الله تعالى يمدح ويحب القوة في طاعته، قوة القلب والبدن، فإنه يحصل منها من آثار الطاعة وحسنها وكثرتها، ما لا يحصل مع الوهن وعدم القوة، وأن العبد ينبغي له تعاطي أسبابها، وعدم الركون إلى الكسل والبطالة المخلة بالقوى المضعفة للنفس.

ومنها: أن الرجوع إلى الله في جميع الأمور، من أوصاف أنبياء الله وخواص خلقه، كما أثنى الله على داود وسليمان بذلك، فليقتد بهما المقتدون، وليهتد بهداهم السالكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ومنها: ما أكرم الله به نبيه داود عليه السلام، من حسن الصوت العظيم، الذي جعل الله بسببه الجبال الصم، والطيور البهم، يجاوبنه إذا رجَّع صوته بالتسبيح، ويسبحن معه بالعشي والإشراق.

ومنها: أن من أكبر نعم الله على عبده، أن يرزقه العلم النافع، ويعرف الحكم والفصل بين الناس، كما امتن الله به على عبده داود عليه السلام.

ومنها: اعتناء الله تعالى بأنبيائه وأصفيائه عندما يقع منهم بعض الخلل بفتنته إياهم وابتلائهم بما به يزول عنهم المحذور، ويعودون إلى

أكمل من حالتهم الأولى، كما جرى لداود وسليمان عليهما السلام.

ومنها: أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى، لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، وأنه قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة من المعاصي، ولكن الله يتداركهم ويبادرهم بلطفه.

ومنها: أن داود عليه السلام، كان في أغلب أحواله ملازمًا محرابه لخدمة ربه، ولهذا تسور الخصمان عليه المحراب، لأنه كان إذا خلا في محرابه لا يأتيه أحد، فلم يجعل كل وقته للناس، مع كثرة ما يرد عليه من الأحكام، بل جعل له وقتًا يخلو فيه بربه، وتقر عينه بعبادته، وتعينه على الإخلاص في جميع أموره.

ومنها: أنه ينبغي استعمال الأدب في الدخول على الحكام وغيرهم، فإن الخصمين لما دخلا على داود في حالة غير معتادة ومن غير الباب المعهود، فزع منهم، واشتد عليه ذلك، ورآه غير لائق بالحال.

ومنها: أنه لا يمنع الحاكم من الحكم بالحق سوء أدب الخصم وفعله ما لا ينبغي.

ومنها: كمال حلم داود عليه السلام، فإنه ما غضب عليهما حين جاءاه بغير استئذان، وهو الملك، ولا انتهرهما، ولا وبخهما.

ومنها: جواز قول المظلوم لمن ظلمه: «أنت ظلمتني» أو «يا ظالم» أو باغ عليَّ ونحو ذلك لقولهما: ﴿خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ **[ص: ٢٢]**.

ومنها: أن الموعوظ والمنصوح، ولو كان كبير القدر، جليل العلم، إذا نصحه أحد، أو وعظه، لا يغضب، ولا يشمئز، بل يبادره بالقبول

والشكر، فإن الخصمين نصحا داود فلم يشمئز ولم يغضب ولم يثنه ذلك عن الحق، بل حكم بالحق الصرف.

ومنها: أن المخالطة بين الأقارب والأصحاب، وكثرة التعلقات الدنيوية المالية، موجبة للتعادي بينهم، وبغي بعضهم على بعض، وأنه لا يرد عن ذلك إلا استعمال تقوى الله، والصبر على الأمور، بالإيمان والعمل الصالح، وأن هذا من أقل شيء في الناس.

ومنها: أن الاستغفار والعبادة، خصوصًا الصلاة، من مكفرات للذنوب، فإن الله، رتب مغفرة ذنب داود على استغفاره وسجوده.

ومنها: إكرام الله لعبده داود وسليمان، بالقرب منه، وحسن الثواب، وأن لا يظن أن ما جرى لهما منقص لدرجتهما عند الله تعالى، وهذا من تمام لطفه بعباده المخلصين، أنه إذا غفر لهم وأزال أثر ذنوبهم، أزال الآثار المترتبة عليه كلها، حتى ما يقع في قلوب الخلق، فإنهم إذا علموا ببعض ذنوبهم، وقع في قلوبهم نزولهم عن درجتهم الأولى، فأزال الله تعالى هذه الآثار، وما ذاك بعزيز على الكريم الغفار.

ومنها: أن الحكم بين الناس مرتبة دينية، تولاها رسل الله وخواص خلقه، وأن وظيفة القائم بها الحكم بالحق ومجانبة الهوى، فالحكم بالحق يقتضي العلم بالأمور الشرعية، والعلم بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الحكم الشرعي، فالجاهل بأحد الأمرين لا يصلح للحكم، ولا يحل له الإقدام عليه.

ومنها: أنه ينبغي للحاكم أن يحذر الهوى، ويجعله منه على بال، فإن

النفوس لا تخلو منه، بل يجاهد نفسه بأن يكون الحق مقصوده، وأن يلقي عنه وقت الحكم كل محبة أو بغض لأحد الخصمين.

ومنها: أن سليمان عليه السلام من فضائل داود، ومن منن الله عليه حيث وهبه له، وأن من أكبر نعم الله على عبده، أن يهب له ولدًا صالحًا، فإن كان عالمًا، كان نورًا على نور.

ومنها: ثناء الله تعالى على سليمان ومدحه في قوله: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠﴾.

ومنها: كثرة خير الله وبره بعبيده، أن يمن عليهم بصالح الأعمال ومكارم الأخلاق، ثم يثني عليهم بها، وهو المتفضل الوهاب.

ومنها: تقديم سليمان محبة الله تعالى عن محبة كل شيء.

ومنها: أن كل ما أشغل العبد عن الله، فإنه مشئوم مذموم، فَلْيُفَارِقْه ولْيُقْبِلْ على ما هو أنفع له.

ومنها: القاعدة المشهورة: «**من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرا منه**»، فسليمان عليه السلام عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديمًا لمحبة الله، فعوضه الله خيرًا من ذلك، بأن سخر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد، غدوها شهر، ورواحها شهر، وسخر له الشياطين، أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون.

ومنها: أن سليمان عليه السلام، كان ملكًا نبيًّا، يفعل ما أراد، ولكنه لا يريد إلا العدل، بخلاف النبي العبد، فإنه تكون إرادته تابعة لأمر الله، فلا يفعل ولا يترك إلا بالأمر، كحال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه الحال أكمل.

(٥٠٧) أحمر أسود

ذكر نبي الله أيوب عليه السلام

قال الله تعالى:

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ٱرۡكُضۡ
بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ
لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٤٣ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ
ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤﴾ [ص: ٤١-٤٤]

س: اذكر معنى ما يلي:

(مَسَّنِيَ -نَادَىٰ -بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ -ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ -مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ -وَشَرَابٞ -رَحۡمَةٗ مِّنَّا -وَذِكۡرَىٰ -لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ -ضِغۡثٗا -وَلَا تَحۡنَثۡۗ -أَوَّابٞ).

ج:

الكلمة	معناها
(مَسَّنِيَ)	أصابني
(نَادَىٰ)	دعا – استغاث
(بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ)	النصب: المرض الذي أصابه في بدنه، والعذاب: الفقر الذي حلَّ به، والخسارة التي نالته في ماله. أي: بنصب في بدني (بآلام وأمراض في بدني، وعذاب في مالي (وقلة مال وخسارةٍ في مالي). وقيل: النُّصب الشر والبلاء، والعذاب: الوسوسة التي وسوس له بها الشيطان.
(ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ)	ادفع الأرض برجلك ـ حرِّكها برجلك
(مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ)	ماء متفجرٌ باردٌ للاغتسال به
(وَشَرَابٞ)	ماء باردٌ تشرب منه
(رَحۡمَةٗ مِّنَّا)	رأفةً منا به
(وَذِكۡرَىٰ)	تذكيرًا
(لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ)	لأصحاب العقول النيِّرة الرشيدة

(ضِغْثًا)	حزمة من عيدان - شمراخًا مجموعًا من عيدان
(وَلَا تَحْنَثْ)	لا تقع في الحنث (والمعنى ستبر بيمينك إن فعلت ذلك ولن تأثم)
(أَوَّابٌ)	رجَّاع - مستغفر - مسبح

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - واذكر يا رسول الله عبدنا ونبينا أيوب ﷺ، اذكره وما حلَّ به من البلاء وذكِّر به أيضًا كي يُتأسى به في صبره ورضاه بقدر الله ﷻ، اذكره إذ نادى ربَّه ﷻ مستغيثًا به بعد أن أصابه من الضرِّ الشديد ما أصابه، وحلَّ به من البلاء في مالِهِ ما حلَّ، اذكر دعاءه واستغاثته إذ دعا واستغاث قائلًا: يا رب إني أصابني الشيطان في جسدي ببلاءٍ شديد، وفي ماله بعذابٍ شديد، فقد مرضت مرضًا شديدًا وطال بي المرض، وذهب مالي، فاجتمع عليَّ الفقر والمرض واجتمعت علي وساوس من الشيطان وهواجس.

وهذه بعض الأقوال في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ أيضًا يا محمد ﴿عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ مستغيثًا به فيما نزل به من البلاء: يا رب ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٍ﴾.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكأن معنى النصب في هذا الموضع: العلة التي نالته في جسده والعناء الذي لاقى فيه، والعذاب في ذهاب ماله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى عبده ورسوله أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مَغْرز إبرة سليمًا سوى قلبه ولم يبق له من حال الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحوًا من ثماني عشرة سنة. وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا فَسُلبَ جميع ذلك حتى آل به الحال إلى أن ألقي على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكمالها ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فإنها كانت لا تفارقه صباحًا ومساءً إلا بسبب خدمة الناس ثم تعود إليه قريبًا. فلما طال المطال واشتد الحال وانتهى القدر المقدور وتم الأجل المقدر تضرع إلى رب العالمين وإله المرسلين فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وفي هذه الآية الكريمة قال: رب أني مسني الشيطان بنصب وعذاب، قيل: بنصب في بدني وعذاب في مالي وولدي. فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله. ففعل فأنبع الله عينا وأمره أن يغتسل منها فأذهب جميع ما كان في بدنه من الأذى ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عينا أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهبت ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهرًا وباطنًا ولهذا قال تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾.

قلت (مصطفى): وقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعفا عنه في شأن نبي الله أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إنه ألقي على مزبلةٍ من مزابل البلدة هذه المدة بكمالها قولٌ غير مقبول، ولا دليل عليه، وقد أخذه - فيما يظهر لي - من قول قتادة الذي أخرجه الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قال: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ حتى بلغ: ﴿بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١﴾: ذهاب المال والأهل، والضرّ الذي أصابه في جسده، قال: ابتلي أيوب، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، سبع سنين وأشهرًا، ملقى على كُنَاسَة لبني إسرائيل، تختلف الدواب في جسده ففرج الله عنه، وعَظم له الأجر، وأحسن عليه الثناء.

قلت: وهذا وإن حُسِّن سنده إلى قتادة إلا أنه ليس عن رسول الله ﷺ ولعله تلقاه من الإسرائيليات وقد أحسن ابن العربي إذ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فيما أورده عنه القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن العربي القاضي أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين الأولى قوله تعالى: ﴿۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] والثانية في (ص): ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١﴾. وأما النبي ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: «**بينا أيوب يغتسل إذ خر عليه رجل من جراد من ذهب**» الحديث وإذ لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره أم على أي لسان سمعه؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات فأعرض عن سطورها بصرك وأصمم عن سماعها أذنيك فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالًا ولا تزيد فؤادك إلا خبالًا وفي الصحيح واللفظ للبخاري أن ابن عباس قال: يا معشر المسلمين! تسألون أهل

الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيكم أحدث الأخبار بالله تقرؤونه محضًا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتب فقالوا: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩]، ولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم فلا والله ما رأينا رجلًا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم وقد أنكر النبي ﷺ في حديث الموطأ على عمر قراءته التوراة.

قلت (مصطفى): وكلام ابن العربي في الجملة طيب لكن عليه بعض المؤاخذات، منها قوله: فلم يصح عنه (أي: عن النبي ﷺ أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: «**بينا أيوب يغتسل...**») والتعقب عليه أن ما أورده الطبري يصح سنده ألا وهو ما أخرجه الطبري بسندٍ صحيح (١) عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلان من إخوانه كانا من أخص إخوانه به، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: من ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به؛ فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول، غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حقٍّ؛ قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا**

---

(١) وأشار القرطبي رحمه الله إلى إعلاله بالإرسال إذ قال:

قلت: وذكره ابن المبارك أخبرنا يونس بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ ذكر يومًا أيوب وما أصابه من البلاء وذكر أن البلاء الذي أصابه كان به ثمان عشرة سنة. وذكر الحديث القشيري. وقيل أربعين سنة.

قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، وأوحي إلى أيوب في مكانه: أن ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ **فاستبطأته، فتلقته تنظر، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو على أحسن ما كان؛ فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، فوالله على ذلك ما رأيت أحدًا أشبه به منك؛ إذ كان صحيحًا؟ قال: فإني أنا هو؛ قال: وكان له أندران: أندر للقمح، وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح، أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض».**

*** والمؤاخذة الثانية على كلام ابن العربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قوله:** «والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات...»، فهذا ليس بصحيح، ففي الأمر تفصيل يأتي في محله إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

س: كيف مسَّ الشيطانُ أيوبَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **بنصب وعذاب؟**

ج: أشير في بعض النقولات التي ليس لها كبير إسناد، أن أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ استزله الشيطان فأوقعه في ذنبٍ ـ الله أعلم ما هو ـ حتى ذهب عنه وماله بسبب هذا الذنب.

وأورد القرطبي أقوالًا كثيرة جدًّا في هذا الصدد وتعقبها.

هذا، ومن العلماء من قال: إن أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما أصيب بالضرِّ في بدنه والفقر في ماله ازداد الشيطان في وسوسته له، وقال: لو كنت نبيًّا ما حلَّ بك الذي حلَّ وما أصابك الذي أصابك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: اضرب يا أيوب - إذ سألت ربك ﷻ كشف الضرِّ عنك - اضرب برجلك الأرض، فضربها برجله فتفجرت الأرض (وقيل: تفجرت منها عينان)، فقال الله له: ﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ﴾ أي: ماءٌ للغسل قد تفجر فاغتسل به، ﴿وَشَرَابٞ ٤٢﴾ أي: واشرب منه يُذهب الله به عنك الداء.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾ ومعنى الكلام: إذ نادى ربه مستغيثًا به أني مسني الشيطان ببلاء في جسدي وعذاب بذهاب مالي وولدي فاستجبنا له وقلنا له: اركض برجلك الأرض: أي: حركها وادفعها برجلك والركض: حركة الرجل يقال منه: ركضت الدابة ولا تركض ثوبك برجلك.

وقوله: ﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾ ذكر أنه نبعت له حين ضرب برجله الأرض عينان؛ فشرب من إحداهما واغتسل من الأخرى.

وعنى بقوله: ﴿مُغۡتَسَلُۢ﴾: ما يغتسل به من الماء، يقال منه: هذا مغتسل، وغسول للذي يغتسل به من الماء. وقوله: ﴿وَشَرَابٞ ٤٢﴾ يعني: ويشرب منه، والموضع الذي يغتسل فيه يسمى مغتسلًا.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: ضرب برجله الأرض فإذا عينان تنبعان فشرب من إحداهما واغتسل من الأخرى.

هذا، وقد أخرج البخاري وأحمد من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَى رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى قَالَ: بَلَى يَا**

رَبِّ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ» (١).

❃ ❃ ❃

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: ورددنا لأيوب عليه السلام أهله الذين كانوا قد فرُّوا منه ونفروا عنه بسبب فقره ومرضه، ومعلوم أن زوجته كانت وفية له، ورزقناه بأهلٍ آخرين مثلهم رأفةً منا به وتذكرة لأصحاب العقول النيِّرة الرشيدة كي يعلموا أن الذي يكشف الضرَّ ويجيب المضطر ويعافي بعد سقم هو الله عز وجل.

كذا كي لا ييأس من رحمة الله يائس، ولا يقنط منها قانط، والله أعلم.

هذا، ومن العلماء في قوله: (وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ) قال: فأحياهم الله بأعيانهم وزادهم مثلهم، أورد ذلك الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة والحسن (يعني البصري) – رحمهما الله.

وقال الحافظ ابن كثير:

وقوله: (رَحْمَةً مِّنَّا) أي: به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ أي: لذوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرجُ والمخرجُ والراحة.

❃ ❃ ❃

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾.

(١) أحمد (٢/٣١٤)، والبخاري (٢٧٨، ٣٤٠٤، ٤٧٩٩).

ج: المعنى - والله أعلم -: أن الله ﷻ خفّف عن أيوب عليه السلام وعن أهله؛ إذ كان قد أقسم أن يضرب امرأته مائة جلدة فأمر أن يأخذ حزمة بها مائة عود مجتمعة فيضرب زوجته بها ضربة واحدة ويكون قد برَّ في يمينه ولم يقع في الحنث، أي: في إثم عدم الوفاء باليمين.

وبيَّن ربنا - سبحانه وتعالى- سبب هذا الترخيص لأيوب عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ عند البلاء الذي ابتليناه به ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ أي: رجَّاع مستغفر.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ يقول: وقلنا لأيوب: خذ بيدك ضغثًا، وهو ما يجمع من شيء مثل حزمة الرطبة، وكملء الكف من الشجر أو الحشيش والشماريخ ونحو ذلك مما قام على ساق.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا...﴾ الآية، قال: كانت امرأته قد عرضت له بأمر، وأرادها إبليس على شيء، فقال: لو تكلمت بكذا وكذا، وإنما حملها عليها الجزع، فحلف نبي الله: لئن الله شفاه ليجلدنها مائة جلدة؛ قال: فأمر بغصن فيه تسعة وتسعون قضيبًا، والأصل تكملة المائة، فضربها ضربة واحدة، فأبر نبي الله، وخفف الله عن أمته، والله رحيم.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ قال: ضغثًا واحدًا من الكلإ فيه أكثر من مائة عود، فضرب به ضربة واحدة، فذلك مائة ضربة.

وقولـه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ يقول: إنا وجدنا أيوب صابرًا على البلاء، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله، والدخول في معصيته ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ يقول: إنه إلى طاعة الله مقبل، وإلى رضاه رجَّاع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

وقوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ وذلك أن أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته. قيل: باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة. وقيل: لغير ذلك من الأسباب. فلما شفاه الله وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب فأفتاه الله عَزَّوَجَلَّ أن يأخذ ضغثًا - وهو: الشِّمراخ - فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد بَرّت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأناب إليه ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ أثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ أي: رَجَّاع منيب ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وقد استدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل في الأيمان وغيرها وأخذوها بمقتضاها.

وأورد القرطبي رحمه الله تعالى أقوالًا لا أعلم لها مستندًا، فقال:

كان أيوب حلف في مرضه أن يضرب امرأته مائة جلدة وفي سبب ذلك أربعة أقوال: أحدها: ما حكاه ابن عباس أن إبليس لقيها في صورة طبيب

فدعته لمداواة أيوب فقال: أداويه على أنه إذا برئ قال: أنت شفيتني لا أريد جزاء سواه قال: نعم! فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها وقال: ويحك ذلك الشيطان. الثاني: ما حكاه سعيد بن المسيب أنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها. الثالث: ما حكاه يحيى ابن سلام وغيره: أن الشيطان أغواها أن تحمل أيوب على أن يذبح سخلة تقربًا إليه وأنه يبرأ فذكرت ذلك له فحلف ليضربنها إن عوفي مائة. والرابع قيل: باعت ذوائبها برغيفين؛ إذ لم تجد شيئًا تحمله إلى أيوب وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام فلهذا حلف ليضربنها، فلما شفاه الله، أمره أن يأخذ ضغثًا فيضرب به فأخذ شماريخ قدر مائة فضربها ضربة واحدة.

❊ ❊ ❊

ذِكر طائفة من الأنبياء عليهم السلام

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم
بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ
إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ
مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ
كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ۞وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ
لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

[ص: ٤٥-٥٤]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي – وَٱلْأَبْصَٰرِ – أَخْلَصْنَٰهُم – بِخَالِصَةٍ – ذِكْرَى ٱلدَّارِ – ٱلْمُصْطَفَيْنَ – ٱلْأَخْيَارِ – هَٰذَا ذِكْرٌ – جَنَّٰتِ عَدْنٍ – مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا – يَدْعُونَ – قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ – أَتْرَابٌ – لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ – نَّفَادٍ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(أُوْلِي ٱلْأَيْدِي)	أولي القوة – الأقوياء
(وَٱلْأَبْصَٰرِ)	جمع بصيرة، وهي الفهم والفقه في الدين والعلم
(أَخْلَصْنَٰهُم)	ميَّزناهم - اختصصناهم
(بِخَالِصَةٍ)	بميزة - بخاصية
(ذِكْرَى ٱلدَّارِ)	تذكر الدار الآخرة - تذكر يوم القيامة
(ٱلْمُصْطَفَيْنَ)	المجتبين المختارين
(ٱلْأَخْيَارِ)	جمع خيِّر، وهو الفاضل الذي يصدر منه فعل الخير دومًا وقيل: الأخيار المختارون للنبوة
(هَٰذَا ذِكْرٌ)	هذا ثناءٌ حسن - هذا تذكير - هذا شرف
(جَنَّٰتِ عَدْنٍ)	بساتين إقامة
(مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا)	الاتكاء: الميل بأحد الشقين على الآخر وقيل: الاتكاء: التربع
(يَدْعُونَ)	يطلبون – يسألون فيجابون

(قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ)	غاضات البصر إلا على الأزواج لا ينظرن إلا إلى الأزواج
(أَتۡرَابٌ)	في سنٍّ واحدة - متماثلات في الحسن
(لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ)	يوم القيامة
(نَّفَادٍ)	انقطاع

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: واذكر يا رسول الله - عليك صلاة الله، في نفسك ولقومك ولمن أرسلت إليهم هؤلاء العباد الصالحين الأنبياء الأتقياء إبراهيم خليل الرحمن، وولده إسحاق عليه السلام، ويعقوب حفيد إبراهيم، وابن إسحاق - عليهم جميعًا السلام-، هؤلاء الأنبياء الأقوياء؛ العلماء أقوياء في أبدانهم ذوو بصائر في قلوبهم، وذوو علم وفقهٍ، لقد ميزناهم بميزةٍ ألا وهي كثرة تذكرهم للدار الآخرة، وكثرة استحضارهم لها فتذكرهم لها يحملهم على العمل الصالح وملازمة التقوى، وكذا فهم يُكثرون من تذكير الناس بالآخرة.

ثم إنهم عند الله ﷻ ممن اصطفاهم الله ﷻ واجتباهم على سائر خلقه.

إنهم عند الله معدودون في أهل الخير بل وأفاضل الخيرين المختارين الذين يصدر منهم دومًا الخير، والله أعلم.

هذا، وللعلماء أقوالٌ أخر في تفسير قوله تعالى: (إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾) تتضح مما أسوقه من كلام أهل العلم رحمهم الله.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقولـه: ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ ويعنـي بالأيـدي: القـوة، يقـول: أهـل القوة على عبادة الله وطاعته. ويعني بالأبصار: أنهم أهل أبصـار القلـوب، يعني به: أولي العقول للحق.

وقولــه ﷻ: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ﴾ يقـول تعـالى ذكـره: إنــا خصصـناهم بخاصة: ذكر الدار.

واختلف القراء في قراءة قولـه: ﴿بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ فقرأتـه عامة قراء المدينة: ﴿**بخالصة ذكرى الدار**﴾ بإضـافة خالصـة إلـى ذكرى الدار، بمعنـى: أنهـم أخلصـوا بخالصـة الـذكرى، والـذكرى إذا قـرئ كـذلك غيـر الخالصة، كما المتكبر إذا قرئ: ﴿**على كل قلب متكبر**﴾ بإضافة القلب إلـى المتكبر، هو الذي لـه القلب ولـيس بالقلب. وقرأ ذلك عامة قراء العراق: ﴿بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ بتنـوين قولـه: ﴿بِخَالِصَةٖ﴾ ورد ذكـرى عليهـا، علـى أن الدار هي الخالصة، فردوا الذكر وهي معرفة على خالصـة، وهـي نكـرة، كما قيل: لشر مآب: جهنم، فرد جهنم وهي معرفة على المآب وهي نكرة.

والصـواب من القـول فـي ذلـك عنـدي أنهمـا قراءتـان مستفيضـتان فـي قراءة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقـد اختلـف أهـل التأويـل فـي تأويـل ذلـك، فقـال بعضـهم: معنـاه: إنـا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار: أي: أنهم كـانوا يذكرون النـاس الـدار الآخرة، ويدعونهم إلى طاعة الله، والعمل للدار الآخرة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ قـال: بهذه أخلصهم الله، كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه أخلصهم بعملهم للآخرة وذكرهم لها.

وأورد بإسناد يُحسّن عن السدي: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦﴾ قال: بذكرهم الدار الآخرة، وعملهم للآخرة.

وقال آخرون: معنى ذلك: إنا أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة؛ وهذا التأويل على قراءة من قرأه بالإضافة. وأما القولان الأولان فعلى تأويل قراءة من قرأه بالتنوين.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦﴾ قال: بأفضل ما في الآخرة أخلصناهم به، وأعطيناهم إياه؛ قال: والدار: الجنة، وقرأ: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ **[القصص: ٨٣]**، قال: الجنة، وقرأ: ﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٣٠﴾ **[النحل: ٣٠]**، قال: هذا كله الجنة، وقال: أخلصناهم بخير الآخرة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: خالصة عقبى الدار.

قال: وقال آخرون: بل معنى ذلك بخالصة أهل الدار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يتأول ذلك على القراءة بالتنوين﴿بِخَالِصَةٖ﴾ عمل في ذكر الآخرة.

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك على قراءة من قرأه بالتنوين أن يقال:

معناه: إنا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار الآخرة، فعملوا لها في الدنيا، فأطاعوا الله وراقبوه؛ وقد يدخل في وصفهم بذلك أن يكون من صفتهم أيضًا الدعاء إلى الله وإلى الدار الآخرة؛ لأن ذلك من طاعة الله،

والعمل للدار الآخرة، غير أن معنى الكلمة ما ذكرت. وأما على قراءة من قرأه بالإضافة، فأن يقال: معناه: إنا أخلصناهم بخالصة ما ذُكر في الدار الآخرة؛ فلما لم تذكر (في) أضيفت الذكرى إلى الدار كما قد بيَّنا قبل في معنى قوله: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩]، وقوله: ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: ٢٤].

وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ يقول: وإن هؤلاء الذين ذكرنا عندنا لمن الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة الأخيار، الذين اخترناهم لطاعتنا ورسالتنا إلى خلقنا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين:

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ يعني بذلك: العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ قال النحاس: أما ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ فمتفق على تأويلها أنه البصائر في الدين والعلم وأما ﴿ٱلْأَيْدِى﴾ فمختلف في تأويلها فأهل التفسير يقولون: إنها القوة في الدين وقوم يقولون: ﴿ٱلْأَيْدِى﴾ جمع يد وهي النعمة أي: هم أصحاب النعم أي: الذين أنعم الله عز وجل عليهم وقيل: هم أصحاب النعم والإحسان؛ لأنهم قد أحسنوا وقدموا خيرًا وهذا اختيار الطبري ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ أي: الذين اصطفاهم من الأدناس واختارهم لرسالته ومصطفين جمع مصطفى والأصل مصتفى وقد مضى في (البقرة) عند قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ [البقرة: ١٣٢]

و﴿ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٧﴾ جمع خير.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والدار يجوز أن يراد بها الدنيا أي: ليتذكروا الدنيا ويزهدوا فيها ولتخلص لهم بالثناء الحسن عليهم كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ۝٥٠﴾ [مريم: ٥٠]، ويجوز أن يراد بها الدار الآخرة وتذكير الخلق بها ومن أضاف خالصة إلى الدار فهي مصدر بمعنى الإخلاص والذكرى مفعول به أضيف إليه المصدر أي: بإخلاصهم ذكرى الدار ويجوز أن يكون المصدر مضافًا إلى الفاعل والخالصة مصدر بمعنى الخلوص أي: بأن خلصت لهم ذكرى الدار وهي الدار الآخرة أو الدنيا على ما تقدم.

❊ ❊ ❊

ذكر بعض ما في الجنان

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٨ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۝٤٩ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١ ۞وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ۝٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: واذكر يا رسول الله في نفسك ولأمتك أنبياءَ الله الكرام إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صادق الوعد، واليسع عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذا الكفل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، اذكر هؤلاء الأفاضل واقتد بهم في صبرهم وتحملهم فهؤلاء ممن اختارهم الله عَزَّ وَجَلَّ للنبوة وأكرمهم بها، فليكن ذكرهم منك على بالٍ، أما إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فله ذِكر موسع في القرآن، وسيأتي الحديث عنه في بابه إن شاء الله،

أما اليسع وذا الكفل فليست لهم قصص في الكتاب العزيز ولا في السنة فيما علمت.

أما قوله تعالى: (هَٰذَا ذِكۡرٞۚ)، فقيل: المراد هذا القرآن ذِكر لك ولقومك بمعنى تذكيرٌ لك ولقومك، وقيل: شرفٌ لك؛ إذ أُنزل عليك وشرف لقومك، وقيل: هذا ذِكرٌ حسن وثناءٌ جميل على هؤلاء الأنبياء الصالحين، (وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾) أي: ولمن اتقوا ربهم وخافوه ولم يشركوا به شيئًا وأدوا ما افترضه عليهم واجتنبوا ما نهاهم عنه لحسن مرجع ومصير، أي: لمرجع حسن ومصير حسن يوم القيامة، ثم بيان هذا المصير الحسن ألا وهو (جَنَّٰتِ عَدۡنٖ) بساتين إقامة (مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾) أبوابها مفتحةٌ لهم، وقيل: تفتح لهم بالأمر (بالكلام) ليس باللمس (مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا) أي: متكئين في هذه الجنات يجلسون جلسة المتكئ، وهو المائل بأحد الشقين، وقيل: الاتكاء التربع، أي: جلسة المتربع، متكئين فيها على الآرائك، على السُّرر في الحجال، متكئين على سرر مصفوفة، يقابل بعضهم بعضًا (يَدۡعُونَ فِيهَا) يطلبون في هذه الجنات فاكهة كثيرةً وشراب كثير ومهما طلبوا وجدوا، ومهما طلبوا أُجيبوا إلى طلبهم، فهم متلذذون بما هم فيه من النعيم، لا يُرد لهم طلب، وفضلًا عن ذلك فعندهم (قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ) الحسناوات اللواتي غضضن أبصارهن وقصرنها على الأزواج فقط، فلا ينظرن لرجلٍ إلا لأزواجهن (أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾) في سنٍّ واحدة متساويات في الحسن والشباب والجمال، ويُقال لهم هناك: (هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾) أي: هذا هو الجزاء الذي وعدناكم به في الدنيا أننا سنجازيكم به يوم القيامة، إن هذا لرزقنا الذي رزقناكم إياه وفضلنا عليكم (مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾) ليس له انقطاع ولا تحول ولا

زوال.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَـٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٨ هَـٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٩﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه □: واذكر يا محمد إسماعيل واليسع وذا الكفل، وما أبلوا في طاعة الله، فتأس بهم، واسلك منهاجهم في الصبر على ما نالك في الله، والنفاذ لبلاغ رسالته. وقد بينَّا قبل من أخبار إسماعيل واليسع وذا الكفل فيما مضى من كتابنا هذا ما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. والكفل في كلام العرب: الحظ والجد.

وقوله: ﴿هَـٰذَا ذِكۡرٞۚ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد ذكر لك ولقومك، ذكرناك وإياهم به.

وقوله: ﴿وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٩﴾ يقول: وإن للمتقين الذين اتقوا الله فخافوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، لحسن مرجع يرجعون إليه في الآخرة، ومصير يصيرون إليه. ثم أخبر تعالى ذكره عن ذلك الذي وعده من حسن المآب ما هو، فقال: ﴿جَنَّـٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿جَنَّـٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ٥١﴾.

قوله تعالى ذكره: ﴿جَنَّـٰتِ عَدۡنٖ﴾: بيان عن حسن المآب، وترجمة عنه، ومعناه: بساتين إقامة.

وقوله: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ يعني: مفتحة لهم أبوابها؛ وأدخلت الألف واللام في الأبواب بدلا من الإضافة، كما قيل: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ **[النازعات: ٤١]** بمعنى: هي مأواه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال لنا قائل: وما في قوله: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ من فائدة خبر حتى ذكر ذلك؟ قيل: فإن الفائدة في ذلك إخبار الله تعالى عنها أن أبوابها تفتح لهم بغير فتح سكانها إياها، بمعاناة بيد ولا جارحة، ولكن بالأمر فيما ذكر.

وقوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ﴾ يقول: متكئين في جنات عدن، على سرر يدعون فيها بفاكهة، يعني بثمار من ثمار الجنة كثيرة، وشراب من شرابها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ۝ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: عند هؤلاء المتقين الذين أكرمهم الله بما وصف في هذه الآية من إسكانهم جنات عدن ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ يعني: نساء قصرن أطرافهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم، ولا يمددن أعينهن إلى سواهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ قال: قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم.

ونحوه عن السدي: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ قال: قصرن أبصارهن وقلوبهن وأسماعهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم.

وقوله: ﴿أَتۡرَابٌ﴾ يعني: أسنان واحدة.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿أَتۡرَابٌ ۝٥٢﴾ سنٌّ واحدة.

ونحوه عن السدي: ﴿أَتۡرَابٌ ۝٥٢﴾ قال: مستويات. قال: وقال بعضهم: متواخيات، لا يتباغضن، ولا يتعادين، ولا يتغايرن، ولا يتحاسدن.

وقوله: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝٥٣﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي يعدكم الله في الدنيا أيها المؤمنون به من الكرامة لمن أدخله الله الجنة منكم في الآخرة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝٥٣﴾ قال: هو في الدنيا ليوم القيامة.

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في جنات عدن من الفاكهة الكثيرة والشراب، والقاصرات الطرف، ومكناهم فيها من الوصول إلى اللذات وما اشتهته فيها أنفسهم لرزقنا، رزقناهم فيها كرامة منا لهم ﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ يقول: ليس له عنهم انقطاع ولا له فناء، وذلك أنهم كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها، فأكلوها، عادت مكانها أخرى مثلها، فذلك لهم دائم أبدًا، لا ينقطع انقطاع ما كان أهل الدنيا أوتوه في الدنيا، فانقطع بالفناء، ونفد بالإنفاد.

وأورد بإسناد يُحسن عن السدي قال: رزق الجنة كلما أخذ منه شيء، عاد مثله مكانه ورزق الدنيا ما له نفاد.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾: أي ما له انقطاع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين السعداء أن لهم في الآخرة ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ وهو: المرجع والمنقلب. ثم فسره بقوله: ﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ﴾ أي: جنات إقامة مفتحة لهم الأبواب.

والألف واللام هنا بمعنى الإضافة كأنه يقول: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠﴾ أي: إذا جاؤوها فتحت لهم أبوابها.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ قيل: متربعين فيها على سرر تحت الحجال ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ أي: مهما طلبوا وجدوا وحضر كما أرادوا. ﴿وَشَرَابٍ ۝٥١﴾ أي: من أي أنواعه شاؤوا أتتهم به الخدام ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨﴾ **[الواقعة: ١٨]**.

﴿۞ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي: عن غير أزواجهن فلا يلتفتن إلى غير بعولتهن ﴿أَتْرَابٌ ۝٥٢﴾ أي: متساويات في السن والعمر. هذا معنى قول ابن عباس، ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والسّدّي.

﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٥٣﴾ أي: هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة التي وعدها لعباده المتقين التي يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار.

ثم أخبر عن الجنة أنه لا فراغ لها ولا انقضاء ولا زوال ولا انتهاء

فقال: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ كقوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ﴾ **[النحل: ٩٦]**، وكقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ **[هود: ١٠٨]**، وكقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾ **[فصلت: ٨]**، أي: غير مقطوع وكقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ۝٣٥﴾ **[الرعد: ٣٥]**، والآيات في

هذا كثيرة جدًّا.

❀ ❀ ❀

ذِكر بعض ما أُعد للطغاة وأهل الشرك

قال الله تعالى:

﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦ هَٰذَا
فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ٥٨ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ
مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ٥٩ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ
لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٦٠ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ
٦١ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ٦٢ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ
زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٦٣ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ٦٤﴾

[ص: ٥٥-٦٤]

س: اذكر معنى ما يلي:

(لِلطَّٰغِينَ -لَشَرَّ مَـَٔابٖ -يَصۡلَوۡنَهَا -فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ -حَمِيمٞ -وَغَسَّاقٞ -مِن شَكۡلِهِۦٓ -أَزۡوَٰجٌ - فَوۡجٞ -مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ -لَا مَرۡحَبَۢا -صَالُواْ ٱلنَّارِ -قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ -فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ -عَذَابٗا ضِعۡفٗا - سِخۡرِيًّا -زَاغَتۡ -تَخَاصُمُ).

ج:

الكلمة	معناها
(لِلطَّٰغِينَ)	للخارجين عن الطاعة - لمن تجاوز الحد في الظلم والطغيان
(لَشَرَّ مَـَٔابٖ)	شر مرجع ومصير - مرجعٌ سيئ ومصير سيئ
(يَصۡلَوۡنَهَا)	يدخلونها مصلّين بحرها
(فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ)	بئس الفراش الذي يفترش (إذ كان الفراش من نار)
(حَمِيمٞ)	ماء بلغ أعلى درجات حرارته
(وَغَسَّاقٞ)	بادر نزل إلى أقل درجات البرودة، وقيل: (مُنتن)
(مِن شَكۡلِهِۦٓ)	على شاكلته - من لونه ونوعه - أشياء من هذا القبيل
(أَزۡوَٰجٌ)	أصناف
(فَوۡجٞ)	جماعة
(مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ)	داخل معكم
(لَا مَرۡحَبًا)	لا اتسعت به مداخلهم - لا اتسعت منازلهم في النار
(صَالُواْ ٱلنَّارِ)	داخلوها وقد أحاطت بهم من كل جوانبهم

(قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ)	تسببتم لنا فيه بدعوتكم لنا إلى العصيان والكفر
(فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ)	بئس المكان الذي يُستقر فيه - بئس المنزل
(عَذَابًا ضِعۡفًا)	عذابًا مضاعفًا
(سِخۡرِيًّا)	نسخر منهم ونستهزأ بهم - نسخرهم ونزللهم بالعمل
(زَاغَتۡ)	مالت (فلم تعد تراهم) - عميت عنهم
(تَخَاصُمُ)	اختلاف وتلاعن وتباغض وتسابب

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: هذا الذي قد ذكرناه جزاء المتقين، أما الطاغون (وهم الذين تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان) بشركهم بالله وظلمهم للعباد، فله شر مرجع ومصير، لهم مصير سيئ ومرجع سيئ ألا وهو جهنم -والعياذ بالله - يدخلونها مصلّين بحرها يفترشونها وينامون عليها فلبئس الفراش الذي يفترش، وكذا فلبئس ما مهدوا به لأنفسهم، وإضافة إلى هذا الذي قد ذكر فليذوقوا طعامهم وشرابهم، فهذا (حَمِيمٞ) قد بلغ أعلى درجات حرارته، وهذا (وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾)، قد نزل إلى أدنى درجات البرودة، وقيل: معناه منتن، أما قوله: (وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾) فالمعنى – والله أعلم: وصنوف أُخر من العذاب على هذه الشاكلة، شاكلة الشراب البارد شديد البرودة بعد الساخن شديد السخونة.

فصور من العذاب على هذه الشاكلة كالصعود الشديد في النار، ثم الهبوط

الشديد فيها إلى غير ذلك.

وهذه بعض أقوال العلماء في تفسير الآيات.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿هَٰذَا﴾: الذي وصفت لهؤلاء المتقين: ثم استأنف جل وعز الخبر عن الكافرين به الذين طغوا عليه وبغوا، فقال: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ وهم الذين تمردوا على ربهم، فعصوا أمره مع إحسانه إليهم ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ يقول: لشر مرجع ومصير يصيرون إليه في الآخرة بعد خروجهم من الدنيا.

وأورد بسندٍ حسن عن السدي قال: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥﴾ قال: لشر منقلب.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم بيَّن تعالى ذكره: ما ذلك الذي إليه ينقلبون ويصيرون في الآخرة، فقال: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ فترجم عن جهنم بقوله: ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥﴾ ومعنى الكلام: إن للكافرين لشر مصير يصيرون إليه يوم القيامة؛ لأن مصيرهم إلى جهنم، وإليها منقلبهم بعد وفاتهم ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٥٦﴾ يقول تعالى ذكره: فبئس الفراش الذي افترشوه لأنفسهم جهنم.

وقوله: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾ يقول تعالى ذكره: هذا حميم، وهو الذي قد أغلي حتى انتهى حره، وغساق فليذوقوه؛ فالحميم مرفوع بهذا، وقوله: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ معناه التأخير؛ لأن معنى الكلام ما ذكرت، وهو: هذا حميم وغساق فليذوقوه. وقد يتجه إلى أن يكون هذا مكتفيًا بقوله فليذوقوه،

ثم يبتدأ فيقال: حميم وغساق، بمعنى: منه حميم ومنه غساق.

كما قال الشاعر:

حتى إذا أضاء الصبح في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود

وإذا وجه إلى هذا المعنى جاز في هذا النصب والرفع. النصب: على أن يضمر قبلها لها ناصب، كم قال الشاعر:

زيادتنا نعمان لا تحرمننا تق الله فينا والكتاب تتلو

والرفع بالهاء في قوله: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ كما يقال: الليل فبادروه، والليل فبادروه.

وأورد الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الغساق قولين:

أحدهما: إنه ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم.

والآخر: أنه البارد الذي لا يستطاع من برده.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من صديدهم؛ لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغسوق، وإن كان للآخر وجه صحيح.

وقوله: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾ على التوحيد، بمعنى: هذا حميم وغساق فليذوقوه، وعذاب آخر من نحو الحميم ألوان وأنواع، كما يقال: لك عذاب من فلان: ضروب وأنواع؛ وقد يحتمل أن يكون مرادا بالأزواج الخبر عن الحميم والغساق، وآخر من شكله، وذلك ثلاثة،

فقيل أزواج، يراد أن ينعت بالأزواج تلك الأشياء الثلاثة. وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين: ﴿**وأخر**﴾ على الجماع، وكأن من قرأ ذلك كذلك كان عنده لا يصلح أن يكون الأزواج وهي جمع نعتًا لواحد، فلذلك جمع أخر، لتكون الأزواج نعتًا لها؛ والعرب لا تمنع أن ينعت الاسم إذا كان فعلًا بالكثير والقليل والاثنين كما بينا، فتقول: عذاب فلان أنواع، ونوعان مختلفان.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما قوله: ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ فإن معناه: من ضربه، ونحوه يقول الرجل للرجل: ما أنت من شكلي، بمعنى: ما أنت من ضربي بفتح الشين. وأما الشكل فإنه من المرأة ما علقت مما تتحسن به، وهو الدل أيضًا منها.

وأورد بسندٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾ قال: من كل شكل ذلك العذاب الذي سمى الله، أزواج لم يسمها الله، قال: والشكل: الشبيه.

وقوله: ﴿أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾ يعني: ألوان وأنواع.

وبسندٍ صحيح عن الحسن في قوله: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾ قال: ألوان من العذاب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما ذكر تعالى مآل السعداء ثنّى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم فقال: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ وهم: الخارجون عن طاعة الله المخالفون لرسل الله ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥﴾ أي: لسوء منقلب ومرجع.

ثم فسره بقوله: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ أي: يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾ أما الحميم فهو: الحار الذي قد انتهى حرُّه وأما الغَسَّاق فهو: ضده، وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم ولهذا قال: ﴿وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۝٥٨﴾ أي: وأشياء من هذا القبيل، الشيء وضده يعاقبون بها.

وأورد بإسناد ضعيف عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لو أن دَلْوًا من غسَّاق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا**»(١).

وقال الحسن البصري في قوله: ﴿وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۝٥٨﴾ ألوان من العذاب.

وقال غيره: كالزمهرير والسموم وشرب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوي إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة والمتضادة والجميع مما يعذبون به ويهانون بسببه.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ ۝٥٩ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝٦٠ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۝٦١﴾.

ج: معناه - والله تعالى أعلم -: أنه يُقال لمن دخلوا النار واستقروا فيها وأخذوا منازلهم منها، وهي عليهم ضيقة شديدة الضيق، هذه جماعة أخرى تدخل عليكم يدفع بهم إلى النار معكم، فهم مدفوعون دفعًا شديدًا،

---

(١) أحمد (٣/٢٨ و ٨٣)، وغيره، وسنده ضعيف.

فيقول أهل النار: لا مرحبًا بهؤلاء الداخلين لا اتسعت بهم المداخل ولا اتسعت لهم المنازل، ضيَّق الله عليهم المنازل والمداخل إنهم داخلو النار مصليون بها، محيطة بهم من كل الجوانب، فيجيب الداخلون: بل أنتم لا اتسعت لكم المنازل ولا المداخل، ضيَّق الله عليكم أشد وأشد، فأنتم الذين تسببتم لنا في هذا بدعوتكم لنا إلى النار، وبإضلالكم لنا، فبئس المنزل الذي نزلتموه وأنزلتمونا فيه، ما أسوأ هذا المقر والمستقر، ويستمر الداخلون المقتحمون في كلامهم ودعائهم، فيقولون: يا ربنا من تسبب لنا في هذه النار فزده عذابًا ضعفًا في النار، أي: أذقه عذابًا فوق العذاب، ونكالًا فوق النكال، وضيق فوق الضيق الذي هو فيه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ) يعني: تعالى ذكره بقوله: ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ﴾ هذه فرقة وجماعة مقتحمة معكم أيها الطاغون النار، وذلك دخول أمة من الأمم الكافرة بعد أمة؛ ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ﴾ وهذا خبر من الله عن قيل الطاغين الذين كانوا قد دخلوا النار قبل هذا الفوج المقتحم للفوج المقتحم فيها عليهم، لا مرحبًا بهم، ولكن الكلام اتصل فصار كأنه قول واحد، كما قيل: (يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿١١٠﴾) **[الأعراف: ١١٠]**، فاتصل قول فرعون بقول ملئه، وهذا كما قال تعالى ذكره مخبرًا عن أهل النار: (كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ) **[الأعراف: ٣٨]**.

ويعني بقولهم: ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ﴾ لا اتسعت بهم مداخلهم، كما قال أبو

الأسود:

لا مرحـــب واديـــك غيـــر مضـــيق

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قولـه: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ فـي النـار ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۝٥٩ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ...﴾ حتى بلغ: ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝٦٠﴾ قال: هؤلاء التباع يقولون للرؤوس.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ قال: الفوج: القوم الذين يدخلون فوجًا بعد فوج، وقرأ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي كانت قبلها.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۝٥٩﴾ يقول: إنهم واردو النار وداخلوها. ﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ يقول: قال الفوج الواردون جهنم على الطاغين الذين وصف جلَّ ثناؤه صفتهم لهم: بل أنتم أيها القوم لا مرحبًا بكم: أي: لا اتسعت بكم أماكنكم، ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ يعنون: أنتم قدمتم لنا سكنى هذا المكان، وصلي النار بإضلالكم إيانا، ودعائكم لنا إلى الكفر بالله، وتكذيب رسله، حتى ضللنا باتباعكم، فاستوجبنا سكنى جهنم اليوم، فذلك تقديمهم لهم ما قدموا في الدنيا من عذاب الله لهم في الآخرة

﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝٦٠﴾ يقول: فبئس المكان يستقر فيه جهنم.

القـول فـي تأويـل قولـه تعـالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾.

وهذا أيضًا قول الفوج المقتحم على الطاغين، وهم كانوا أتباع الطاغين في الدنيا، يقول جلَّ ثناؤه: وقال الأتباع: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾

يعنون: من قدم لهم في الدنيا بدعائهم إلى العمل الذي يوجب لهم النار التي وردوها، وسكنى المنزل الذي سكنوه منها.

ويعنون بقولهم: (هَٰذَا): العذاب الذي وردناه ﴿فَزِدۡهُ عَذَابًا ضِعۡفًا فِي ٱلنَّارِ ۝٦١﴾ يقولون: فأضعف له العذاب في النار على العذاب الذي هو فيه فيها، وهذا أيضًا من دعاء الأتباع للمتبوعين.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ۝٥٩) هذا إخبار عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى: (كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ) [الأعراف: ٣٨] يعني: بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية: (هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ﴾ أي: داخل معكم (لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ۝٥٩﴾ لأنهم من أهل جهنم (قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ﴾ أي: فيقول لهم الداخلون: (بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ) أي: أنتم دعوتمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير (فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ۝٦٠﴾ أي: فبئس المنزل والمستقر والمصير. (قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابًا ضِعۡفًا فِي ٱلنَّارِ ۝٦١﴾ كما قال ﷻ: (قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ۝٣٨﴾ [الأعراف: ٣٨] أي: لكل منكم عذاب بحسبه.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: (هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ).

ج: المعنى - والله أعلم -: أنه يُقال لأهل النار الذين دخلوها وسبقوا إليها، وهي عليهم ضيقة وبهم مكتظةٌ ومليئة: هذا فوج داخلٌ معكم أي: وتزدادون ضيقًا إلى ما أنتم فيه من الضيق فيقابلون الفوج الداخل بقولهم: ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ﴾، ضيَّق الله عليهم كما سيضيقون علينا أكثر وأكثر، لا رحبت عليهم الأرض ولا اتسعت لهم المنازل.

وهذه صورة أُخرى من صور العذاب للداخلين، وكتقريبٍ للقارئ، أقول إذا كان هناك قوم في الدنيا في سجن ضيِّق فمن شدة ما هم فيه من الضيق يفرحون إذا طرق الشرطي الباب وأخرج واحدًا، وذلك لأنه سيترك مكانه فراغًا، فيفرحون بفتح الباب وخروج بعضهم، أما إذا فتح الشرطي الباب وأدخل عليهم أقوامًا آخرين، فإنهم يتضايقون أشد الضيق، ويتألمون أشد الألم من شدة الزحام، ولكن قد ترى منهم مع ذلك من يُصبِّر الداخلين ويهوِّن عليهم ويسرى عنهم كما قيل لبعض الأئمة لما أُدخل السجن في حق تكلَّم به: اصبر يا إمام فإنه سوط أو سوطان، ثم لا تدري بما يحدث لك، وستتحمل إن شاء الله، وسينفرج الأمر بإذن الله ونحو هذا الكلام، فمثل هذا الكلام يهوِّن على الداخلين الجدد، أما إذا دخل الداخل ووجد مجرمين في استقباله يستقبلونه باللعن والسباب والشتم مع أنهم هم المتسببون له فيما حلَّ به، فهنالك يزداد ألمًا إلى ألمه ونكدًا إلى نكده وبلاءً إلى بلائه.

وهذا الحال مع الفوج المقتحم للنار يدفع به لدخول النار فيرى من في النار في استقباله باللعنات والسباب والشتم وعدم الترحيب يقولون له: لا مرحبًا بك ولا اتسعت لك الأرض، ضيَّق الله عليك المنازل والمداخل، فهكذا يزداد همًّا إلى همه وغمًّا إلى غمِّه ونكدًا إلى نكده، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: في قوله: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾ قراءتان. وضحهما.

ج: القراءة الأولى: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾ بفتح الهمزة على الاستفهام.

والثانية: ﴿**اتخذناهم**﴾ بوصل الألف على الإخبار، أي: قد اتخذناهم سخريًّا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ اختلفت القراء في قراءته، فقرأته عامة قراء المدينة والشام وبعض قراء الكوفة: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ بفتح الألف من أتخذناهم، وقطعها على وجه الاستفهام، وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة، وبعض قراء مكة بوصل الألف من الأشرار: ﴿**اتخذناهم**﴾.

وقد بينا فيما مضى قبل، أن كل استفهام كان بمعنى التعجب والتوبيخ، فإن العرب تستفهم فيه أحيانًا، وتخرجه على وجه الخبر أحيانًا.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالوصل على غير وجه الاستفهام، لتقدم الاستفهام قبل ذلك في قوله: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا﴾ فيصير قوله: ﴿**اتخذناهم**﴾ بالخبر أولى وإن كان للاستفهام وجه مفهوم لما وصفت قبل من أنه بمعنى التعجب.

وإذ كان الصواب من القراءة في ذلك ما اخترنا لما وصفنا، فمعنى الكلام: وقال الطاغون: ما لنا لا نرى سلمان وبلالًا وخبابًا الذين كنا نعدهم في الدنيا أشرارًا، أتخذناهم فيها سخريًّا نهزأ بهم فيها معنا اليوم في النار؟

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقولـه تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾.

ج: أقول - وبالله تعالى التوفيق -: أن أهل النار لما استقروا فيها وأخذوا منازلهم فيها، فهم فيها يتضاغون ويتألمون، سألوا عن أقوامٍ كانوا معهم في الدنيا، وكانوا في دنياهم يظنونهم سفهاء، يظنونهم أشرارًا، يظنونهم ضلالًا، ويسخرون منهم ويُسخِّرونهم بالعمل ويذللونهم، كما كان أبو جهل يفعل مع عمار وكما كان أمية يصنع مع بلال وغير هؤلاء، فقال هؤلاء الطغاة أبو جهل وأمية وغيرهم: أين عمار؟!! أين بلال؟؟ أين هؤلاء الذين كانوا في الدنيا مُسخرين لنا - نستذلهم - ونسخر بهم؟ أين هم الآن؟

أهم معنا ولكننا لا نراهم؟ أبصارنا قد زاغت ومالت فلا نراهم؟! أم أنهم ليسوا معنا؟ فهذا وجه، وذلك مبنيٌّ على أن الهمزة في قولهم: ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ﴾ همزة قطع استفهامية، وعلى الوجه الآخر ﴿**اتخذناهم سخريًّا**﴾ قد اتخذناهم في دنيانا محلًّا للسخرية ومجالًا لها، أليسوا معنا أم أنهم معنا ولكن زاغت عنهم أبصارنا ومالت فنحن لا نراهم؟

ثم بعد ذلك يحدث التلاعن في النار بين أهلها، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ أي: أن تخاصم أهل النار وتلاعنهم فيما بينهم واتهام بعضهم لبعض – كل ذلك حقٌّ وسيكون بلا ريب ولا شك.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال الطاغون الذين وصف جلَّ ثناؤه صفتهم في هذه الآيات، وهم فيما ذكر أبو جهل والوليد بن المغيرة وذووهما: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾ يقول: ما بالنا لا نرى معنا في النار رجالًا ﴿كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾﴾ يقول: كنا نعدهم في الدنيا من أشرارنا، وعنوا بذلك فيما ذكر صهيبًا وخبابًا وبلالًا وسلمان.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكان بعض أهل العلم بالعربية من أهل البصرة يقول: مَنْ كسر السين من السخري، فإنه يريد به الهزء، يريد يسخر به، ومن ضمها فإنه يجعله من السخرة، يستسخرونهم: يستذلونهم، أزاغت عنهم أبصارنا وهم معنا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾﴾ قال: فقدوا أهل الجنة ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ في الدنيا ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ وهم معنا في النار.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أخبرتكم أيها الناس من الخبر عن تراجع أهل النار، ولعن بعضهم بعضًا، ودعاء بعضهم على بعض في النار لحق يقين، فلا تشكوا في ذلك، ولكن استيقنوه تخاصم أهل النار.

وقوله: ﴿تَخَاصُمُ﴾ ردٌّ على قوله: ﴿لَحَقٌّ﴾ ومعنى الكلام: إن تخاصم أهل النار الذي أخبرتكم به لحق.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجه معنى قوله: ﴿أَمْ زَاغَتْ

عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ إلى: بل زاغت عنهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفقدون رجالًا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا: ما لنا لا نراهم معنا في النار؟

قال مجاهد: هذا قول أبي جهل يقول: ما لي لا أرى بلالًا وعمارًا وصهيبًا وفلانًا وفلانًا. وهذا مثل ضرب، وإلا فكل الكفار هذا حالهم: يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ أي: في الدنيا ﴿أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ يسلون أنفسهم بالمحال يقولون: أو لعلهم معنا في جهنم ولكن لم يقع بصرنا عليهم. فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات وهو قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ إلى قوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف: ٤٤ - ٤٩].

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ أي: إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ولعن بعضهم لبعض لحق لا مرية فيه ولا شك.

❁ ❁ ❁

تخاصم أهل النار

س: اذكر بعض صور تخاصم أهل النار.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الشعراء: ٩٦-٩٩].

وقوله تعالى: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]، وقد نزلت في علي وحمزة وعبيدة، أمام عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وفيهم نزلت، وهم المتبارزون يوم بدر.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: ٢٨-٢٩].

أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ فقرأ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨]، وقرأ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٢٨].. حتى بلغ: ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: ٢٩] قال: إن كنتم تعبدوننا كما تقولون إن كنا عن عبادتكم لغافلين، ما كنا نسمع ولا نبصر، قال: وهذه الأصنام، قال: هذه خصومة أهل النار، وقرأ: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام: ٢٤] قال: وضل عنهم يوم القيامة ما كانوا يفترون في الدنيا.

❁ ❁ ❁

قال الله تعالى:

(قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا
بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ
مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذۡ قَالَ
رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي
فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ
ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ
أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ
رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ
ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ
ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ
لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾) [ص: ٦٥-٨٨].

س: اذكر معنى ما يلي:

(مُنذِرٌ – ٱلْغَفَّٰرُ – نَبَؤٌا – مُعْرِضُونَ – بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ – يَخْتَصِمُونَ – سَوَّيْتُهُۥ – فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ – ٱسْتَكْبَرَ – ٱلْعَالِينَ – رَجِيمٌ – لَعْنَتِىٓ – يَوْمِ ٱلدِّينِ – فَبِعِزَّتِكَ – لَأُغْوِيَنَّهُمْ – ٱلْمُخْلَصِينَ – ٱلْمُتَكَلِّفِينَ – ذِكْرٌ – لِّلْعَٰلَمِينَ – نَبَأَهُۥ – حِينٍۭ).

ج:

الكلمة	معناها
(مُنذِرٌ)	مُحذرٌ ـ مخوف ـ مُذكِّر
(ٱلْغَفَّٰرُ)	كثير المغفرة لعباده المؤمنين
(نَبَؤٌا)	خبر (والمراد بالنبإ هنا القرآن)
(مُعْرِضُونَ)	منصرفون
(بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ)	الملائكة في السماوات
(يَخْتَصِمُونَ)	يتجادلون
(سَوَّيْتُهُۥ)	سوَّيت خلقه وعدلت صورته
(فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ)	فخِروا له ساجدين
(ٱسْتَكْبَرَ)	تعاظم وتكبَّر وتمنَّع
(ٱلْعَالِينَ)	ذو علوٍّ وتكبر وارتفاع ـ تتعالى على ربك
(رَجِيمٌ)	مرجوم (مرجوم بالنجوم والشُّهب والكواكب) ـ مشتوم
(لَعْنَتِىٓ)	طردي وإبعادي لك (من رحمتي ومن جنتي)
(يَوْمِ ٱلدِّينِ)	يوم القيامة

بقدرتك وبقهرك لمن خالفك وسلطانك وغلبتك مَنْ حربك	(فَبِعِزَّتِكَ)
لأضلنهم ولأصرفنهم عن طريق الحق إلى الباطل	(لَأُغْوِيَنَّهُمْ)
الذين أخلصتهم أنت يا رب لعبادتك وطاعتك	(ٱلْمُخْلَصِينَ)
الكاذبين - المتقولين - المتعمدين أن يزيدوا وأن يأتوا بجديد	(ٱلْمُتَكَلِّفِينَ)
تذكيرٌ	(ذِكْرٌ)
للإنس والجن	(لِّلْعَٰلَمِينَ)
خبره - صدقه وتحققه - صدق ما قيله	(نَبَأَهُۥ)
وقلت (وقيل: إن ذلك تحقيق يوم بدر) وقيل: إنه يتحقق عند الموت وقيل: إنه يوم القيامة وقيل غير ذلك	(حِينِۭ)

❁ ❁ ❁

إنما اللّه إله واحد

س: وضـــح معنـــى: (قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾).

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قولًا مفيدًا في تفسيرها أو قال:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (قُلْ) يا محمد لمشركي قومك. (إِنَّمَآ أَنَا۠

﴿مُنذِرٌ﴾ لكم يا معشر قريش بين يدي عذاب شديد، أنذركم عذاب الله وسخطه أن يحل بكم على كفركم به، فاحذروه وبادروا حلوله بكم بالتوبة ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥﴾ يقول: وما من معبود تصلح له العبادة، وتنبغي له الربوبية، إلا الله الذي يدين له كل شيء، ويعبده كل خلق، الواحد الذي لا ينبغي أن يكون له في ملكه شريك، ولا ينبغي أن تكون له صاحبة، القهار لكل ما دونه بقدرته، رب السماوات والأرض، يقول: مالك السماوات والأرض وما بينهما من الخلق؛ يقول: فهذا الذي هذه صفته، هو الإله الذي لا إله سواه، لا الذي لا يملك شيئًا، ولا يضر، ولا ينفع. وقوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٦٦﴾ يقول: العزيز في نقمته من أهل الكفر به، المدعين معه إلهًا غيره، الغفار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم من كفره ومعاصيه، فأناب إلى الإيمان به، والطاعة له بالانتهاء إلى أمره ونهيه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ أن يقول للكفار بالله المشركين به المكذبين لرسوله: إنما أنا منذر لست كما تزعمون ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥﴾ أي: هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه. ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٦٦﴾ أي: هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٦٦﴾ أي: غفار مع عزته وعظمته.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾.

ج: قال بعض أهل العلم ما حاصله: قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين:

إن هذا القرآن خبرٌ عظيم يخبر بأصدق الأخبار وينبئ بأصدق الأنبياء، ومع ذلك فأنتم عنه منصرفون لاهون.

ومن العلماء من قال: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧﴾ أي: إرسالي إليكم خبرٌ عظيم، ومع ذلك فأنتم معرضون عن إنذاري لكم.

والقول الأول عليه أكثر العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك المكذبيك فيما جئتهم به من عند الله من هذا القرآن، القائلين لك فيه: إن هذا إلا اختلاق ﴿هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧﴾ يقول: هذا القرآن خبر عظيم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي قال: قوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ قال: القرآن.

وقوله: ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ يقول: أنتم عنه منصرفون لا تعملون به، ولا تصدقون بما فيه من حجج الله وآياته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧﴾ أي: خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال الله إياي إليكم ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ أي: غافلون.

قال مجاهد وشريح القاضي والسدي في قوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧﴾ يعني: القرآن.

❀ ❀ ❀

س: في أي شيء كانت الملائكة تخاصم؟

ج: قال كثير من أهل العلم: في شأن خلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ إذ قالوا لما قال

الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

وسيأتي لذلك مزيدٌ إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله: (مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: قل يا رسول الله لقومك ولمن بعثت فيهم: إنني كما تعلمون كنت أميًّا، لا أقرأ ولا أكتب، ولم أتعلم عند أحدٍ من الناس، فأنتم تعرفونني، وما كان لي من علمٍ بما حدث من قبل في شأن إخبار الله ﷻ ملائكته بأنه سيجعل في الأرض خليفة، وما كان لي من علمٍ بجواب الملائكة على ربهم، وما كان لي من علمٍ بقصة آدم وشأنه مع إبليس، ما كان لي من علمٍ بكل هذا إلا أن الله ﷻ أوحى إليَّ بذلك كله وإلا فقد كنتُ جاهلًا به.

هذا، وقوله تعالى: (إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾) مُفسرٌ بالذي جاء بعده، وهو قوله: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾...) إلى آخر السورة.

وقوله: (إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾) حاصل معناه: أن هذا العلم الذي أخبرني الله به أخبرني به؛ لأنني أنا نذير مبين، لست بشاعر ولا كاهن ولا كذاب ولا ساحر كما تدعون.

وبنحو هذا قال عددٌ من العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

وقولــه: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ﴾ يقـول لنبيــه محمـد ﷺ: قـل يـا محمـد لمشركي قومك: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ في شـأن آدم من قبل أن يوحي إليَّ ربي فيعلمني ذلك، يقول: ففي إخباري لكم عن ذلك دليل واضح على أن هذا القرآن وحي من الله وتنزيل من عنده؛ لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن، ولا هو مما شاهدته فعاينته، ولكني علمت ذلك بإخبار الله إياي به.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي: ﴿بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ هو: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ **[البقرة: ٣٠]**.

وبإسـناد حسـن عـن قتـادة قولـه: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ﴾ قـال: هـم الملائكة، كانت خصومتهم في شأن آدم حين قال ربك للملائكة: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾...﴾ حتى بلغ ﴿سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ وحين قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ حتى بلغ ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ **[البقرة: ٣٠]** ففي هذا اختصم الملأ الأعلى.

وقولـه: ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قريش: ما يوحي الله إليَّ علم ما لا علم لي به، من نحو العلم بالملإ الأعلى واختصامهم في أمر آدم إذا أراد خلقه، إلا لأني إنما أنا نذير مبين؛ (فإنما) على هذا التأويل في موضع خفض على قول من كان يرى أن مثل هذا الحرف الذي ذكرنا لا بد له من حرف خافض، فسواء إسقاط خافضه منه وإثباته. وإما على قول من رأى أن مثل هذا ينصب إذا أسقط منه الخافض، فإنه على مذهبه نصب، وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقد يتجه لهذا الكلام وجه آخر، وهو أن يكون معناه: ما يوحي الله إلى إنذاركم. وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى، كانت (أنما) في موضع رفع؛ لأن الكلام يصير حينئذٍ بمعنى: ما يوحى إليَّ إلا الإنذار.

وقال الطبري أيضًا:

قوله: ﴿إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ يقول: إلا أني نذير لكم، مبين لكم إلا إنذاركم. وقيل: إلا أنما أنا، ولم يقل: إلا أنما أنك، والخبر من محمد عن الله، لأن الوحي قول، فصار في معنى الحكاية، كما يقال في الكلام: أخبروني أني مسيء، وأخبروني أنك مسيء بمعنى واحد، كما قال الشاعر:

رجلان من ضبة أخبرانا ... أنا رأينا رجلا عريانا

بمعنى: أخبرانا أنهما رأيا، وجاز ذلك لأن الخبر أصله حكاية.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أي: لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملإ الأعلى؟ يعني: في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له، ومحاجته ربه في تفضيله عليه.

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد(١) **حيث قال:** حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا جهضم اليمامي عن يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن أبي سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن يخامر عن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن

(١) المسند (٥/٢٤٣)، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب: ومن سورة (ص) حديث (٣٢٣٥) عن محمد بن بشار عن معاذ بن هانئ عن جهضم به.

صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس. فخرج رسول الله ﷺ سريعا فَثوّب بالصلاة فصلى وتَجَوّز في صلاته فلما سلم قال: «**كما أنتم على مصافكم**». ثم أقبل إلينا فقال: «**إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فصليت ما قُدّر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي في أحسن صورة فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري رب** -أعادها ثلاثًا- **فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات. قال: وما الكفارات؟ قلت: نقل الأقدام إلى الجمعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات. قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام. قال: سل. قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك**». وقال رسول الله ﷺ: «**إنها حق فادرسوها وتعلموها**»، فهو حديث المنام المشهور ومن جعله يقظة فقد غلط وهو في السنن من طرق.

وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله اليمامي به. وقال: حسن صحيح، وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور في القرآن فإن هذا قد فسر وأما الاختصام الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ...﴾.

قلت (مصطفى): وهذا الحديث، وإن صحت له بعض الأسانيد لكنها أسانيد معلولة، والذي ظهر لي وبعد البحث في أسانيده أنه معلول ولا يثبت

عن رسول الله ﷺ، مع علمي بأنه قد ألفت فيه كتب وصنفت فيه تصانيف، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

شيء من قصة خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وشأنه مع الملائكة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

ج: هذه الآيات لها بعض التعلق بما قبلها، فالمعنى ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ حين قال ربك للملائكة... إلى آخره.

وهذا إخبار بما قاله الله ﷻ للملائكة قبل خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أخبر الله ﷻ ملائكته بأنه سيخلق آدم ويجعله خليفةً في الأرض كما تقدم في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وهنا قال سبحانه: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ سويت خلقه وعدلت صورته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ ضربت فيه الحياة بذلك، فخرُّوا له سجودًا، أي: أن الملائكة أُمروا بالسجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا السجود كان سجود تحية، كما سجد ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أبواه وإخوته، ولكن ذلك نسخ في شريعتنا، فلما أمر الله عزَّوجلَّ الملائكة بالسجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ سجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس فقد امتنع من السجود مستكبرًا متعاظمًا على الأمر، فقد كان في علم الله من الكافرين، وإن كان قد أظهر خلاف ذلك.

وهنا قد يرد سؤال، وقد تقدم الجواب عليه بتفصيل في سورة البقرة، حاصله: هل إبليس من الملائكة؟ وتقدم بيان الخلاف في ذلك هنالك ورجحته أنه ليس من الملائكة، وإنما أُمر بالسجود معهم تبعًا، ومن الدليل على أنه ليس من الملائكة قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ [الكهف: ٥٠]، وقوله: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٍ﴾ [ص: ٧٦]، والملائكة إنما خلقوا من نور، وقد قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ١٥﴾ [الرحمن: ١٥].

هذا، وقد قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسير الآيات التي وجِّه السؤال عن تأويلها:

وقوله: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ﴾ من صلة قوله: ﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٦٩﴾ وتأويل الكلام: ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون حين قال ربك يا محمد: ﴿لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١﴾ يعني: بذلك خلق آدم.

وقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا سويت خلقه، وعدلت صورته، ونفخت فيه من روحي.

وقال في قوله:

﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢﴾ يقول: فاسجدوا له وخروا له سجدًا.

وقوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٧٣﴾ يقول تعالى ذكره: فلما سوى الله خلق ذلك البشر، وهو آدم، ونفخ فيه من روحه، سجد له الملائكة كلهم أجمعون، يعني بذلك: الملائكة الذين هم في السماوات والأرض.

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ﴾ يقول: غير إبليس، فإنه لم يسجد، استكبر عن السجود له تعظمًا وتكبرًا.

﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤﴾ يقول: وكان بتعظمه ذلك، وتكبره على ربه

ومعصيته أمره، ممن كفر في علم الله السابق، فجحد ربوبيته، وأنكر ما عليه الإقرار له به من الإذعان بالطاعة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾.

ج: هذا ـ والله أعلم ـ معناه: أن الله سبحانه وتعالى سأل إبليس ـ عليه لعنة الله ـ عن سبب امتناعه من السجود لآدم عليه السلام، فقال له: ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ أي: امتنعت مستكبرًا على آدم عليه السلام متعاظمًا عليه؟ ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ على ربك سبحانه وتعالى، وكنت من قبل ذا علوٍّ وتكبر؟!

فحينئذٍ بيَّن إبليس سبب امتناعه بقوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦﴾ أي: أن الذي منعني من السجود له كوني أفضل منه خُلقتُ من نار، وخُلق هو من طين، والنار أقوى من الطين وأفضل، كذا يرى إبليس، فحينئذٍ طُرد إبليس من الجنة.

قال تعالى: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧﴾ مرجوم مشتوم ملعون، وأيضًا مرجوم هو وذريته بالشهب والكواكب كما قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ١٠﴾ **[الصافات: ٦-١٠]**، وكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ...﴾ **[الملك: ٥]**.

أما قوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ **[ص: ٧٨]**، فمعناه – والله أعلم –:

وإنك مطرود من رحمتي إلى يوم الدين، ومطرود من الجنة إلى يوم القيامة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ قَالَ﴾ الله لإبليس، إذ لم يسجد لآدم، وخالف أمره: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ ﴾ يقول: أي شيء منعك من السجود ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ يقول: لخلق يدي؛ يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عبيد المكتِب قال: سمعت مجاهدًا يحدث عن ابن عمر، قال: خلق الله أربعة بيده: العرش، وعدن، والقلم، وآدم، ثم قال لكل شيء كن فكان.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ يقول لإبليس: تعظمت عن السجود لآدم، فتركت السجود له استكبارًا عليه، ولم تكن من المتكبرين العالين قبل ذلك ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾ يقول: أم كنت كذلك من قبل ذا علو وتكبر على ربك ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ﴾ يقول جلَّ ثناؤه: قال إبليس لربه: فعلت ذلك فلم أسجد للذي أمرتني بالسجود له؛ لأني خير منه وكنت خيرًا؛ لأنك خلقتني من نار وخلقته من طين، والنار تأكل الطين وتحرقه، فالنار خير منه، يقول: لم أفعل ذلك استكبارًا عليك، ولا لأني كنت من العالين، ولكني فعلته من أجل أني أشرف منه؛ وهذا تقريع من الله للمشركين الذين كفروا بمحمد ﷺ، وأبوا الانقياد له، واتباع ما جاءهم به من عند الله استكبارًا عن أن يكونوا تبعًا لرجل منهم حين قالوا: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾ **[ص: ٨]**، و﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ﴾ **[الأنبياء: ٣]**، فقصَّ عليهم تعالى ذكره قصة إبليس وإهلاكه باستكباره عن السجود لآدم بدعواه أنه خير منه، من أجل

أنه خلق من نار، وخلق آدم من طين، حتى صار شيطانًا رجيمًا، وحقت عليه من الله لعنته، محذرهم بذلك أن يستحقوا باستكبارهم على محمد، وتكذيبهم إياه فيما جاءهم به من عند الله حسدًا، وتعظما من اللعن والسخط ما استحقه إبليس بتكبره عن السجود لآدم.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لإبليس: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ يعني: من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ يقول: فإنك مرجوم بالقوم، مشتوم ملعون.

وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ﴾ يقول: وإن لك طردي من الجنة ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ يعني: إلى يوم مجازاة العباد ومحاسبتهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ﴾ أي: صرفك وصدك ﴿أَن تَسۡجُدَ﴾ أي: عن أن تسجد ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ أضاف خلقه إلى نفسه تكريمًا له وإن كان خالق كل شيء وهذا كما أضاف إلى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد فخاطب الناس بما يعرفونه في تعاملهم فإن الرئيس من المخلوقين لا يباشر شيئًا بيده إلا على سبيل الإعظام والتكرم فذكر اليد هنا بمعنى هذا.

قلت (مصطفى): وهذه الآية الكريمة ﴿... لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ من أوضح الأدلة على إثبات صفة اليدين لله ﷻ، ولكن مع مراعاة قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ۝٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٨٣﴾.

ج: الحاصل - والله أعلم -: أن إبليس لما أخبر بأن الله ﷻ طرده من رحمته طلب من الله ﷻ إمهاله وتأخيره فلا يقبضه إلى يوم القيامة، ولا يهلكه إلى يوم القيامة، فقال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾ أخرني وأمهلني ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝٧٩﴾ وهو يوم القيامة، فأخذ وعدًا بذلك من الله ﷻ؛ إذ قال: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٨٠﴾ أي: من المُمهلين المؤخرين المؤجلين إلى يوم القيامة، فحينئذٍ ولما تيقن إبليس من أنه سيعيش إلى يوم البعث أقسم بعزة الله - بقدرة الله وسلطانه وشدة انتقامه ممن خالفه - ﴿لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٢﴾ لأصرفن عبادك عن طريق الطاعة إلى طريق المعصية، ومن طريق الإيمان إلى طريق الكفر إلا من اصطفيته أنت يا رب واخترته لعبادتك، فهذا لا سبيل لي عليه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝٤٢﴾ **[الحجر: ٤٢]**.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝٧٩﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبليس لربه: رب فإذ لعنتني، وأخرجتني من جنتك ﴿فَأَنظِرْنِيٓ﴾ يقول: فأخرني في الأجل، ولا تهلكني ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝٧٩﴾ يقول: إلى يوم تُبعث خلقك من قبورهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ۝٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٨٣﴾.

يقول تعالى ذكره: قال الله لإبليس: فإنك ممن أنظرته إلى يوم الوقت

المعلوم، وذلك الوقت الذي جعله الله أجلًا لهلاكه. وقد بينت وقت ذلك فيما مضى على اختلاف أهل العلم فيه، وقال: (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾) يقول تعالى ذكره: قال إبليس: فبعزتك: أي: بقدرتك وسلطانك وقهرك ما دونك من خلقك (لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾) يقول: لأضلن بني آدم أجمعين (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾) يقول: إلا من أخلصته منهم لعبادتك، وعصمته من إضلالي، فلم تجعل لي عليه سبيلًا فإني لا أقدر على إضلاله وإغوائه.

وقال القرطبي رحمه الله:

(قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾) أراد الملعون ألا يموت فلم يجب إلى ذلك وأخر إلى الوقت المعلوم وهو يوم يموت الخلق فيه فأخر إليه تهاونا به (الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾) لما طرده بسبب آدم حلف

بعزة الله أن يضل بني آدم بتزيين الشهوات وإدخال الشبه عليهم فمعنى: (لَأُغْوِيَنَّهُمْ) لأستدعينهم إلى المعاصي وقد علم أنه لا يصل إلا إلى الوسوسة ولا يفسد إلا من كان لا يصلح لو لم يوسوسه ولهذا قال: (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾) أي الذين أخلصتهم لعبادتك وعصمتهم مني وقد مضى في (الحجر) بيانه.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى مُجملًا القول في الآيات السابقة:

هذه القصة ذكرها الله تعالى في سورة (البقرة) وفي أول (الأعراف) وفي سورة (الحجر) و (سبحان) و(الكهف)، وهاهنا وهي أن الله سبحانه

أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه السلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمإ مسنون وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكرامًا وإعظامًا واحترامًا وامتثالًا لأمر الله عز وجل. فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسًا كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خُلق من طين والنار خير من الطين في زعمه. وقد أخطأ في ذلك وخالف أمر الله، وكفر بذلك فأبعده الله وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه «إبليس» إعلامًا له بأنه قد أبْلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يَعْجَل على من عصاه. فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ كما قال: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢]، وهؤلاء هم المستثنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾.

ج: أما الحق الثاني، وهو قوله: ﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ فمعناه عند الجماهير من العلماء، بل وبعضهم نفى الخلاف في قراءته وتفسيره، فهو بنصب الحق ﴿وَالْحَقَّ﴾، ومعناه: وأقول الحقَّ.

أما الحق الأول: وهو ﴿فَالْحَقُّ﴾ فللعلماء فيه قراءتان:

أحدهما: الحقُّ بالضم، وله معانٍ حينئذٍ.

منها: الله الحقُّ.

ومنها: أنا الحقُّ.

ومنها: الحقُّ مني.

الثاني: الحقَّ (فيكون الحق الأول والحق الثاني منصوبتين) ومعناه: الزموا الحق ـ اتبعوا الحق.

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ فقرأه بعض أهل الحجاز وعامة الكوفيين برفع الحق الأول، ونصب الثاني. وفي رفع الحق الأول إذا قرئ كذلك وجهان:

أحدهما: رفعه بضمير لله الحق، أو أنا الحق وأقول الحق.

والثاني: أن يكون مرفوعًا بتأويل قوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾ فيكون معنى الكلام حينئذٍ: فالحق أن أملأ جهنم منك، كما يقول: عزمة صادقة لآتينك، فرفع عزمة بتأويل لآتينك؛ لأن تأويله أن آتيك، كما قال: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾ [يوسف: ٣٥]، فلا بُد لقوله: ﴿بَدَا لَهُم﴾ من مرفوع، وهو مضمر في المعنى. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض المكيين والكوفيين بنصب الحق الأول والثاني كليهما، بمعنى: حقًّا لأملأن جهنم والحق أقول، ثم أدخلت الألف واللام عليه، وهو منصوب؛ لأن دخولهما إذا كان كذلك معنى الكلام وخروجهما منه سواء، كما سواء قولهم: حمدًا لله، والحمد لله عندهم إذا نصب. وقد يحتمل أن يكون نصبه على وجه

الإغراء بمعنى: الزموا الحق، واتبعوا الحق، والأول أشبه لأنه خطاب من الله لإبليس بما هو فاعل به وبتباعه.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، لصحة معنييهما.

وأما الحق الثاني، فلا اختلاف في نصبه بين قراء الأمصار كلهم، بمعنى: وأقول الحق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾).

ج: هذا قسم أقسمه الله وإخبارٌ أخبر الله به لأملأن جهنم منك يا إبليس ومن ذريتك وممن تبعوكم من الجن والإنس.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قلت: وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى: (وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾) **[السجدة: ١٣]**. وكقوله تعالى: (قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾) **[الإسراء: ٦٣]**.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين لك المنكرين ما جئت به (وهو القرآن وما فيه من أخبار ووعد ووعيد)، قل لهؤلاء:

ما أسألكم على الإيمان بي وبهذا القرآن من أجر، وما أنا من متعمدي الاختلاق والكذب والإفك كما وصفتموني ووصفتم الكتاب الذي معي؛ إذ قلتم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص: ٧]، وكما قلتم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤]، فاعلموا أن هذا القرآن: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ [القلم: ٥٢]، تذكيرٌ للإنس والجن بما فيه من وعدٍ ووعيد وتذكير بالجنة والنار والثواب والعقاب، وستعلمون ﴿بَعْدَ حِينٍۭ ۝٨٨﴾ بعد وقت، صدق هذه الأخبار، وصدق ما فيه من وعدٍ ووعيد.

هذا، وللعلماء أقوال في تفسير الحين هاهنا، وإن كانت للحين معانٍ أوسع وأكثر.

أما معاني الحين هاهنا فمنها: أنه وقت الموت، فعندها يتحقق للعبد صدق ما كان يُخبر به.

الثاني: أنه يوم القيامة.

وأورد بعض العلماء وجهًا آخر حاصله أنه يوم بدر، فقد تحقق لكثير منهم صدق ما أخبروا به.

أما من معاني الحين الأخر فمنها الصباح والمساء، قال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧-١٨]، ومنها فصول السنة: (صيف وشتاء...)، ومستنده قوله تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥].

وثَمَّ أقوالٌ أخر في هذا الباب.

وهذه أقوال بعض العلماء في الآيات المذكورة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك، القائلين لك ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ **[ص: ٧]**: ما أسألكم على هذا الذكر وهو القرآن الذي أتيتكم به من عند الله أجرًا، يعني ثوابًا وجزاء ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ يقول: وما أنا ممن يتكلف تخرصه وافتراءه، فتقولون: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ و ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ٧﴾ **[ص: ٧]**.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ قال: لا أسألكم على القرآن أجرًا تعطوني شيئًا، وما أنا من المتكلفين أتخرص وأتكلف ما لم يأمرني الله به.

وقال الطبري أيضًا في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ٨٧ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ٨٨﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين من قومك: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني: ما هذا القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ يقول: إلا تذكير من الله ﴿لِّلْعَـٰلَمِينَ ٨٧﴾ من الجن والإنس، ذكرهم ربهم إرادة استنقاذ من آمن به منهم من الهلكة.

وقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ٨٨﴾ يقول: ولتعلمن أيها المشركون بالله من قريش نبأه، يعني: نبأ هذا القرآن، وهو خبره، يعني حقيقة ما فيه من الوعد والوعيد بعد حين.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ قال: صدق هذا الحديث نبأ ما كذبوا به.، قيل: ﴿نَبَأَهُۥ﴾ حقيقة أمر محمد ﷺ أنه نبي.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم اختلفوا في مدة الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع: ما هي، وما نهايتها؟ فقال بعضهم: نهايتها الموت.

وأورد عن قتادة بإسنادٍ حسن قوله: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ٨٨﴾، أي: بعد الموت، وقال الحسن: يا ابن آدم! عند الموت يأتيك الخبر اليقين.

قال الطبري: وقال بعضهم: كانت نهايتها إلى يوم بدر.

وقال بعضهم: يوم القيامة.

وقال بعضهم: نهايتها القيامة.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح.

عن ابن زيد أيضًا في قوله: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ٨٨﴾ قال: يوم القيامة يعلمون نبأ ما كذبوا به بعد حين من الدنيا وهو يوم القيامة. وقرأ: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧﴾ [الأنعام: ٦٧]، قال: وهذا أيضًا الآخرة يستقر فيها الحق، ويبطل الباطل.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أعلم المشركين المكذبين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين من غير حدٍّ منه لذلك الحين بحد، وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا إلى ظهور حقيقته، ووضوح صحته في الدنيا، ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه ببدر، وقبل ذلك، ولا حدٍّ عند العرب للحين، لا يجاوز ولا يقصر عنه. فإذا كان ذلك كذلك فلا قول فيه أصح من أن يطلق كما أطلقه الله من غير حصر ذلك على وقت دون وقت.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن عكرمة: سئلت عن رجل حلف أن

لا يصنع كذا وكذا إلى حين، فقلت: إن من الحين حينًا لا يدرك، ومن الحين حين يدرك، فالحين الذي لا يدرك قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾﴾ والحين الذي يدرك قوله: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ **[إبراهيم: ٢٥]**، وذلك من حين تصرم النخلة إلى حين تطلع، وذلك ستة أشهر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجرًا تعطونيه من عرض الحياة الدنيا ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ أي: وما أزيد على ما أرسلني الله به، ولا أبتغي زيادة عليه بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه وإنما أبتغي بذلك وجه الله ﷻ والدار الآخرة.

وأورد أثر عبد الله بن مسعود[(١)] قال: يا أيها الناس من علم شيئًا فليقل به ومن لا يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله قال لنبيكم ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ أخرجاه من حديث الأعمش به.

تم بحمد الله.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري (٤٨٠٩)، ومسلم (٢٧٩٨).